٢١٨ شرح الحكم العطائية، تأليف ابن عباد ، محمد بن
ش. ع ابراهيم - ٧٩٢ هـ. كتب في القرن الثالث
عشر الهجري تقديرا.
٢٧٠ ق ١٨ س ١٨×١٤ سم
نسخة حسنة، خطها مغربي، طبع.
٤٧٨٧ كشف الظنون ١ : ٦٧٥، دار الكتب
المصرية ١ : ٣٢٤
ا- الشمائل والتقاليد والاخلاق الاسلامية
أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ ج- غيث المواهب
العلية على الحكم العطائية.

King Saud University

وتعلق النفس بعين الوجود ...
عما خبر ان له ...
... التوهم ...
ان تكون ...

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٤٧٨٧ - ف ١٩٤١ ع
العنوان: شرح الحكم العطائية
المؤلف: ابن عباد محمد بن ابراهيم
تاريخ النسخ: القرن الثالث عشر الهجري
اسم الناسخ: -
عدد الأوراق: ١٣٦ق - ٢١×١٤سم
ملاحظات: -

دمج ولد بب عمر احد
عشر متغفل دمج ولد
زعوض تسعت متغفل
مد يغ عند ولد احمد
ثلثت متغفل سوكر شا
مرسغ عند المعلم اربع
متغفل بنغ عند حمد
ربع ازيد دمج عمر عشرت
احد ور بسغ عند الشيخ نصف
اربل عند الحاج الحسن ثلث
الاوابغ ثلثت اربع احد
عند الصدق ستة اربع
مشغل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله المتفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستغراق
نعوت الكمال المنزه عن الشبه كله والنظير والند والاستدلال المقدس
عن سمات الحدث والتغير والانتقال [illegible] المتعال
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والصلاة على سيدنا محمد
الناجي من الضلال وعلى آله وصحبه الذين خلصت لهم الأعمال
وصفت منهم الأحوال وعلى جميع التابعين لهم [illegible]
الصفات ومحاسن الخلال وسلم تسليما أما بعد
فإنه لما رأينا كتاب الحكم المنسوب إلى الشيخ الإمام المحقق
العارف الكاشف الولي أبي الفضل تاج الدين أحمد بن محمد
ابن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري رضي الله عنه ونفعنا
به من أفضل ما صنف في علوم التوحيد وأجل ما اعتمد
للمتعلمين والمعلمين [illegible]
العلم والمعرفة والنظر ومعدنا [illegible]
[illegible] العارفين والموحدين بعض معانيه [illegible]
المعتنين من أسراره البالغة وما فيه [illegible]

وتعليم الاستغلاب وما تضمنه من اللباب اللباب و
... والنساء والعلماء فهو على اسرار محفوظة ودرر
مكنونة ولا تنتهي حقائقها الا التليف ... ونحرج ...
... التي تعتبر عليه غير من يشرح كلام المؤلف وان
... من تبسيط حسبما يعطيه شكل مصنف فانا ادا
عينا ذلك كان مناقضه واديب يقول بنا والعبادة بالمدا التي
... وتنافر تعرضنا الفخر والتعرض تعالى ما ابتليق
ان شرح كلام السادات واسلك الله تعلق من غير غرور واعز
... وذلك عن حسبما ما هو مستره من ... وما ...
ابنا ... من اهل ... واعفنا فيه حقيقة ...
... كان ذلك الشعر التي لا يحصى له شكل او لا تعرر
... وان ... فلهذا ... او لم نعتبر الى تلك ... اهلنا
على نفسنا وجهانا والتشاع التعرض بقولنا ان نعتقد
ان كلام المؤلف رحمه الله مستوعبا ... كلامه
تصنيفه الحي والدعوى وتلك فيه بعبارة ابلغ من
عبارته واكثر اجابه الشارح لتعليم من ذلك ما عندنا
في تعيين ما ذكر لا نريد تعيين حقيقة مغفرة ونذكر
في التنزيه حيثما ... عند الكلام المنسية عليه
... من ذلك الغائب في العهد المنسوخ اليه وما ...

وكلامهم متكرر اعلمه
التنبيه عليه كل العرف وتراعل في وجه و
الناصح لهذا المجموع واحلنا بعضه على بعض
كهوع المولف ان يتبع فيه ما رسمناه ويجتنب
اويجتنبه بغلطه بصنع بخلاف لو تبدلون ما يجتنب
كل واحد منهم ... مختلفين في الغالب
المراد في الاستخراج ... ليكون ذلك اقرب الى ... وبوجه
وارب غيره وكان الاحسن ترتيب الكلام الى عصو
تصنيفه وجمعه بعد تفرغ ... والله ... فعلته في والسالوم
ونعوذ بالله ان ليس لعصر منه ... ارادة الله تعالى ... وجعد وتطل
رايناه في الكتاب العصمة ... ثم ان الا الاعل
المفوض الصالح بعض الاصحاب وتبعنا عليه ... في
اعتقاد ... في ذلك على نحو ... في صور من
الحقيقة والتحقيق ... بفنه وصحته على الصحة الانسا
حيث رغبني لما شاء الله ... وصفت ليم الاقا
الله ... وقضى به علينا ... وتعقب

الله واياهم بما جمعه على ابو ... ولا جعله حجة عليهم ولا عليـ

وقد نستغفر الله تعالى مما انعم علينا به من الامر العظيم
التعصنا امر الحكم العظيم ونستغفره من الوقوع في حب
بل القصد والرجيم ونسأله توفيقا يوقفنا على جادة الاستقامة
ونصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة وندامة ونرجوه مع ما زاد
تحليتنا بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب اليه الكريم منا سبيهم
والتعلق باذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم وان رضينا شيئا من
تعظيمهم وحبهم وفعلنا من تكريمهم وبرهم وان لا يحرمنا من شيئا
عنهم ولا يحرمنا بركته ولا بركتهم ولا يبعدنا عن بابهم الكريم وطريق
فنا عن منهجهم القويم جم الفتوح لا يستفنا جليسهم

سادة من حزبهم اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم وانهم احبوك وما احبوك حتى احـ
ـببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك
الا بحبك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك يا ارحم الراحمين وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى اله الطيبين الطاهرين
والتابعين باحسان الى يوم الدين وسلم كثيرا تسليما وهذا حين
ابتدي وبالله التوفيق والهداية الى سواء الطريق قال المولف رضي الله عنه

علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء

شرو ومرو ان لا افتـــو الا اعتماداً على الله تعالى العارف
حوبر ولا اعتماد ومعنى يشير وقف الجاهل العا علي بجا اينا ما كان ذ
انفر حتى علومهم واعمالهم واحوالهم اما العارف فهو الموحد وقيامهم
على بساط الغيبة والمشاهدة نا طروا الى ربهم فانوا عن انفسهم فاذا
وقعوا في زلة اواصابتهم غفلة شهدوا تقريب الحق على العهد وجريان قضائه
عليهم فعلموا انهم اذا صدرت منهم طاعة او لاح عليهم لايح من بقضه
لم يشهدوا في ذلك انفسهم ولم يروا قبلا حولهم ولا قوتهم لان السابق
الى قلوبهم ذكر ربهم فانفسهم مطمئنة تحت جريان اقداره وقلوبهم
ساكنة عالاح لها من انواره ولا فرق عنده بين الحالين لانه غرقاً في بحر
التوحيد فقد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه
من العصيان ولا يزيد في رجائهم ما ياتون به من الاحسان قال الشارح انما
لم يكن العارفون يرجون ما يتوبون بالله فقد فوضوا الى الله امرهم فاذا انتهت منهم طاعة
لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا انفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم
زلة فالحجة على الفاعل لم يشاهدوا غيره في السكون والحركة فيامهم بالله
تعالى وتكلمهم الله فخوفهم التقصير ورجاؤهم الاقرب التنهي واما
غيرهم فيقفوا مع نفوسهم في نسبة الافعال اليها وطلب الحظ لها
عليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا على احوالهم فاذا وقعوا في زلة
نقص ذلك رجاؤهم كما انهم اذا عملوا الطاعة فعلوها وا عظم عددهم

وافوى

وافوى ويقنعهم فيتعاقبوا على الاسباب ويحجبوا بمعرفتهم فيكون
الا رباب بجم موجد نفذ العلامة في نفسه فليعرف منزلته فيقدر كره
بتعدلهم فيبدع معاملات الخاصة من المقربين وانما هو من علامة
اهل اليمين وسيأتي اشارات الى هذا المعنى مواضع من كلام
المولف وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي والحافظ ابو نعيم
رحمهما الله عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض
الناس في كلام وقال لا تستدرك مرادك من علمك الا ان تتوب فقلت
محبة الموال التوبة تكفر في باب ما اذنبت لو عظمك اخوانك من
ولو ان الصحو الاخلاص كانا عندي لبعثتها وهذا منه مبني
لان ان كشف عند الله في علم الغيب سعيد امغفور لم اتخلف بافتراه
الذنوب والمآثم وان كشف عنده شقيا مخذولا لم تسعده توبته
واخلاص وصدق وان الله خلق انسانا بلا عمل ولا شفيع كان
اليه وهذا الفقيه النازل نفاه لنفسه فقال ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين فاعتماده على فضله و
كرمه اولى وان كشف حرا عاقلا فان اعتماده على معاملة المدخولة
وصفاته المعلولة لا مقابلة فضله بافعالنا وقلة المعرفة بالكريم
المتفضل قلت وقصد في الحكاية وامثالها مما تقرع سماع من
لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقدها ويسلمه

COPY

وبر عيسو مقام النفس وكلها الى التدبير جوه بها صاحبها الضرر وخطر عليه والدين تعلق بعبد ليعرله بصحيح هذه الوقفه ان ينكر ما ذكرنا ه ويقع بها في الاعتراض على السادات والاوليا وفي ذلك تبعده من الله تعالى ان يدعيه مقامات النفس من غير ان يستظهر عليها وينو فيها ويزنها بالمعيار الذي نبهنا عليه وبحال وجود ذلك ممن لم يصحح مقام القناعة النفس بغير تطلب حينئذ فيما خلا الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل لا حجة لنفسه عليها وخدعها ولهذا باب من الزندقة والعياذ بالله

ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية

الاسباب ها هنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه الله تعالى في الاسباب واراد هو الخروج منها فذلك من الشهوة الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هي اعلى بزعمه لا كن فاته الادب لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه فيما اقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة

فاقامته

اقامته اياه في الاسباب ان يدوم له ذلك ويحصل فيه بفرة ذلك بان يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة في دينه ووقعا لطمعه عن غيره وحسن نية في صلة رحم او اعانة في غيره ونحو ذلك من نوائب المال المتعلقة بالدين ومن اقامه الله في الاسباب واراد الخروج منها الى الاسباب فذلك من انحطاطه همته وسوء ادبه وذلك وان كان مع شهوته الجلية لان التجريد مقام رفيع اقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين واقامهم الحق تعالى مقام الخواص فلم يتخلف عن تبشيرهم بمنازل الاتقيا وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم ياتف من مشاركة الاضداد في الاسباب فهو لخسيس الهمة وعلامة اقامته اياه في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك نعيمه وقت العدم وجمعه قلبه ووجدان راحته من ملامسة الخلق ومخالفتهم والهمة حالة القلب وهي قوة ارادته وغلبة انبعاث الى نيل مقصوده فالعلية ان تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر

وقائلة لم علتك الهموم … وامرك ممتثل في الامم

فقلت ذريني على حالتي … فان الهموم بقدر الهمم

وقال آخر

اذا عطشتك اكف اللئام … كفتك القناعة شبعا وريا

www.al-mostafa.com

تكون فيها رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

وما ذكرته من معنى الإقامة في نوعي الأسباب والتجريد تقوية، فهذه
معنى قوله فهذا من علامة إقامة لك في الشيء إدامته إياك فيه مع
حصول النتائج بالله أعلم وقد ذكر الشيخ التستري هذه المسألة بنصها
ناقلا عن هذا الكتاب وقال بإثره وأيضا فحكم الله أن من شأن العدو
أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير
ما أقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك أنه
يأتي للمتسببين فيقول لو تركتم الأسباب وتجردتم لأشرقت لكم الأنوار
ولصفت منكم القلوب والأسرار فإنما وكذلك صنع فلان وفلان ولا يكون
هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به وإنما صلاحه في الأسباب
فيتركها فيتزلزل إيمانه ويذهب إيقانه ويتوجه إلى الخلق من
الطلب وإلى الاهتمام بالرزق فيرمي في بحر القطيعة وذلك قصد العدو
لعنه الله إنما يأتيك في صورة ناصح كما أتى أبويك فيما أخبر الله عنه
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك
يأتي المتجردين ويقول لهم إلى متى تتركون الأسباب ألم تعلموا أن ترك
الأسباب تتطلع معه القلوب إلى ما في أيدي الناس ويفتح باب الطمع
ولا يمكنه الإسعاف ولا الإيثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا

ال

إلى ما يفتح به عليك فلو دخلت في الأسباب بغير تعيين منك لكنت
ما يفتح عليك منك إلى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته
وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى
يعود إلى الأسباب فتصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها ويعود القائم
في سببه أحسن حالا منه لأن ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا
قصد مقصدا ثم انقطع عنه فإياكم واعتصم بالله منه ومن يعتصم
بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم وإنما قصد الشيطان بذلك أن يمنع
العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله تعالى
لهم إلى مختارهم لأنفسهم وما أدخلك الله فيه تولى إعانتك عليه
وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه وقل رب أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل
الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق كذلك فافهم
والذي تقتضيه الحكمة أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق
تعالى يتولى إخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب
بل الشأن أن يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا
مرة فعدت إليه ثم تركني السبب فلم أعد إليه ودخلت على الشيخ
رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي أن الوصول إلى
الله على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر وجود

من جعل الحق من غير الله عجب انسان مشتغل بالعلوم
فقال له كم تقصد رجيلا بذا ومن بعادة الطي بو شيا حجا آ اين وجد البط
سيدي خرج منا انا بيه وتنزع صحبتك فقلت له ليس لي اشارة لك ولاكن
اصلنجيبا انت فيه وما قسم الله لك هو ابد بينا بدعوا لك واطل
ثم قال الشيخ ونكتة الثوم هاكذا انشاء الحديث فلا يخرجون من شيء ذد
حتى يكون الحق سبحانه تعالى الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل
الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى جليسهم انتهى
كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وانما البسط هاهنا
على طوله لانه تولى فيه بيان مسئلته التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه
بيانا شافيا فنقلناه بلفظه ووددنا لو نقلنا جميع مسائله لتكون
هاكذا **سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار** الهمم
السوابق هي قوى النفس التي تنفعل عنها بعض الموجودات باذن الله
تعالى وتسمى عند الصوفية همة فيقولون فلان همته على امر ما
فانفعل له ذلك وهذه الهمة السابقة لا تنفعل الاشياء عنها الا
بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فمعنى على حال سبقيتها
ونفوذها لا تخرق اسوار الاقدار لا تنفذها وهاذه الهمم قد تكون
للاولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعائن

والسلام

والساحر وقد ثبت ان العين حق والسحر حق ومعناه ما ذكرناه وقد
ذلك انه يجب ان يعتقد انها اسباب لا تاثير لها ولا فاعلية وان
الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها وكان المؤلف رحمه الله
اورد هذه المسئلة بين يدي كلامه في التنوير ليعرفك بذلك ان وجود
التدبير لا يجدي عليك ولا فايدة له لان الهمة الفعالة اذا لم تعد في خرق اسوار
الاقدار شيئا فكيف يفيد في ذلك التدبير وما لا فايدة فيه فضول لا ينبغي
ان يشتغل فيه ويتعمك فيه ذو العقول ولذلك قال **ارح نفسك**
من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به
لنفسك تدبير الخلق امور دنياهم على الوجه الذي يغفلهم عن
الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم ان يفرغوا
قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو
ان يفرد العبد نفسه شئونا يكون عليها من امور دنياه على ما تقتضيه
شهوته وهواه ويرى لا قيامها ليليق به من احواله واعماله يستعد
ذلك ويهتم لاجله وهذا التعب عظيم استعجله لنفسه واجل اكثر ما
يفجوه لا ينفع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية
ومضادة احكام الربوبية ومنازعة القدر واطاعة الهوى ما يحمل
العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده واسبابه قال سهل بن
عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس

عيشهم وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان كان ولا بد من التد
بير فدبروا ان لا تدبروا وتفاصيل هذه المسألة اساس طريق القوم بل هي جملة
وتفصيل الكلام فيها طويل عريض وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر
اليسير من التنبيه لان المؤلف رحمه الله اورد في هذا المعنى كتابا سماه
التنوير في اسقاط التدبير احسن فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه
بحيث يستغنى به عما صنف في هذه الطريقة من ديوان فتحصيله يتعين
على كل مريد

اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك

الشيء المضمون للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام وجوده في دنياه ومعنى
كونه مضمونا ان الله تعالى تكفل بذلك ووضع العناء عنه ولم يطلب منه
الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام به والشيء المطلوب من العبد هو
العمل الذي يتوصل به الى السعادة الاخروية والقرب من الله تعالى من عبادات
وطاعات ومعنى كونه مطلوبا انه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده
فيه ومراعاة شروطه واسبابه واوقاته بحسب ما جرت سنة الله تعالى
في عباده قال الله عز وجل في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكاين من
دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه
منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد روي في الاثار عن الله تعالى عبدي
اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك وقد خرج ... عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال اقوام يشرفون المترفين ويستخفون
بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم وما خالف اهواءهم تركوه
فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير
سعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون
فيما لا يدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة
التي لا تبور وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا تتكلف
ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي
من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الامر المطلوب منه وترك الحرص في
من الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته واشرق نور الحق في قلبه و
حصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة اعمى
القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب كما ان البصر ناظر
العين وناظر القلب انما يصير الى العافية والعافية المنتهي ما تتقوى
فيها البيضة للعبد ان يجتهد فيها لا غير ويتبوا انا ويعرض عما يمنع
منها لا غير وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد اشعار بان الطلب
الذي فيه غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح
وماذون فيه ولا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن به تقصير
فيما امر به قال بعض المفسرين في قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك اي فرغ همتك لما امرت به فنحن نقوم لك بقسمته

صح

ويسوا فيها ... ضمنه الله لك ولا تتهمه وليته طلبه منك ولا تهم
فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته
وقل ما ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه
عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق اهل الجحود كيف لا يرزق اهل الشهود
اذا كان سبحانه اجرى رزقه على اهل الكفران كيف لا يجري رزقه على اهل الايمان
وقد علمت ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك اي مضمون لك منها ما يقيم
بنيانك وان الاخرة مطلوبة منك اي العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا
فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل او يقين واهتمامك فيما
ضمن لك اقطعك عن اهتمامك بما طلب منك من امر الاخرة حتى
قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الاخرة فليته ضمن لنا الاخرة
وطلب منا الدنيا انتهى **لا يكن تأخر امد العطاء مع
الالحاح في الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن
لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك
وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد**
حق العبد ان لا يتخير شيئا على مولاه ولا يجزم بطلاقية حال من الاحوال
لانه جاهل من كل وجه فقد يكره الشيء وهو خير له ويحب الشيء وهو
شر له قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا تختر من امرك شيئا
واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء الى الله

عز

من رجاء ربك يخلو ما بيناه ويختار وقد حل عليك
المرسي رضي الله عنه وبه الم فقال ذلك الحاج ادع الله لي يا سيدي فسكت ولم
يجاوبه ثم تكلم ذلك الحاج ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي فقال الشيخ
ابو العباس امروا انا ما سالت الله العافية فقد سالته العافية والذي فيه
يعني العافية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سال الله العافية وقد قال
ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان قد قطعت ابهري ثم ابو بكر رضي الله عنه سال
الله العافية وبعد ذلك مات مسموما ثم عمر رضي الله عنه سال الله العافية
وبعد ذلك مات مطعونا ثم عثمان رضي الله عنه سال الله العافية وبعد ذلك
مات مذبوحا ثم علي رضي الله عنه سال الله العافية وبعد ذلك مات مقتولا
فاذا سالت الله العافية من حيث يعلمها لك انها عافية انتهى كلامه
فحق العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعتقد ان الخير له في جميع ما يبتليه
لانه وان خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه شيئا يرى ان له
فيه مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب
لكم وقال عز من قائل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من احد يدعو بدعاء الا اتاه الله ما سال او كف عنه من السوء مثله
ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
فما من داع يدعو الا استجاب الله دعوته او صرف عنه مثلها سوءا او حط

ومن شروطه تقديم العمل الصالح بين يدي الدعاء [illegible] الاجابة المطلقة طالب

من داع بخوف سيما وقد ورد الوعد الصادق الا ان الاجابة امرها الى الله تعالى

يجعلها ما يشاء وقد يكون المنع وتأخير العطاء اجابة وعطاء لمن فهم عن الله

تعالى في ذلك فلم يبق للعبد من الله تعالى الا ان يدعو ويناجيه وان الخير في جوابه

وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك الى الآخرة خير له فقد جاء في بعض الاخبار يبعث

عبد فيقول الله تعالى له [illegible] حوائجك التي [illegible] وقد [illegible]

اليك فيقول الله تعالى ما سألتني شيئا الا اجبتك فيه ولكن ذخرت العوض في

الدنيا وطلب الجزاء في الدنيا فهو معه خير لك فحينئذ [illegible] يقول ذلك

العبد ليته لم تقض له حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

معنى النهي عن الاستعجال في اجابة الدعاء في قوله يستجاب لاحدكم ما لم يعجل

فيقول دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهارون عليهما السلام على

فرعون فيما اخبر الله تعالى به عنهما حيث قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد

على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر انه اجاب دعاءهما

في قوله سبحانه وتعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين

لا يعلمون قال اهل [illegible] قوله تعالى قد اجيبت دعوتكما وهلاك

فرعون بعد اربعين سنة قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه قوله تعالى فاستقيما

اي على عدم الاستعجال لما طلبتما والاتباع لسبيل الذين لا يعلمون وهم

الذين يستعجلون الاجابة وفي ذلك [illegible] ما يحصل بسبب مداومة

الدعاء من الخضوع بصحبة الذل ومن افتقر في دعائه [illegible] وروي عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين في الدعاء وقد جاء في

الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له حاجته

فيقول دعوا عبدي فاني احب ان اسمع دعاءه رواه انس بن مالك

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل

الله له حاجته لكراهته اجابة لصوته ومنهم من يؤخر عنه العطاء

منصوصا عليه لكل العمر [illegible] عن تعجيل اجابة دعائه

قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن

في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج

وممن قيل له اقض حاجته فاني اكره ان اسمع صوته فاذا

كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختياره لنفسه كان مجابا

وان لم يعط والاعمال بخواتمها انتهى ثم تكون الاجابة من

ثمرة على شروط لا يعلم الداعي بها فيتأخر لعدمها وفي ذلك اقوال

بعضها ولنذكر مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى امن يجيب

المضطر اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض العلماء

[illegible] اذا اراد الله تعالى ان يستجيب دعاء عبده رزقه الاضطرار

في الدعاء والاضطرار لا يتحقق الا [illegible] جميع طاقته

قال بعض [illegible] اذا رفع همته الى الله [illegible]

قال [illegible] ومقام [illegible] الوصول [illegible]

فكيف يتحقق ما ينبغي عليه وفي المسئلة التي تليها اي هذا
تنبيه على هذا المعنى لا يستعجله الوعد وقوع الموعود
وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك واخمادا
لنور سريرتك الحق سبحانه لا يخلف الميعاد من وعده مولاه
شيئا وان كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي
ان يشكك ذلك في صدق وعد ربه ولا يجوز ان يكون وقوع
ذلك الوعد معلقا على اسباب وشروط استاثر الحق
تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد ان يعرف قدره ويتادب
مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويصدق الله ولا يشكك
في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف
فهو عارف بالله تعالى صاحب البصيرة منور السريرة ومن كان
فعلى العكس اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان
قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك
الم تعلم ان التعرف هو مورده عليك والاعمال انت مهديها
اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك من عند الله
تعالى من عناية المطالب ونهاية الامال والتقارب فاذا وجه
الله تعالى عبده ببعض اسبابه وفتح له باب التعرف لديه
فذلك من النعم التي يلزمه عليها فينبغي ان يفرح بها ويقوم
بحسب ذلك من اعمال البر وما يترتب عليها من نيل الاجر
وليعلم انه ما لابد منه لحصول الخاصة المقربين الوصول الى حضرة التوحيد
والبغض وغير ذلك من اضطراب في العبودية والافعال التي من شانهم

من شانه ان يلتبس بها في التقلب وتعلقه فلا تسلم من قصور
11 عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما امله والعمل
عنده ما فتشه الحساب واين احدهما والاخر ومثاله ما يعاب به الا
ثمار من البلايا والشدائد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه
من تكثير اعمال البر فان مراده ان يستمر بقاؤه في دنياه طيب العيش
ناعم البال ويكون حاله في طلب سعادته الاخروية العمل المشروع بغير المشوش
فلا تنقص انفعه الا بالاعمال الظاهرة التي لا كبير مؤنة عليه فيها ولا مشقة
ولا تنقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة ومراد الله منه ان يطهره من
اخلاقه البهيمية ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من اسر
وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على
غاية الكمال والتمام الا بانفاذ مراده ويشوش عليه معتاده ويكون
حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة
دعن ما دام هذا على اختيار الله ومراده فهو خير له من اختياره
لنفسه ومراده لها وقد روي ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه اني
بعض عبادي قد علق همه ظلمته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي ليس ارحمك
من شيء به ارحمك وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني الى
عواده انشطته من عقالي وابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه

... العمل وروي عن سعيد المقبري قال سمعت ابا هريرة يقول قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن فلم يشكني الى عواده حللت عنه عقدي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت استانف العمل قال ابو عبد الله محمد بن علي التميمي رضي الله عنه لقد مرضت في سالف ايامي مرضة فلما اشتد الامر منها فعلت في نفسي ما ذا يريد الله تعالى مني من هاذه العلة في مقدار عزة المدة وبين عبادة التقليل في ايام علتي فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين ان تكون في عبادة التقليل في مقدار مدتها الى ايهما اميل اختيارا فصح عزمي ودام يقيني ووقعت بنيتي ان مختار الله لي اكثر نفعا واعظم خطرا وانفع عاقبة ونعني العلة التي دبرها لي ولا تدبير لي فيها اذ كان بين فعله بي لتنجوا به وبين فعلك لتنجوا به علما رايت هذا دون شي من عبادة التقليل في قدر تلك المدة في جميع ما اتاه فصارت العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة املا وصار املا عظيما فقلت في نفسي بهذا كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الى ان كشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى قال ولعل هاذه هي وجهة النعمة التي منحها الله له وحصلت له الغبطة بها واثرها على عبادة التقليل والله اعلم فاذا اراد الله تعالى على العبد شيئا من البلاء فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له السكون والطمانينة ويسهل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه

مرارته

مرارته ويرجع حلوا وتصغر ذلك بكون حاله في بلائه حال الشاكر من الفرح والاغتباط به فيرى من حق شكره الرضا بما يمكنه والعمل به واعظم جميع ما قلناه هاذه المسلة بالحكاية التي ذكرها ابو العباس بن العريف رحمه الله في كتاب مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الارادة قال فيه كان بالمغرب من اهل الاسلام رجل يدعا ابا الخيار رحمه الله ونفعنا بذكره اصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو عبد لم يعتقه مولاه وذلك عن قصد منه واختيار وعم جسمه الجذام حتى الجنة المسك ثم حجبته عن مصافحة بغيره فلا الزهد ثم رايته يمشي على السلالم يعتب بعد كلمه الايسير وما اهو الى حين فعلت له يا سيدي كان الله سبحانه لم يجد للبلاء محلا من اعداه حتى انزله بك وانت خاصة اوليائه قال فقال لي اسكت لا تقل ذلك انه لما اشتهى بناء على هذا ابين العطاء لم يجد عند الله شيئا اشرف ولا اغلى اليه من البلاء فيما لقاه اياه وكيف بك لو رايت سعيدا الزاهد وهو قطب العباد وامام الاولياء والاوتاد في غار بارض طرطوس وقد احاط به الحجارة وقد اكل البلاء لحمه وقد احاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل يقع بذكر الله وشكره على ما اعطاه من الرحمة والشكر جسمه والعافية حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليلة حتى يطلع الفجر انتهى وسيأتي شيء من كلام المؤلف رحمه الله في هذا المعنى والقضية

ابيد والله ولي التوفيق **تنوعت اجناس الاعمال لتنوع
واردات الاحوال** والواردات الاحوال هي ما يرد على القلوب من
المعارف الربانية والاسرار الروحانية وهي توجب لها احوالا مختلفة فمنها
وارد يوجب قبضا ومنها وارد يوجب انبساطا ومنها وارد يوجب خوفا
ومنها وارد يقتضي رجاء الى غير ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت
هاذه الواردات ايضا متنوعة كانت اجناس الاعمال التي تقتضيها هذه
الواردات ايضا متنوعة والاعمال الظاهرة ابدا تبع لاحوال القلب
الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا في قوله حسن الاعمال نتائج حسن
الاحوال **الاعمال صور قائمة وارواحها وجود
سر الاخلاص فيها** اخلاص كل عبد في اعماله على حسب رتبته
ومقامه فاما من كان منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه ان تكون
اعماله سالمة من الرياء الجلي والخفي وقصده موافقة الهوى النفسي
طلبا لما وعد الله به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهربا
مما اوعد به المخلطين من اليم العذاب وسوء الحساب وهذا تحقق
بمعنى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اي لا نعبد الا اياك ولا نشرك
في عبادتنا غيرك وما ظاهره اخراج الخلق عن نظره في اعمال البر مع
بقاء رؤيته لنفسه في النسبة اليها والاعتماد عليها واما من كان
منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه في عمله فاخلاصه

اعلا

المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم ينظروا الى
المستحسنات وهذا اصل كبير عندهم في المجاهدات في احوال الرياضة انتهى ١٢
وقال عمر بن عبد العزيز اياك وفضول النظر فانها تدعو الى فضول الشهوات
وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين
سبب الحين ومن ارسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء يا
لبحث يوجب توقفة القلب وقد انشدوا في هذا المعنى

وانك ان ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهج الياس وذلك من اعظم فوائد
العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال
القلب بالفكرة وهي المقصودة ها هنا وكان العزلة مقدمة لها
ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع اكلا
والقيام بالعبادات واداب السنة وقد ذكر الشيخ ابو حامد الغزالي رضي
الله عنه جملة شافية في كتاب العزلة من الاحياء فلينظر هناك وقد
جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة هكذا اورده العلماء
وكان عيسى بن مريم عليهما السلام يقول طوبى لمن كان كلامه ذكرا
وصمته تفكرا ونظره عبرة ان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت وقال بعض من اراد ان يبلغ شرف الاخرة فليكثر التفكر وقيل

قيل لأم الدرداء ما كان أفضل عمل أبي الدرداء قالت التفكر وبه تذ...
يصل به إلى معرفة حقائق الأشياء ويتميز الحق من الباطل والنافع من
الضار ويطلع به أيضا على خفايا آفات النفوس ومكايد العدو
وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل مع التحرز عنها والطهارة
منها قال الحسن رضي الله عنه [interlinear: الفكرة] مرآة تريك حسنك من قبيحك والا...
به أيضا على عظمة الله وجلاله إذا تفكر في آياته ومصنوعاته ويطلع
به أيضا على آلائه ونعمائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالا
سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه قلت
والعزلة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تتضمن جزء الخلوة وهي أحد
الأركان الأربعة التي هي أساس المريد وبها يحصل من الثلاثة الباقية
فبقي الصمت إذ لا يتأتى من أكثر الناس إلا بالخلوة والعزلة فإن أضاف إليهما
المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على كلية
الدواء والتحق بزمرة الأولياء والأبدال قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال وبها صار الأبدال أبدالا إخماص
البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها في نظمه

يا من يريد منازل الأبدال ... من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن فيها فلست من أهلها ... إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه ... ساداتنا فيه من الأبدال

ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر النزيه العالي

كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته

الجمع بين الضدين
محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الأشياء التي
ذكرها المؤلف رحمه الله أضداد لا تجتمع فإن أنوار القلب تنور الأ
بمعارف الغيب مضادة للظلمة التي استولت عليه من رؤيته للأغيار
والأكوان واعتنائه بطلبها والسير إلى الله تعالى يقطع عقبات النفس
مضاد للاشتغال بخدمة الهوى والشهوات ودخول حضرة
الله المقدسة تطهيره الداخل ويراحته مضاد لما هو عليه من
جنابة غفلاته التي مقتضاها الأفعال الفاسدة وفهم دقائق الأسرار
المستفادة من التقوى مضاد للإصرار على المعاصي والهفوات والدليل
على ذلك قوله عز وجل واتقوا الله ويعلمكم الله وما روي في بعض
الأخبار من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقال الحسن بن سعيد
رحمه الله التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري فقال أحمد بن حنبل
لأحمد بن أبي الحواري يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي

سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا تعجب فقال احمد بن [illegible]
اسمع قولها بلا تعجب فقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا
اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت الى ذلك العبد
بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما قال فقام احمد بن [illegible]
ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت في الاسلام حكاية اعجب الي من هذه
ثم ذكر الحديث الذي ذكرناه من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد
ابن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق شيخك ولا اجل [illegible] وهذه الاشياء اعظم
اعجب المولف رحمه الله ممن يعتقد صحة اجتماعه ومن طمع في نيل
مراتب الرجال مع كونه على اقبح الحال **الكون كله ظلمة وانما**
اناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده
فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود
الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب
الآثار العدم ظلمة والوجود نور والكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم
وباعتبار تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلفت
احوال الناس هاهنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن
رؤية المكون فهذا في غاية الظلمات محجوب بسحب الآثار الكائنات
ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم بعد ذلك على اربعة فرق
فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر

على الآثار

١٥

على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء الذين يستدلون بالآثار على
المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية هاهنا المعية اتصال ولا
يشهده ذلك في الاكوان والمعية انفصال وهو يشهده عند الاكوان وهذه
الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة الا
كوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما في
ذهنها ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والفهم فيه يبعد
عند الخفاء ذوقا على ما هي عليه موكول الى اربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فيها
هنا زلت اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات
منكرة في الشرع فكفروا بذلك وبدعوا والعقد كمال التنزيه وبطلان
التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع العليم
مما يدلك على وجود قهره سبحانه ان حجبك عنه
بما ليس بموجود معه اتفقت مقالات العارفين والمحققين
والنظار انهم ومواجيدهم على ما ذكرناه قبل هذا من ان ما سوى الله تعالى
عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه قال الله تعالى
كل شيء هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت
قالته الشعراء الا كل شيء ما خلا الله باطل قال بعض العارفين
ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية
واحاطة الديمومية وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا

فنظر الى الله بنعم الابصار والايقان فا غنانا ذلك عن الدليل والبرهان
فنستدل به على الخلق فليس في الوجود شي سوى الواحد الحق فلا نراهم فان
كان ولا بد عنراهم كالهباء في الهواء فان فتشتهم لم تجدهم شيئا وقال
ابن الفارض رضي الله عنه في تحقيق الشهود من قصيدته ان يسترد ذلك عني بقوله في
لو سالتني بما اسال من موسى كليمه وعيسى روحه وشيخه صهيبه ام يعقوب ويلك
شلة اجيبك بنسبة اليه يقيل وقال ابن عطاء الله في التنوير فما سوى الله
عند اهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا بفقدان لا يوجد معه غيره لثبوت
احديته والفقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم
لوقع العيان على فقد الاعيان ولاشرق نور الايقان فغطا وجود الاكوان
وهذا الكلام هو بمثل ما ذكره في هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت
ان ارى غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى اشهده معه قال الشاعر

منذ عرفت الاله لم ار غيره … وكذا الغير عندنا ممنوع

منذ تجمعت ما خشيت افتراقا … وانا اليوم واصل مجموع

وقال اخر الله قل ذر الوجود وما حوا … ان كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته … عدم على التفصيل والاجمال

واعلم بانك والعوالم كلها … لولاه في محو وفي اضمحلال

من لا وجود لذاته من ذاته … فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا … انفسا سوى المتكبر المتعال

وراوا

ورأوا السوى في الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال
وقد صنفوا في بيان هذا الامر تصانيف وتكلموا في الكلام في هذا المعنى
نظما ونثرا وكل عبر عن مشربه وذوقه جزاهم الله عنا خير الجزاء
نعم ان هذا وجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله بشهودهم الدنيوية
ورجاؤهم الاخروية ومقاماتهم العلوية وكذا لامور الاعتبارية العدمية
والموجودات الوهمية علمنا بذلك وجود فهي اضدادها سماء منطوقها
ولو ارتفع الحجاب عنهم لغفلوا عن انفسهم وارادتهم وبقوا به وكانوا
عبادا لله حقا وقد فسر ابو سعيد بن الاعرابي رضي الله عنه عن الفنا فقال الفنا
ان تبدو العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال
والدرجات والمقامات والاذكار تغيبه عن كل شي وعن عقله وعن نفسه وفنائه
عن الاشياء وعن فنائه عن الفنا لانه يغرق في التعظيم النفسي قال بعض العلماء
على ثلاثة اوجه فناء في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفناء في الصفات
لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة
الا الله وفناء في الذات لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا في ذلك

فجمعنا ثم بعضنا ثم بعضنا … وكان فعلي بغير السعادة

وقال الشيخ محي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم
لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وانشدوا

من ابصر الخلق كالسراب … فقد ترقى عن الحجاب

الوجود تراه وتغاه بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم تشا تعد به سواه فهناك تهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه ولا مشير الى الخطاب
كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء
بما اشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم كيف
يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء حتى
استدل عليه المستدل بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق كيف يتصور ان يحجبه
شيء وهو الذي ظهر في كل شيء اذ هو المتجلي فيه بمعاني
صفاته واسمائه كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي
ظهر لكل شيء في طور ذلك الشيء ولذلك كان ساجدا له ومسبحا
بحمده ولكن لا تفقهون ذلك كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو
الظاهر قبل وجود كل شيء لتحقق هذا الاسم له ازلا وابدا
كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اظهر من
كل شيء لان الظهور هو له الحق لا للعدم على كل حال كيف
يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس
معه شيء اذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق كيف
يتصور ان يحجبه شيء وهو اقرب اليك من كل

شيء

17 شيء انتهت احاطته بك ووجوده مثبت عليك كيف يتصور
ان يحجبه شيء ولولاه لما كان وجود كل شيء
حتى يستدل به المشاهد وعلى الاشياء كما قال تعالى اولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم
لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان ام كيف يثبت
الحادث مع من له وصف القدم لان الباطل لا يثبت مع ظهور
الحق كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقوله
عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قلت
وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا ابدع فيه المؤلف غاية الا
بداع واتى فيه بما تعجز فيه الا عيون وتلذ به الاسماع فانه رضي الله عنه ذكر
جميع متعلقات الظهور وابطل حجابيته كل الظلام ونور وارك فيه الحق
رؤيته عيانا وبرهانا ورقي من مقام الايمان الى اعلى مراتب الاحسان كل
ذلك في اوجز لفظ وابدع عبارة واتم توضيح والطف اشارة فلو لم يكن في هذا
الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عنا خيرا ورضي الله عنه وقد
ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث في الوقت
غير ما اظهره الله فيه اذ الا ما اقام الله العبد فيه كان من
الاحوال التي لا بد منها الشرع فليلتزم حسن الادب في اختيار ما يليق به عليه
ورضاه به ولا يراقب الله تعالى في مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى

فيه ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنه قال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين
سنة ما اقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وقد تقدمت
حكاية المؤلف رحمه الله مع شيخه ابي العباس حين عزم على التجريد وترك
ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما اجابه به الشيخ رضي الله عنه
ونحوا من هذا في العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فان تسخطه تلك الحال وتشوفه
الى الانتقال عنها بنفسه وارادة ان يحدث غير ما اظهره الله تعالى فقد بلغ
غاية الجهل بربه وسوء الادب في حق مولاه عز وجل ونعوذ بالله من معارضة
حكم الوقت التي تشير اليه الصوفية وتقع عندهم من اعظم ذنوب الخاصة
فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى في ذلك الوقت فهو ادب
العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا احد معاني الوقت
في اصطلاحهم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وقد يريدون
بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم
ويقولون فلان بحكم الوقت اي انه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير
اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه امر او اقتضاء بحق شرع
اذ التضييع لما امرت به واحالة الامر على التقدير وترك المبالاة بما
يحصل منك من التقصير خروج عن التقدير ومن كلامهم الوقت سيف أي
كما ان السيف قاطع فالوقت بما يقتضيه الوقت ويجري به غالب وقيل
السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك

الوقت

الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضى انتكس وتردى وانشد
وكالسيف ان لاينته لان متنه وحداه ان خاشنته خشنان
١٨ ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت
عليه مقت هذا كلام ابي القاسم القشيري وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب
والله اعلم

احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس

اذا كان العبد ملتبسا بحال من احوال دنياه وكان له
فيه شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحات مثلا وذلك على فراغه
من تلك الاشغال وقال اذا انفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه وهي
ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثاره الدنيا على الاخرة وليس
هذا شان عقلاء المومنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل
تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى الثاني تسويفه بالعمل الى اوان
فراغه وقد لا يجد مهلة بل تختطفه الموت قبل ذلك او يزداد شغله
لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض كما قيل
فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب
والثالث ان يفرغ منها ما الذي يؤمنه من تبدل عزمه وضعف نيته فهو
فيه من دعوى الاشتغال عن رعاية الحول والقوة في جميع الاحوال ما يستغفر
في حقه جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر الى الاعمال على اي حالة
كان وان ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجات الموت وحلول الفوت

وان يتوكل على الله في تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها

وما أحسن قول ابن الفارض في هذا المعنى

وعد من قريب واستجب واجتنب غدا ... اشمر عن ساق اجتهاد بنهضة

وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى ... واياك علّا فهي اخطر علة

وقم وانهض كسيرا حظك البطالة ما اخرت عزما لفرصة

وجد بسيف العزم سوفا فان تجد ... تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج

كما انه اذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة بالدين او بالدنيا لا ينبغي له ان يروم الخروج منها بنفسه ويبادر حكم وقته فيحدث فيه غير ما اظهر الله كما تقدم في قوله ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث في الوقت غير ما اظهره الله فيه مع الشرك المتقدم وسواء لم يكن في ذلك مخالفة امر او ارتكاب نهي ينبغي له البقاء لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منه ويستعمله فيما سواه لان هذا من التحكم على الله تعالى ولا خير له في ذلك بل ينبغي له البقاء لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منه ويستعمله فيما سواه لان هذا من التحكم على الله تعالى ولا خير له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار مراده على اختياره هو وحينئذ يتعرض منه لمحبة الله تعالى

وارادته

19

وارادته له فيما يستعمله استعمالا لا عوض بالعين مع بقائه على حالته التي هو عليها فيكون ذلك مراد الله تعالى به لا بارادته لنفسه وهو خير له مما اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم انه كان يقول وددت اني لو تركت الاسباب واعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك ان يستريح من تعب الاسباب قال فبينما انا كذلك اذ سجنت ثم كنت في السجن يؤتى كل يوم برغيفين فطال ذلك علي حتى ضجرت فبكيت يوما في امري فقيل لي انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت الى الله عز وجل فاذا باب السجن يقرع فخلصت وخرجت قال فيه فتادب بهذا ايها المومن ولا تطلب ان يخرجك مما هو بيد خلقك فيما سواه اذ لو كان ما انت فيه مما لا يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى واذا صبرت فلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتفتح الى الحق عليه من تارك شيئا وداخل في شيء ليجد الترويح والراحة فتعب وقوله بوجود التحير عقربته لوجود الاختيار التدبير كلامه في التنوير وهو تنصيص لما ذكره ها هنا فلذلك اوردته هنا

ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر

السائر الى الله تعالى يتجلى له في اثناء سلوكه انوار وتبدو له اسرار فان
ارادت همته ان تقف عند ما كشف له من ذلك لاستفادة القصد وصل
الى الغاية القصوى والنهاية من معرفته نادته هواتف الحقيقة ان
المطلوب الذي تطلب امامك فجد في السير ولا تقف وان تبرجت له
ظواهر المكونات بزينتها وجمالها وحسنها وجمالها نادته حقايقها
الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه
ودم على سلوكك وسيرك واعلم انه ما دامت لك همة وارادة فانت
بعد في الطريق لم تصل ولو قد جنبت عنها لوصلت وما احسن قول الشيخ
ابي الحسن الششتري في هذا المعنى

فلا تلتفت في السير غيرا وكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

ولقد رايت للشيخ ابي الحسن الششتري رضي الله عنه كلاما حسنا ههنا
سيما لما ذكر المولف رحمه الله تعالى ههنا من التنزه في الاحوال وظهور
النفوس رتبة الكمال فرايت ان اذكره ههنا بنصه لما فيه من كثير
الفوايد وتنزه المقاصد قال رضي الله عنه اعلم ان [illegible] ان يكون لك تقييد
مع الاولياء الله تعالى فعليك بترك الناس جملة الامر لذلك على [illegible]

باشارة

باشارة كل حقيقة واعمال زائفة لا ينقضها كتاب ولا سنة واعرض عن
الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها بالبعض ليعود اليها بالكل
في ذلك عبد الله مبرزا ان رجع عنه [illegible] فان كنت بهاتين الخصلتين الاعراض
عن الدنيا والزهد في الناس فاقم مع الله بالمراقبة والتزم التوبة بالرعاية
والاستغفار بالانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه
الوجوه الاربعة ان تكون عبد الله فيما تاتي وتذر وتراقب قلبك ان لا ترى
في المملكة شيئا لغيره فان ايست بهذا نادتك هواتف الحق من انوار العز
انك قد عميت عن طريق الرشد من اين لك العيان مع الله بالمراقبة وانت
تسمع قوله وكان الله على كل شيء رقيبا فهنا لا بد لك من الحياء ما
يحملك على التوبة فمهما ظننت انه قريب فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك
ان لا تشهد ذلك منك فلا تعود الى ما خرجت عنه فان تحققت بهذه
منك نادتك الهواتف ايضا من قبل الحق التوبة منه بدات والانابة
منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهناك
تكون [illegible] فتستغفر الله منها وتاخذ في الاستغفار والانابة
نادتك من قريب اخضع لاحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع
ارادتي برفض ارادتك وانما هي ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا
لا تقدر على شيء فمتى رايت منك قدرة وكلتك اليها وانا بكل شيء عليم
فان فتح لك هذا الباب [illegible] من هناك على اسرار لا تكاد [illegible]

يجمع من اهمو الحليم طلبك منه اتهام له وطلبك له
غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه
وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه الطلب الذي
يتصور من العبد على اربعة اوجه وكلها مدخولة معلولة طلب من الله
وطلب له وطلب لغيره وطلب من غيره فطلبه من الله تعالى تهمة له اذ لو
وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سؤال لما طلب منه وطلبه له غيبة
عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره لقلة حيائه منه اذ لو استحيا منه ان
ابتعد عما يكرهه له من طلبه لغيره ومن حق الحيا منه ان لا يذكر معه غيره
ولا يوثر عليه سواه وطلبه من غيره لبعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان غيره
بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول
كان الطلب متعلقا بالخلق او بالحق الا ما كان من الطلب على وجه التعبد
والتادب واتباع الامر والظهار الفاقة والافتقار فحينئذ تزول عنه العلة
ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه الانفاس
ازمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس يبديه واصغر ظرف
لقدر من اقدار الحق تعالى يمضيه فيه كائنا ما كان واذا كانت جزئيات العبد
ودقائقه قد استغرقتها احكام الله تعالى واقداره وكان جميع ذلك بغتة
منه حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسئول
عنه وعن انفاسه الشريفة انه لا يخرج عنه كيف له اذا كمال التدبير دنياه

ولا

ولا على الاتباع شهوته وهواه لا تترقب فروغ الاغيار فان
ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو
مقيمك فيه اذا اقام الله تعالى العبد في السبب وفي الاسباب فالواجب
عليه ان يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا
منه فيكون تاصلا للوقت الذي يضيعه من القيام بحق الوقت الاول بما اقيم
فيه وتوفيته ما يجب له وهو قيام الامر المطلوب منه فليجتنب
ذلك المريد قال ابو جعفر رضي الله عنه الصوفي الصادق الذي يكون في كل وقت
بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه
وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا جنك الليل فلا تامل النهار حتى
تصلي ليلتك تلك وتوفي حق الله تعالى فيها وتنج فيها لنفسك واذا اصبحت
فكذلك وسئل سهل رضي الله عنه متى يستريح الصوفي فقال اذا لم
ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه لا تستغرب وقوع الاكدار
ما دمت في هذه الدار فانها ما ابرزت الا
ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها جعل
الله الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل واحد فيها على مقتضى ما سبق
له ويجزى جزاءه في الدار الاخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وعمل كل واحد منهم انما هو مخالفة لشهوات نفسه او موافقة
وفيهما وذلك لا محالة يستدعي وجود محبوب او مكروه يفعل له

يترك بعض ضرورات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتنقطع الاكدار
بعسيب ذلك وانقطاع امل الدنيا امور وهمية انقادت لطباع الناس
البها وهي اتبع جميع ما البحر لغفيضها وقلتها وسرعة تقضيها وقلتها
فتحاذبوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحطوا على كلية اغراضهم [illegible]
ارى اشقيا الناس لا يسئمونها ... على انهم فيها عراة وجوع
ارالها وان كانت قليلا كما ... ذوي سحابة صيف عن قريب تقشع
جـلا تستغني وقوع امثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق
وصعبها وواجب تعتدها من وجدان المكاره التي هي ذاتية لها قال
بعض الحكما لولا ان الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاطبائع
في الموزيتج وهيباة التقيد على الحكمة في هذا عند قوله انما جعلها
محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لكم فيها وفي بعض
الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال من طلب ما لم
يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا
انشدوا: تطلب الراحة في دار الفنا ... خاب من طلب شيئا لا يكون
وقال بعض البلغاء ملتمس الصلاحة في دار امثالها والمصائب كا
لمتمرغ على مزاحف الحيات ومداب العقارب وقال ابن مسعود
رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها في سرور فهو ربح وقال
الجنيد رضي الله عنه لست استبشع ما يرد علي من العالم لانه قد اصلت

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

اصلا وهو ان الدار دار هم وغم وبلا وفتنة وان العالم كله شر ومن
حكمه ان يلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بكل ما احب فهو فضل والا فالاصل
هو الاول وقال ابو تراب رضي الله عنه يا ايها الناس انتم تحبون الروح
والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما
الراحة والفرح وهما في الجنة فالواجب على العبد ان لا يركن الى الراحة
في الدنيا نفسا ولا يركن منها الى ما ينقطع بها وانما يعمل على
قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابو هريرة رضي الله عنه الدنيا
سجن المومن فتوطين العبد على السجن في دنياه يهون عليه ما يلقاه
وتحيد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل
يمثل ذو اللب في لبه ... شدائده قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه ... لما كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى اخر ... فصير اخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان ... ببعض مصائبه اعولا
ولو قدم الحزم في نفسه ... لعلمه الصبر عند البلا
فلينو المريد ما يرد عليه من ذلك بالهم والرضا والا استصلاح عند
هجوم البلا فعن قريب ان شاء الله ينجلي الامر ويستوجب من الله
تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولي التوفيق قال احمد بن ابي الحواري رضي

الله عنه قال ابو سليمان الداراني جزع قليل [illegible]
قليل وقد انقطعت عنك ايام الدنيا واعلم [illegible]
هو جماع كل فضيلة وملاك كل ولاية ومكرمة نبيلة جزيلة [illegible]
الله عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال
تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال العز من قائل انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابن عباس رضي الله عنه ان استطعت ان تعمل لله بالرضا واليقين فاعمل وان لم
تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر
والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان صبرت مضى امر الله وكنت ماجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت
مازورا وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال
ابن عباس رضي الله عنه افضل العدة الصبر عند الشدة وفي بعض الاخبار
انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد [illegible] الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
[illegible] الصبر [illegible] ومدمن القرع للابواب ان يلجا

فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واعتده من اعظم عدده [illegible]
[illegible] رايه [illegible] ومن جزع من المصائب [illegible]

[illegible] وقوع النوائب [illegible] يزيده ضرا ويكسبه وزرا ويعود
[illegible] وناهيك به خسرا [illegible]
ولا تصحب مصيبة واصبر [illegible] مصيبة مثل لا [illegible]
[illegible]
وعوضه اجرا من [illegible] ولا يكن [illegible] واجر [illegible] يذهب

27

ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت طالبه بنفسك

من انزل حوائجه بالله تعالى
والتجأ اليه وتوكل في امره كفاه كل مؤونة وقرب عليه كل بعيد
ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على حوله
وقوته وكله الله تعالى الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه واهمله فلم
تنجح مطالبه ولم تتيسر ماربه وهذا امر معلوم على القطع من نصوص
الشريعة وانواع التجارب قلت وكلام المؤلف رحمه الله في
هذه المسألة [illegible] لكل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية
التي مآل امرها الى الدين [illegible] تلك المطالب [illegible]
[illegible] سلوك سبيل التوحيد [illegible] التعلق بالله تعالى [illegible]
واصوب [illegible] الى الله تعالى [illegible]
[illegible] الامر [illegible]
[illegible] هذه المسألة [illegible] فلذلك قال رضي الله عنه

النجح في النهايات في الرجوع الى الله في البدايات

للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكر نال الفلاح والنجح في نهايته وكان وصوله الى الله تعالى من أيسر عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا لما رجعوا ومن لم ينجح في بدايته ذكر ذلك من تعلقه بالحول والقوة الى نفسه واكتفى انقطع ورجع من حيث جاء وقال بعض العلماء من ظن انه يصل الى الله بغير الله قطع ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد السالك ان يجعل اعتماده واستعانته بالله على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها في كثير من عمله ولا قليله وهذا من اساس السلوك التي ينبني عليها قواعده **من اشرقت بدايته اشرقت نهايته** هذه عبارة اخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربه والحصول في حضرته **ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر** هذه بيان علامة يعرف بها حال المريد الصالح وما انطوى باطنه من المريد المستدرك لان الظواهر مرآة البواطن فما قبل الاشرة تدل على السريرة وما خفي من القلوب يظهر على الوجوه بلوح اثره فما استودعه الله تعالى القلوب ولا سرائر لابد ان تظهر

أن

ان ذلك على الجوارح فيستدل بظاهر العبد على غايته من ارادة صحبته والوصلة به وما اشبه هذا من الاغراض والمقاصد قال ابو حفص رضي الله عنه حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وقيل لما ورد ابو حفص العراق جاء اليه الجنيد من اصحاب ابا حفص وقوفا على راسه يأمرون لا يخطئ منهم احد فقال يا ابا حفص أدبت أصحابك ادب الملوك فقال لا يا ابا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان ادب الباطن وقد يكون في ذلك ان يعرف الم يذل نفسه ويخجل من امرها على بصيرته ولا ينخدع بما ينوه همه من صلاح سيرته وعلانيته فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم تكن على ظاهره ثمرات ذلك واثاره من اللهج بذكره والمبادرة الى اتباع امره والاعتصام بوجوده والاستبشار عنده بقربه وشهوده والفرار من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسائل المبعدة عنه فهو كذاب في دعواه متخذ الاهه هواه فان كان موصوفا باضداد هذه الخصال مع ادامة الاعتدال في جميعه فدعواه كذب ومحاله الى الله والنفاق اقرب قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وقد جعل الله تعالى وصف الخاشع بان اذا ذكر الله وحده في شيء انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره من حوله وجعل من نعتهم انهم اذا ذكر الله تعالى ينبوحي واجرا في قلب يغضوا ذلك ويكرهون واذا ذكروا عندهم ذلك

صدورهم قال تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون وقال ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير الخلق أي يخلقه ويذكره ذكر سواه ثم قال تعالى فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشاركه خلق في حكمه لأنه العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه ولا كفو له ولا نظير له من عباده فيعدل بهذا الكلام ووجهه من الخطاب أن المؤمنين إذا ذكر الله بالتوحيد ولا تعاد بشيء انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره ونحو ذلك وإذا ذكر الأولياء والأسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة عظيمة فاعرضها على قلبك أو من قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد في القلب أو وجود خفي الشرك في السرائر كما قال فيما تقدم قلت وهذه المسألة التي تضمنها كلام الشيخ أبي طالب المكي رضي الله عنه من أعظم المسائل وأدل على صدق الصادق وكذب الكاذب من أوضح الدلائل ولما كان قصدنا التنبيه اشتغلنا بذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة لغرابتها في هذا الزمان واستيلاء الغفلة والجهل على المنسوبين إلى العلم والعقل حتى منعنا ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاقتصار بالتنبيه على العلل التي تحصل بمقتضى ذلك من يد السالك وليستخرج من هنا حقيقة ربه في دينه وقلبه أوضح المسالك وأجل على

فهذا

فهذا الأسلوب من الكلام لم نكن نحن ذلك مما نعتنيه ولم تتم به نعمتنا سبيله لتتسع بذلك من الاعتراض وتعلوا همتك عما تولع به أصحاب القلوب المريضة إن شاء الله من ذلك بمنه وفضله **شتان بين من يستدل به ومن يستدل عليه المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه** تنبيه الخلق على أول نشأتهم وبدء خلقتهم وهو وجهم يقولون أنهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم إن الله تعالى لما اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختار منهم من أهله لولايته وما ذلك إلا بحصول العلم الذي تضمنه قوله وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة التي هي من جملة النعمة ويوجب لهم إلى العلم والقربة المشار إليه بقوله لعلكم تشكرون فحملهم على فهم مراد من يريد وإن تفاوتت طرقهم في ذلك وتبعوا سبل الكلام وكلاهما مراد ومحمود على التحقيق قال الله تعالى الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب فالمريدون السالكون إليه من أهل الاستدلال تحجبهم عن رؤيته الأغيار والآثار والأكوان كلاهم لهم موجودة بوجود الحق تعالى غيبت عنهم

فمنهم يستدلون بهما عليه فهؤلاء ترتيبهم ... ومنهم من تعرف

الحق تعالى بوجهه الأكرم وتعرف إليهم ... عن عدة الوجه

انحجبت الأغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها فهؤلاء أكمل

جهة هذا هو حال الفريقين وفيه شارة لما بينهما أي بعد ما بينهما ودليل

المستدل به على غيره عرف الحق الذي هو الوجود الواجب لأهله وهو المختص

بوصف القدم وأثبت الأمر المشار به إلى الآثار العدمية من وجود أصله

المشار به إلى المؤثر المتحقق وجوده والمستدل بالغير عليه على عكس ما

ذكرنا لأنه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالأمر

الخفي على الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الأسباب وعدم

احتظائه بالوصول والاقتراب والاجتماع غاب حتى يستدل عليه بالأ

شياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار العرفية هي التي توصل إليه أو يعقد

حتى تكون الآثار الموجودة هي التي تدل عليه

عجبت لمن يبغي عليك شهادة **وأنت الذي أشهدته كل شاهد**

قال في لطائف المنن واعلم أن الأدلة إنما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده

فإن الشاهد غني بوضوح الشهود عن أن يحتاج إلى دليل فتكون المعرفة

باعتبار توصيل الوسائل إليها كسبية ثم تعود في نهايتها ضرورية

وإذا كان من الكائنات ما هو غني بوضوحه عن الشاهد ليس بالمكون

أولى بالغناء عن الدليل منها ثم قال فمن العجب أن تكون الكائنات

موصلة

٢٦

موصلة إليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل إليه أو هل لها

من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وإن كانت الكائنات

موصلة إليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة

التوصيل فوصلت فما وصل إليه غير الإلهية ولكن الحكيم هو واضع الأ

سباب وهي لمن يقف عندها ولم ينفذ إلى قدرته عين الحجاب **لينفق**

ذو سعة من سعته الواصلون إليه ومن قدر عليه

رزقه السائرون إليه [illegible] فيها إشارة للحال العرفي كما

أن الواصلين إلى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الأغيار إلى فضاء التوحيد

وكمال الاستبصار اتسعت مساحة نظرهم فأنفقوا من سعتهم و

نبع جوابه عن الهم ... والسالكون إليه مقدور عليهم في أرزاق

جـ عن الهم

العلوم والفهوم محبوسون في مضيق الحالات والرسوم ينفقون

مما آتاهم الله من أرزاق العلوم المقدرة عليهم **اهتدى الراحلون**

إليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة

فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم

لأنهم لله لا لشيء دونه أنوار التوجه سموها منهم إلى

الله من عبادات ومعاملات ومجاهدات ومكابدات وأنوار المواجهة

جهة ما من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالأولون عبيد

الأنوار لوجودها احتياجهم إليها في الوصول إلى مقصودهم والآخرون

الانوار لهم لوجود غنائهم عنها برؤيتهم جمع لها الحق دونه وسيأتي هذا
المعنى عند قوله انت مع الاكوان ما لم تشاهد المكون فاذا شهدته كانت
الاكوان معك **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** المراد
التوحيد بمعنى ملاحظة الافراد فهو هنا الغيبة ورؤية ما سوى الله تعالى من لهو
ولعب واوهام وصفات الكامل من المنافقين في الله عز وجل اخبارا عنهم
وكنا نخوض مع الخائضين وقال تعالى بل هم في شك يلعبون وقال رضي الله عنه
تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب حكم المريد ان يتشوف
الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك
هو حق الحق تعالى منه فينبغي ان يحرص عليه ويجهد عقله اعتناء به ليحصل
له صفاء اعماله والاوقات وصفاء احواله من الكدورات وينبغي عنه الجهل والغرور
وتنقطع من باطنه مواد الغش وقد ذكر الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه
في كتاب رياضة النفس فصلا في الطرق التي يتعرف بها الانسان عيوب نفسه
فينبغي على المريد وقد جعلها اربعا وجوه احدها ان يجلس بين يدي
شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه على نفسه ويتبع اشارته فيما
يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على احواله واعماله
لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خصاله والثالث ان يستفيد معرفة
عيوبه من اعدائه اذ لا بد من جريان ذكر على السنتهم فقد تلبهم وعينهم

والرابع

٢٧

والرابع ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس ان يطلع بذلك على معايبهم وعيوبهم
فاذا اطلع عليها منهم علم انه لا ينفك هو عن شيء منها لان الطباع اذ
المتقاربة في ذلك متقاربة وقد يكون له في نفسه ما هو اعظم مما يراه في غيره
فيطالب نفسه حينئذ بالتزكية منها والتنزه عنها هذا الحاصل ما
ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد الشيخ العارف الزكي البصير بعيوب
النفس المشفق الناصح في الدين الفارغ عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب
عباد الله الناصح لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه
وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده انتهى والطالب للغيوب المحجوبة
عنه من جملة الفقراء ولطالب العبير فليمهل نفسه لاحد عليه فيه
للحق تعالى فليكف عنها نفسه اذ لا يشتغل بها عقلا ولا حسا ولو ما
الخلو له منه لا يمكن اليه والاحوال عليه فيا خذو من المعايب الفاضحة
في عبوديته ولهذا قال اكن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة
فان نفسك تتحرك في طلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة
ولان تكون بحق مولاك اولى بك من ان تكون بحظ نفسك ومن الحكايات في هذا
المعنى الذي ذكرناه ما روي عن الشيخ الاسرائيلي عن وهب بن منبه رضي الله عنه
ان رجلا صام سبعين سنة يفطر في كل سنة سبعة ايام
فسأل الله تبارك وتعالى ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال
ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان

www.مكتبة-المصطفى.com

خير لهم من هذا الامر الذي طلبه يا رسول الله انه ملكا فقال له ان الله تعالى يسلم
عليك ويقول لك ان كلامك الذي تكلمت به احب الي مما مضى
من عبادتك ففتح الله بصرك فنظر فاذا جنود ابليس قد احا
طت بالارض واذا ليس احد من الناس الا والشيطان حوله كالذباب
فقال يا رب من ينجو من هذا فقال الورع اللين وسبب ذكر بيان
الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا معتمد عليها بوجودها لنا كل عالم
نيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه الحق ليس
بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه
شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده
حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو
القاهر فوق عباده الحجاب عن الحق تعالى محال واستدل المؤلف
على ذلك بما ذكره هنا وهو شبه الاشكال عليه والحجاب على العبد
واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم
وبين الوجود فان الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن يشاء كيف يشاء
متى شاء ان امر ليس مثله شيء وهذا مما يجب اعتقاده اخرج
من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبودي
يتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا
اوصاف البشرية المتعلقة بامر الدين نوعان احدهما ما يتعلق

بظاهره

بظاهر العبد وجوارحه وتسمى الاعمال والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه
وهي العقود فاما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم الى قسمين
ما وافق الامر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية واما
ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى قسمين احدهما ما وافق الحقيقة
ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر
فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح فقها والنظر فيما يتعلق
بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا وهذان الامران هما كلية العبد
وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لان القلب هو الملك والجوارح جنوده
ورعيته ومن شان الرعية طاعة الملك فيما يامرها به وينهاها عنه وقد
نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهي القلب وصلاح القلب انما يكون بتطهيره من الصفات المذمومة
كلها دقيقها وجليلها وهذه الصفات المناقضة للعبودية من
اوصاف البشرية التي اشار اليها المؤلف رحمه الله تعالى وهي التي تسمى
صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب و
الرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال وتتفرع عن
هذه الاصول فروع خبيثة مثل العداوة والبغضاء والتذلل للاغنياء
واستحقار الفقراء وترك التفقه بما الى زمع خوف سقوط المنزلة

من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش
والمباهات والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة
والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر
وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب
العلو والانتصار لنفسه ادنى لها الذل وذهاب ملك النفس اذا
رُدّ عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الخبيثة والاخلاق القبيحة
واصل جميعها وعنصر منابعها انما هو رؤية النفس والالتفات اليها
وتعظيم قدرها وترفيع امرها فهذه الامور تعبر من كبر ونابع
من اقبح المعاصي وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز
وجل من خلع حسبما يقوله المولف بعد رحمه الله اثر هذا وشان الصوفية
انما هو التخلي منها بقطعها وبتركيبها من انواع الرياضات والمجاهدات
وقد بينوا ذلك كله في كتبهم قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه ولا يكون
المريد راضيا حتى يبدل بعض صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق
الشياطين اوصاف المؤمنين وبطبائع البهائم اوصاف الروحانيين
من الاذكار والعلم فعندها يكون عبدا مقربا قال الفقير الى الله هذا بان
تملك نفسك فتملكها وتسخرها وتتسلط عليها فاذا اردت ان
تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها
ملكتك وان تضيق عليها اتسعت عليك واذا اردت التقرب بها

فلا

فلا تعرضها لهواك واحبسها عن معتاد بلاياها فان لم تفعلها
انقطعت بك واذا اردت ان تقوى عليها فضعفها بقطع اسبابها
وحسم موادها والا قويت عليك وصرعتك انتهى قال اذا قام بذلك
المريد على الذي رسمه له من التزم الوظائف التي امروه بها كمل قلبه
وتزكت نفسه واتصف بمحاسن الصفات التي تزين بها العباد وينال به
من قرب ربه غاية المراد فيضفي عليه حينئذ اثار حسنة من التواضع
لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحب والخوف لحدوده والهيبة
له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص لعبوديته والرضى بقضائه
ورؤية المنة له عليه في منعه وعطائه وينتفع فيما بين خلقه بالرافة
والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة
والنزاهة والامانة والشفقة والثقة والعفة والتلطف والوقار
والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى
غير ذلك من الاخلاق والاعمال التي ينال بها العبد غاية السعادة والحظوة
والزيادة قلت وهذا المعنى هو الذي يعبر عنه ائمة الصو
فية رضي الله عنهم بالتخلي والتحلي اي التخلي عن الصفات المذمومة
والتحلي بالصفات المحمودة ويعبرون عنه ايضا بالتزكية و
التحلية وهي حقيقة السلوك الذي يعبرون به ايضا وسماه الاشارة
الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السا

السابرون [illegible] البريد هذا السعر والتقصير [illegible]
عبوديته لربه عز وجل ولم يطلعه عليه ولم تستشرفه نفسه [illegible]
من ربه الى استشرافه محل فيكون بمعناه منزلة ومنواله فيكون رحيميا كما قال
المؤلف رحمه الله تعالى لتنقل الحق عجبا الا انه اذ ذاك يتلذذ به [illegible]
لو يا عبد يحب حيث مولاه بابه الى [illegible]
ما دعا باجابته متحققا نفسه ويكون الجامع حضرته في [illegible] وجود
يعلو عن نفسه التي من شانها النفور عنها والفرار منها فاذا اقامه الحق
تعالى مقام العبودية وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا
من اقتحام الاوزار [illegible] عليه اعمال الابرار متحليا بالظاهر والباطن
بانوار الحلي متخلقا بفضيلة الشبه بالملإ الاعلى قال الله عز وجل
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وقال تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يومرون فمن رزق مرتبة العبودية انالته هذه
الخصوصية وكذلك من تشبه بهم بمحاسن [illegible] نعم من الحقوق
[illegible] محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه
من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما ما قاله الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد

تحصل

تحصل منه هفوات وقد تكون منه في التدريج زلات ولكن لا تكون [illegible]
[illegible] اولئك الذين يتوبون من قريب وقد وصف الله عباده المخصوصين
[illegible] والتقصير [illegible] ايات كريمة بصفات جليلة عظيمة ومن
ابدعها في ذلك جواب جسيمه قال تعالى وعباد الرحمان الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله حسنت
مستقرا ومقاما اولئك الذين فيما قاله بعض اهل التفسير وما
استنبط منه اهل الاشارة والتذكير واما من عدى هؤلاء
فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقوا حظوظهم الدنيوية قال
الله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم عبيد العدد
المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن
عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا واعلم
انه لا ينجيك هذا السلوك الى [illegible] مالك الملوك الا من وفقه الله تعالى
لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من قبائح الصفات ومن عرف ذلك من نفسه
[illegible] منتهى لها [illegible] اتخذ [illegible] وقصد المعاصي
والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المولف رحمه الله على هذا بقوله

اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن
النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم

الرضا عنها الرضا عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم
الرضا عنها اصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين و
ارباب القلوب وذلك ان الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها
ويصير قبيحها حسنا كما قيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة ، وعدم
الرضا عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها
ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشعر الآخر
، ولكن عين السخط تبدي المساويا ، فمن رضي عن نفسه استحسن حالها
وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت الغفلة
وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ
دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكر ما يدفعها
به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة عليه بسبب ذلك ومن غلبته
شهوته وقع في المعاصي لا محالة واصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم
يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف
كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض وبالفطنة والتنبه يتمكن
من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون
لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا كان
عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما امر به وهذا
هو معنى الطاعة لله عز وجل واصل ذلك كله عدم رضاه عن نفسه فاذا

ا

لا يفي بما وجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا
عنها ويصح ويتحقق للعبد صحة معرفته بنفسه بحسب حاله ويعلو مقامه
وقد وقع من الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم
لنفوسهم والمذمة منهم لها وعدم رضاهم عنها اكثر من ان يحصى
ولذلك قال ابو حفص رضي الله عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات
ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر ايامه
كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد اهلكها وكيف
يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء وقال الجنيد رضي الله عنه منذ اربعين سنة اعتقادي في
نفسي ان الله ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه ما رضيت عن نفسي طرفة عين وحكي عن سري السقطي
رضي الله عنه انه قال اني لانظر الى انفي في اليوم كذا وكذا مرة ان يكون قد اسود
لما اخافه من العقوبة وقال رضي الله عنه من اقل ما انا لو مات نصف احدهم
ما بزمن النصف الآخر وما احسب انا ممن يعتبر هذا من العبارات
الكاملة عن المشايخ رضي الله تعالى عنهم في المعنى وقد الف الشيخ ابو
عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه جزءا صغير الحجم عظيم الفائدة في عيوب
النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك الف فيه الامام
ابو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا سماه بالنصائح جمع فيه من عجائب

النفس وخدعها وغرورها جملة شافية كافية ونبه فيه على نفيس
فوائد عالية فيما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عنهم
من التقشف والتعفف والتفكر فيما تصلح به اعمالهم واحوالهم
والمحافظة على تصحيح الاسرار والقلوب والبعد عن الغرور الجد وخشية
خطرات الذنوب وقد نقل الامام ابو حامد الغزالي منه فصولا في كتابه
واعتمد فيه ذكره بلفظه وقد حظا به بعدا الثنى على مؤلفه بما هو اهله
مما لفظه دهل به عامة وحظه بغفارة حقه والمحاسبي رحمه الله خير الامة
في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات
الاعمال واغوار العبودية وكلامه جدير بان يحكى على وجهه هذا كلامه
وقد كان وحيد زمانه علما وعبادة وخشية اوانه ورعا وزهادة وشيخ
الشيخ ابو العباس بن عاشر رحمة الله عليه ورضوانه يكثر من التحريض على
مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب والخير سمعت
جماعة يقولون بالعمل فيه اما وان كلاما هذا معناه فليتخذ المريد
مطالعته وردا ويحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى و
سائلا منه توفيقا ورشدا فيتضح له فوائده في مراعاة اصلاح باطنه وان
الفلاح في قدم الصدق في مواطنه وليجعل الحجة على ما طالعه من كتب التصوف
ومما للتنزه له بالتالف والتعرف فبذلك تشرق انوار ايمانه ويقينه
وتنبع عنه الغرقة في عمله بوظائف دينه ولا يقدم على ذلك الا برزخ العجب

ومما

....

مممممم

وما يتهم به نفسه من مكابدة التعب والابرار يشتغل نعمه يعلم
يخبر به مخصوصة ويوجب له اشتغالا من اثبتها وعقودها وهو
مما تنكب الناس عليه اليوم وجادوا به عن سنن الهوى حتى نكروا يعلم
بسببه ذلك من رذائل الصفات ومقابح الاخلاق ما ادارهم الى الهلاك
والشقاء واعقبهم النفاق في قلوبهم الى يوم اللقاء وتحقق عليهم
الكذب في دعواهم انهم قاصدون بعلمهم رضى مولاهم وما ابالك واياهم
لقد استحقت ملوما حنت حبائه ولاكن لا حياة لمن تنادي وكذلك قال

ولان تصحب جاهلا لا يرضا عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه فاي علم لعالم يرضا عن نفسه

ما ذكره في الحكمة انما هو الى باب ميعاد الخالق وعدم النقصان
فيهما حسما بانه الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك
حاله ولا بد لك على الله مخالفة محبة من رضي عن نفسه وان كان عالما
في محقق لما ابلغه فيه لا وعلمه غير نافع وجهله الذي اوجب
رضاه عن نفسه صار نهاية الشر وكانه اذا فاته نفعا العلم الذي يريه
عيبه حتى لا يرضا عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لم يرض عن نفسه وان
كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لان جهله غير ضار وعلمه الذي
اوجبه له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكانه اذا حصل
له هذا العلم لا جهل عنده **شعاع البصيرة يشهدك**

قربه منك وغيب البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وعين البصيرة تشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك

شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقلهم شهدوا الجسم وعلموا وجهه وبما منحهم الله بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا الله المنعم عند ما وجود ربهم والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان والمرمنة فما هنا امور وهمية لا وجود لها على التحقيق والمقصود ان الله لا شيء معه لثبوت احديته لم يزل كان ليس معه موصول ومائم بابن بغداجا برهان لعان جمال ربي العز الاعنية اخاعا من مسالك من كلام المولف رحمه الله ايا كوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته وقد انتهى

لا تتعدَّ نيةُ همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال النعمة العلية ولا ترفع من رفع همة الحاجة الى غير ربه ولا كرم على الحقيقة سوى المتعال ذي الجلال قال الحسين رضي الله عنه الكريم الذي لا يحوجك الى وسيلة وقال الحارث المحاسبي رضي الله عنه الكريم الذي لا يبالي من اعطى وقيل الكريم الذي لا يخيب رجاء المؤملين واجمع العبارات في معنى الكريم الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم اعطى

ولا لمن اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى وانما تغني كل جميع المستغني بالله عن الجميع من لاذ به والتجا وتغنيه عن الوسائل والشفعاء فاذا كانت هذه الصفات لا تستحق الا هو سبحانه وتعالى ينبغي ان لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه ... وافرده ان يجتدي احدا رفدا

ويا صاحبي قف بي على الحق وقفة ... اموت بها وجدا واحيا بها وجدا

وقل لملوك الارض تجهد جهدها ... فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا اذا اورد الله تعالى عليك حاجة وانزل بك نازلة فاعلم ان الله لا راجع لها سواه اذ يستحيل ان يرفع غيره ما كان هو واضعه لثبوت توحيده انه لا فاعل سواه وان هو الغالب على امره لا يغالبه احد ويستحيل ايضا ان يرفعها عنك من لا يستطيع ان يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن الجهل تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم عليك منه الفضل والعطاء ولا نعمة تدوم وان ...

رضي الله عنه لقيتها ومنها ينبز في الطريق فقلت ... احبكم

عن ... قال أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام
يا داود وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي
أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون
السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهن مخرجا وفرجا وعزتي وجلالي
وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي على أنه أعلم ذلك من نيته إلا قطعت
أسباب السموات من يديه وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد
هلك وعن ... كنت في مجلس يزيد بن هارون وكان إلى جانبي
رجل فسأله عن قصته وخبره فقال نفذت نفقتي فقلت ومن تؤمل
لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت إذا لا يسعفك بحاجتك ولا يبلغك
ولا يبلغك أملك فقال وما علمك رحمك الله قلت إني قرأت في بعض
الكتب أن الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي
في علو مكاني لأقطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس ولأكسونه ثوب
المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ولأقطعنه من وصلي أيؤمل
غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويطرق بالفكر أبواب غيري
وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي
أملني لنوائبه فقطعت به دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت
رجاءه مني ومن ذا الذي قرع بابي فلم أفتح له جعلت آمال خلقي بيني وبينهم

سعلة

متصلة فتعلقت بغيري وجعلت رجاءهم مذخورا لهم عندي فلم يرضوا
بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يملون تسبيحي من ملائكتي وأمرتهم ألا يغلقوا
الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من
نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري وما لي أراه بآماله معرضا عني وما لي
أراه لاهيا عني أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته منه فلم
يسألني رده وسأل غيري أفتراني أبدأ بالعطية قبل المسألة ثم
أسأل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبادي أوليس الدنيا والآخرة لي
أوليس الرحمة والفضل بيدي أوليس الجود والكرم لي أوليس أنا محل
الآمال فمن ذا الذي يقطعها دوني وما عسى أن يؤمل المؤملون لو قلت
لأهل سماواتي وأهل أرضي أملوني ثم أعطيت كل واحد منهم من الفضل
مثل ما أعطيت الجميع ما انتقص ذلك من ملكي عضو ذرة وكيف ينقص
ملك أنا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤس من عصاني ولم
يراقبني ويثب على محارمي ولم يستحي مني قال رحمه الله أمل هذا
الحديث علي أكتبه فقال والله لا أكتبه حدثنا بغيره قلت والأمر الذي ينبني
عليه هذا المعنى هو تحقق العبد بمقام حسن الظن بالله تعالى وقد أحسن
المؤلف رحمه الله في ذكر أبيات فقال: أَوَلَمْ تُحْسِنْ ظَنَّكَ
بِهِ لِأَجْلِ وَصْفِهِ حَسِّنْ ظَنَّكَ بِهِ لِوُجُودِ مُعَامَلَتِهِ مَعَكَ فَهَلْ عَوَّدَكَ إِلَّا حَسَنًا وَهَلْ أَسْدَى

الباب الثامن حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس
فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه
من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به
لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والبقا وتبين
المقامين كما هو ولذلك لا ينفك من الانقلاب والتغير احدهما
ما يقابه [illegible] الرباب المقام الاول انما تحققوا بالمعرفة بالله
تعالى واحتفوا بانوار اليقين به اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم
فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وارباب
المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهي متلونة عليهم في
كل حال ومع وقوع بعض ما لا يلائمهم منها بهم وبما يتضعف من تحمل
مكارهها قوى قلوبهم ولا تحصل لهم بالبراة من خواطر سوء الظن
وتحدث النفس بما تقتضيه وجوه هلع وجزع فليكن العبد حيث
ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم وما اشبه ذلك والعيش النادر على الغالب قال ابو محمد عبد
الغني بن [illegible] رضي الله عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم ان تكون
اولا يكون الا والوهم قاتل ويقولون قتل العزائم [illegible] اذ ذلك للوهم
معلقات وظلمات ولكن لا صقل بالاذكار ان الشيطان والنفس
جنس واحد التعقل [illegible] وحسن الظن تقلب من العبد في امر دنياه

وبا

وبا امر اخرته اما امر دنياه بان يكون واثقا بالله تعالى في ايصال [illegible]
والمرافق اليه من غير ان يكون لا سعي حيلة او يسعى خفيف فيه ماجور ٢٥
عليه وان يخفف لا يعوقه شيء من ذلك تعلق لا من خص فيوجب له ذلك
سكونا وراحة في قلبه وبدنه فلا يستبعده طلب ولا يزعجه سبب
واما امر اخرته بان يكون قوي الرجاء في قبول اعماله الصالحة وتوفيه
اجوره فيها من الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة الى امتثال
الامر والتكثير من اعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة وفي
نشاط وخفة قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه اوثق الرجاء رجاء العبد
ربه واصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن شواهد حسن الظن
بالله تعالى التي ينبغي للعبد ان لا يفارقه فيها او فات النشاط والعمل
وحلول المصائب في المال والبدن [illegible] بسبب فانه ذلك في عدم
الجزع والتسخط وهيمانه تعطي المعنى في كلام المولف [illegible]
من كل نعالك الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفي حديث جابر من استطاع
منكم الا يموت الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه
الاية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين
ولانه قال فيما يروي عنه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله تعالى

ما احسن عبد ظنه بالله تعالى الا اعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير كله
بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه ما يظنه لان الذي
حسّن ظنه به هو الذي اراد الله ان يحققه له انتهى وقد روي عن ابي
النضر حيان قال خرجت عايدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن
الاسقع وهو يريد عيادته فلما دخلنا عليه وهو في النزع وحين
رءا واثلة بسط يده وجعل يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس
على الفراش فاخذ يزيد بن الاسود بكفي واثلة حتى جعلها على وجهه
فقال له واثلة اسالك عن شيء تخبرني به فقال لا تسالني عن شيء اعلمه
الا اخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله تعالى قال ظني بالله حسن
قال ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي ان ظن خيرا وان ظن شرا وروي
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك
قال يا رسول الله حسن الظن قال اقض به ما شئت فان الله تبارك
وتعالى انا عند ظن عبدي المومن وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة
الله فلعلك لا تخاف الا مقارنة الرجاء وحسن الظن بالله وبسعة
رحمته اكثر من ان تحصا ومما يقتضيه ما تريد ان نزيد فوقه هذا

المقام

٢٦ بهذا المقام من اراد الشفاء بذلك فعليه بمطالعة كتاب [illegible]
موجبات القلوب وكتاب الاحياء ثم بين رحمه الله الحال التي يمتاز
يتصف العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد
بباب الله تعالى وتعلق قلبه بوجدانه ثم اشار الى ان ذلك هو اية
التعظيم ومنهج الامان لا تتوهمه ان تعصمه وتخلصه من التجمع المعقول
والاعتبارات التي تعقلوا وتزول عنهم بان خلاف تعد من عمى القلب ومما
يستعملوا ان يعجب منه كل ذي لب فقال قلت العجب كل العجب
ممن يهرب مما لا انفكاك له منه ويطلب
ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور وهرب العبد من مولاه
باقباله على شهواته ومتابعة هواه وذلك نتيجة عمى قلبه ووجود
جهله بربه لانه استبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير وعاش بالعاجل
الذي لا بقاء له عن الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة
لاثر الباقي على العاجل ولعمل ما فعله سحرة فرعون لما امنوا بربهم
اذ لم تخلبهم الدنيا وعدهم به فرعون من العذاب وعوض من الاحسان والانعام
والتقريب والاكرام ولم يكترثوا لما توعدهم به من العذاب و
القتل والصلب على جذوع النخل فلم يبالوا بذلك تركا لما جاءهم من
البينات والنعم حتى قالوا فاقض ما انت قاض قالوا والله خير وابقى

فيحملا السلام ... قلوبهم وتنقصد الحجوب بهم فكان منهم ما كان
كما ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير
والذي ارتحل منه هو الذي سار اليه ولكن ارحل
من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى العمل
طلب الجزاء والدرجات او نيل الرتب العلية والمقامات لقصارى
الحال الوصول في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون بسبب
ذلك بقاء اعتبار النفس حال تخلص لها رتبة ان تنال بالسعي موهبة
وعقد كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية في كونها اغيارا
واكدار بعضها انوار وتمثيله بحمار الرحى مبالغة في تقبيح حال العا
مل على رؤية الاعتبار وتلك مبعدها [illegible] الى حضرة الافتقار بحق الله
تعالى الواحد القهار حتى يتحقق معنى قوله تعالى وان الى ربك المنتهى
فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون اعمالهم
اذ ذاك وفاء لمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط
وعدم التفات الى النفس على اي حالة تكون وهذا هو تحقيق الاخلاص
الكامل مع مشاهدة التوحيد الخالص جعلنا الله من اهله بمنه و
بفضله وانظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها

او

او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فا
فهم قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه
وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام هذا الحديث
النبوي تنبيه على المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتامل والله
اعلم قوله في القسم الثالث فهجرته الى ما هاجر اليه اي ولا نصيب له من
الوصول والقرب الذي خص به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله
فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا والخبر كما تقول
زيد صديقي اي لا احد نطلبه غيره وكانه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم له
الثالث بالدنيا التي يريد ان يصيبها والمراة التي يريد ان يتزوجها
على حظوظ النفس العاجل وقوله فهجرته الى الله ورسوله فهو معنى
الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مخرج
به غاية التوبيخ وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقاء مع الاكوان
والتنقل فيها وهو الذي نهاه عنه وهو مشعر به غير مصرح فليكن
المريد عالي الهمة والنية حتى لا تعول التبعات الى غيره ولا الكون البتة
ولقد احسن الشاعر بقوله كل ما خطر الله ولم يخلق شيء من همته
تعتقد ... وقال رجل لابي يزيد رضي الله عنه اوصني فقال له ان اعطاك
من العرش الى الفرش فقل له لا [illegible] ان تريد وقال ابو سليمان الداراني رضي
الله عنه لو خيرت بين ركعتين وبين دخول الفردوس لاخترت الركعتين

لانتفاع الغير دون صحبة وجا الخبير به ثم قال الشيخ رضي الله عنه
أصحر مكرله ولو بقوله فقولوا وأمرها بيده لا تستغفر ...
ولتكرر في كل مرة به لا تنفعك بقوله تعالى كلوا وأمر بواو ...
أكراما وانعاما فان في باطنه ابتلاء واختبارا حتى ينكشف ...
ومن هو مع الحكم وقال رضي الله عنه **لا تصحب من لا ينهضك**
حاله ولا يدلك على الله مقاله ثم ما ذكر في الصحبة
وهي أصل كبير من أصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك
استمر عليها شأنهم قديما وحديثا وقد نبه المؤلف على ما
يحمله قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله
بانهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة و
معنى الحال المنهضة ها هنا هو أن تكون همة متعلقة بالله تعالى
من تعلقه عن المخلوقين لا يلتفت بوجهه الا الى الله ولا يتوكل في أموره
الا على الله قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا
ويسقط نفسه من عينه فلا يبقي لها عملا ولا فعلا ولا يعتقد لها
لها حظا ويكون جميع أعماله كلها جارية على مقتضى الشرع فصحبة
من هذه حاله وإن قلت عباداته ونوافله ما هو نافعة الخابلة جا
لبة لكل فائدة دينية ودنيوية ولا يشترط في المصحوب الصالح
تلك الصفات على غاية الكمال والتمام فإن ذلك متعذر وإنما

يشترط

يشترط فيه أن تصحب منه بما يعرف صاحبه فيقطع حيث كان
... غالبا وأقوى منه فقد الا من لم يكن فيه هذا الوصف
... المعاملة بالظاهر لا غير فليس له ما ينهضه همته بل
ربما زاد ... خواطره تدعو الى التصنع والتزين ويؤدي به
الى ... من معاصي القلوب وهي أشد عليه من معاصي الجوارح بكثير
قال أبو يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه لان ألقى الله بجميع المعاصي
أحب الي من أن ألقاه بذرة من التصنع ويدخل بذلك عليه النقص
في حاله من حيث رجا الزيادة فيه وقال بعض الصوفية لا تعاشر
من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم يكون ذلك لك
وعليك وأنت عنده سواء وقال بعضهم ... مع أبناء الدنيا بالأدب
ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض
... فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال انه يحب الرواحة
... ولكن يجب على الفقير ... ولا الفاقة
... واحدة قيل له كيف ذلك قال ... أن يزيد لي وينزل لي
قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وكانت هذه الطائفة
من الصوفية لا يتصحبون الا على استواء أربعة معان لا يترجح
بعضهم على بعض ولا يكون بينهم اعتراض من بعضهم على بعض إن أكل
أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الدهر كله

لم يقول له صاحبه احفظ وان قال ليله كلها لم يقل الا ما هو حسن
وان جاء الليل كله لم يقل له لم يحفظ وتستوي احواله عندك فلا مر
تحمل جبايتهم وخيانتهم كما تحمل لاجل اخطارك ونومهم كما هو او
كان يزيد عندك بالعمل ويشغله بترك العمل بالرفق اصلح والعهد من
المرايات من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم
مبتلاة بان تزين ما لا التي عرفت به وان تكتم عيوبها عمن ما خفي
عند الناس من مساويها وان تجتنب ما يوجب المدح وتجتنب ما يوقع
الذم عنها فاذا صحبه من يعمل معهم بعضا طبيعي في لكثير تلون الصادق
ولا بعينه المخلص فيما بينه وبين الناس اصلح للتشويه واستر
للعيوب معاشرة امثالهم حسدا للقلب ونشاطا للايثار في
النفس لا بعدوة الاسباب التي بها يريد الاتيان حيث الاعمال وخبث
ابن المال والمصفوط من عين في احتمال الاكمال التورية وقاله فمن هو
من عاشر الناس داراهم ومن داراهم امنهم ومن اباهم وقعوا فيه
وقعوا ومنك فيه فعلوا وكان بعض الحكماء يقول لا تواخ من الناس
الا من لا يتغير عليك في اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه
وهواه لان هذه المعاني تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها
على النفس بعد الاجتماع وقال في موضع اخر من كان لك اخا
احبهم او وعظه لكثرة احواله وواقفا مع اكمل احواله على عدد

عند دهم

صدقة

٢٩

بمشقة الطرب والتي تدعا الى التخفيف لانها تحول وانما التعمل على معاني
القلوب ولانها تلبيس على الاصول فان انفر الرجل بهذه نفوس محبوبة
والاتوة دخل عليه التزيد والتصنع حتى لتعلوا منزلته ويحسن
التزله عندك فيه خلف لشبه التورك وتخرجه التورك عن حقيقة التو
حيد فمنزلة بعج تبوءتك ويسقط من عين مولاه فلا تبو لاه
لان النفس مقلات لحب الثناء والمدح والنافذ المنزلة لها بحضار
الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من اعظام الناس عليه واضرهم
له ويصير احد حبلا على صاحبه فليتعارفه حينئذ لانه جاء دعاء
فلا يصحبه لانه يجد النقصان بصحبته ويدخل عليه الافات بمعارفته
ولينفرد بنفسه ويجد في حالة على التركانت اوديته وضيعة
كانت او رفيعة من غير مفارقة احد ولا مطالبته وهم من احواله
عافية النفس ويدل على ارادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه
في التنبيه على قوله التحجب من لا يبدد لك حالة ولا يدلك على الله مقاله
ما عيبته فيه من قوله ولا بد لك من على الله مقاله فيكون الحال والمقال هنا
مسموع كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى مقصود به وده لالتة
قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة من اصناف
الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين
قال ابو يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه خلت لي النوى المصري

رضي الله عنه من اصحب فقال من لا تكتمه شيئا يعلمه الله منك
وقال حمدون القصار رضي الله عنه اصحب الصوفية فان للقبيح
عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع
يعظمونك به فتلزمك الى التعجب بالعمل منقص لحسن شدة
وقال الجنيد رضي الله عنه اذا اراد الله تعالى بالمريد خيرا وقعه
الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال ايضا رضي الله عنه لشر لا
صدقا من اصحبك الا المداراة والجأك الى الاعتذار وقال
من شر الاصدقاء من تكلف له واتشدد ابو يوسف بن الحسين
الرازي رضي الله عنه
احب من الاخوان كل مواتي وقيع غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل امر احبه ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليت اني وجدته فقاسمته ما لي مع حسناتي
والحاصل من هذه الصحبة الصوفية وهي التي يحصل بها كمال الانتفاع
للصاحب دون من عداهم من المنتسبين الى الدين والعلم
لانهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بحظ لم يشركهم
فيه احد وسر ذلك من الصاحب الى المصحوب هو
غاية الامل والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه
منها ومن جلس على دكان العطار لم يعدم الرائحة الطيبة فهذا

في

في الحضور والمجالسة جمعا لذلك بالصحبة والمؤانسة وقد
وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين احدا
غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخر له كل شيء ولم يسخر
هو لشيء وسلط على كل شيء ولم يسلط عليه شيء ويأخذ النصيب
من كل شيء ولا يأخذ النصيب منه شيء يصفو به كدر كل شيء ولا
يكدر صفوه شيء قد اشغله واحد عن كل شيء ولعله واحد من كل
شيء فانظر رحمك الله هذه الصفات ما اعظمها واجلها
وما اشرف حال من اتصف بها وما اعز هذه الوجوه نفعنا
الله بهم وبرزقنا من بركاتهم في صحبة مثالهم هولاء يحصل
للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرهم من فنون المجاهدات
وانواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى امر لا يسعه عقل
عاقل ولا يحيط به علم عالم قال سيدي ابو العباس المرسي رضي
الله عنه ماذا اصنع بالكيمياء والله لقد صحبت اقواما يعبر
احدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر ما ادا للوقت
من صحب هولاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال ايضا رضي الله عنه
والله ما سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا
واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال ايضا رضي الله عنه
والله ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه نظرة وقد اغنيته

قال فيه شيخه أبو الحسن رضي الله عنه أبو العباس هو الرجل الكامل
والله انه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء الا وصله
الى الله وسيأتي طرف من ذكر حال المؤلف رحمه الله في عشرته وما اوصله
اليه بركته فيه عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه
برز وقال ابن عطاء الله رحمه الله **ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان**
منك صحبتك الى من هو اسوأ حالا منك
تقدم ايضا ان ذلك يدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه
في الحال وهو استحسان لما هو عليه فيؤديه ذلك الى الرضا عن
نفسه ويرى انه لا احسن منه وهو اصل كل شر كما تقدم وقال رضي الله عنه
ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز
من قلب راغب معناه ان الاعمال على حسب قلوب العمال فما
صدر عن الزاهد في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا في الحس فهو
كثير على التحقيق وما صدر عن الراغب فيها من عمل وان كان كثيرا
في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الآفات
التي تقدح في اخلاص اعمالهم من مراآت الناس والتصنع لهم
وطلب الاغراض الدنيوية عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل
لهم قبول اعمالهم فتكثر وان قلت بسبب ذلك والراغبون
تعرض لهم الآفات المبطلة لاعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب

رغبتهم

رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من اعمالهم لوجود
النقصان فيها وقد قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع
التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة
لما تضمنه وجود الاخلاص وعدم رياء الناس في قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا فقال في حق الذين آمنوا ذكرا كثيرا
وهو ما خلصت به النية لوجود الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة
لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى
يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ركعتان من ورع عالم خير من عبادة
المتعبدين من المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض الصحابة
لبعض التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قالوا ولم ذلك قال كانوا ازهد منكم
في الدنيا وعن بعض الصحابة انه قال تتبعنا الاعمال كلها فلم نر ابلغ في امر الاخرة
من الزهد في الدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
سألت معروفا الكرخي رضي الله عنه عن الطائعين لله تعالى بأي شيء
قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا عن قلوبهم ولو كان شيء منها
في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي
الله عنه شكا بعض الناس الى ابي الحسن انه يعمل اعمال البر ولا

يجد لها حلاوة في قلبه فقال الا رعند كبنت ابليس ودين الدنيا
ولا بدللاب ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك والعبو يرد خوله لا بعادا
وكان ابو حفص الحداد رضي الله عنه يقول بعطي الزاهد ثواب العلما ويرد
العباد ثم يقسم على المومن ثواب اعماله ولا يعطيه الله من احد افضل
من زهد وعالم ورع وقال ايضا رضي الله عنه حسن الاعمال

نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق في مقامات الانزال حسن الاعمال تو فيتها ما يوجب
لها من شروطها واداب عبودية الله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا
ثواب اجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوى
موسومة بالسمة الصدق وحق التحقق في مقامات الانزال هو ان
تراه القلب بما انزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف
بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها
على بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد رضي الله عنه
لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم
ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المولف
نوع واسند الى علي ما قاله في الزاهد والراغب وقال رضي الله عنه

لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك

من

من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز الذاكر في الكهف
الوالاية بعلم وهو علم على وجود الولاية لما قيل الذكر منشور
الولاية فمن وفق الذكر فقد اعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد
عزل فقال المشايخ الذكر اعظم باب انت داخله لله فاجعل له الا
نفاس من حراسة فقال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه الذكر
عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة
البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع
الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشاها من الذكر ومن فضايل
الذكر اكثر من ان تحصى ولم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز فا
ذكروني اذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه صلى الله عليه وسلم
انا عند ظن عبدي بي وانا معه حيث يذكرني ان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه
باعا وان اتاني يمشي اتيته الهرولة لكان في ذلك الشفاء
والغنية وهذا الحديث متفق على صحته وقد تقرر من خطابه
انه غير موقت بوقت فيما موقوف الا والعبد مطلوب به اما

وجوبا واما ندبا وبخلافه غيره من الطاعات قال ابو العباس
رضي الله عنه لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها
حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه
لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا
على عقله وامرهم بذكره في الاحوال كلها فقال عز من قائل
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار وفي
البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحة والسقم
والسر والعلانية وعلى كل حال ثم قال مجاهد رضي الله عنه
الذكر الكثير ان لا تنساه ابدا ثم روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون فينبغي
للعبد ان يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع
اوقاته ولا يغفل عنه وليحذر له ان يتركه لوجود غفلته
فيه فان تركه له وغفلته عنه اشد من غفلته فيه فعليه
ان يذكر الله تعالى بقلبه وان كان غافلا عنه فلعل ذكره
مع وجود الغفلة فيه فعليه ان يذكر الله تعالى بلسانه
وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه
الى الذكر مع وجود اليقظة ولعل ذكره مع وجود
اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور ولعل ذكره

مع

مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عن
سوى المذكور قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي
اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا الله تعالى
وفي هذا المقام ينقطع الذكر اللساني ويكون العبد محوا في
وجود العيان وفي هذا المعنى انشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يلعنني سري وقلبي وروحي عند ذكراك
حتى كان رقيبا منك يهتف بي اياك ويحك والتذكار اياك
اما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكون من معناه معناك

وقال الواسطي منبها الى هذا المقام الذاكرون في ذكره
اكثر غفلة من الناسين لذكره لان ذكره سواه قال ابو
العباس من البناء كلام ذكره على مقدمة كتابه اي خبر عن
الغني بن تقي الدين الكبير الشافعي وهو كتاب الاسرار العقلية
في الكلمات النبوية ثم رايت هذا الكلام بخطه رحمة الله
عليه ومن حصل الذكر ما هاج عن خاطره وارد من المذكور
حال ذكره وهذا هو الذكر الخفي عند الصوفية على انه
شهدها ومن التمكن في الاسرار وثم ما قولهم حتى يتمكن المذكور
في الحالة لا يستغرقه عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا
اتحاد بل حكمة وفيه نزع من عز بن عليم ويبان عنده ذلك ان

يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا من الكل ولا يبقى فيه
غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت الحق ويمتلئ منه
فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق
المسمع لسانه الذي ينطق به فان في بعض هذا الذاكر كان
يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به فحينئذ
استولى المذكور العلي على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها
فيها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها
كيف يشاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر منه من غير تكلف و
تنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال اذ اي
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله تعالى قلب
ام موسى عليها السلام بمعنى ذلك في قوله الحق واصبح فؤاد
ام موسى فارغا اي فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى ان
كادت لتبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل
كان ذكرها له يخرج من ذكره لولا ان ربطنا على قلبها
لتكون من المؤمنين بما اوحي اليها من قبل في شأن موسى
وانه من المرسلين وبذلك ينفتح الاشكال الذي ذكر ابو الفتح و
ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضد بين باقي الرابع هو

الذكر

التفكر والغفلة ويعذره المعالم والمراقبة لا تعرف حقا بقيت
السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا بايات
والتكذيب بايات الله فيكون من القسم الثالث في الكلمات
ولما كان المذكور لا يجوز عليه زمان وصف العبد والعدم و
لا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا
يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحلول الاشياء المحدثين
ولا يجري عليه احكام المخلوقين حضورها في عينها ومعنى نشا هو
سرا ونجوى هو القريب من كل شيء واقرب الى الذاكر من نفسه
من حبل الوريد والعلم به والمشاهدة فيه والقدرة وان
القدرة لله والقيام عليه خلق الخليقة فلا يلحقه اوقات قدمها
او حد الاعداد فلا يجمع معنا نفسه سبحانه وهو الملك
الكبير فتنفي كلام الشيخ ابا العباس رحمه الله تعالى في معنى
المقام الثالث من مقامات الذكر وهو غاية الحسن
والتحقيق ومنتهى التوحيد الخواص من اهل هذا الطريق
ولا ينبغي ان يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم
فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد تحول الاسباب
وهو من الله تعالى في جميع الحالات وقال رضي الله عنه من علامة

موت القلب عدم الحزن على ما فاتك

منها وفاة وترك الندم على ما فعلته من و
الزلات فإن القلب إذا كان حيا بالإيمان حزن على ما فاته
الطاعات وبتوفيقه من اجتناب المعاصي والسيئات وفرح
في الخبر من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن فإن
لم يكن العبد متصفا بالوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم
على ما أتاه فهو من موت القلب وإنما كان ذلك من قبل أن أعمال
العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضى الله تعالى
عن العبد وسخطه عليه فإذا وفق الله عبده للطاعات ثم
ذلك لأنه علامة على رضاه عنه وقبله حينئذ رجاؤه وإذا
خذله ولم يعصمه عن المعاصي سلط له ذلك وأحزنه لأنه
علامة على سخطه عليه وغلبه حينئذ خوفه وإن رجاه يبعث
على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاها تركها وعدم
الحزن على ما فاته منها أمنا واغترارا والخوف يبعث على
المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات وليس من مقتضاها
فعلها وترك الندم عليها إياسا وقنوطا وفي حديث
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بينما نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذ أتانا آت فلما جاءنا ورآه جماعتنا
أناخ راحلته ثم مشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا

رسول

رسول الله أوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها الست
وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وأقضيت راحلتي
لأسألك عن اثنتين أقضتا مضجعي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
من أنت قال أنا زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل فرب معضلة
قد سئل عنها قال جئتك أسألك عن علامة الله فيمن يريد و
علامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف
أصبحت يا زيد قال أصبحت أحب الخير وأهله وأحب أن يعمل
به وإذا فاتني حزنت عليه وإذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت
بثوابه قال هي هي بعينها يا زيد ولو أرادك الله للأخرى هيأك
لها ثم لا يبالي في أي واد هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم
ارتحل ولم يلبث وقال رضي الله عنه لا يعظم الذنب
عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله
تعالى فإن من عرف ربه استصغر في جنب
كرمه ذنبه عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين
أحدهما أن يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والإقلاع
عنه وصدق العزم على أن لا يعود إلى مثله فهذه عظمة
محمودة وهي من علامات إيمان العبد كما قلناه قال عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه إن المؤمن يرى ذنبه كأنه في أصل
جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع

على النعمة قبل وجه دعا كذا ابطالي وبقال ان الطاعة كلما استصغرت رسوله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب كثرت اسماءنه ودات
كبرت عند الله تعالى وان المعصية كلما استعظمت صغرت في العين او جنب له الرحمة من ربه فكن له راجيا وبعد ان يلاقيه
عند الله تعالى وان الثاني ان يعظم عنده عظمة توقعه في الياس وان عصا عالما انتهى فيتبع للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاما
والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فعقدة عظمة من يؤديه الى ان يقابله بالياس من روحه فنوكا من رحمته وسوء
مومنة فادحة في الايمان ونفي شي عليه من ذنوبه وسبب ذلك ضربه بل عليه ان يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويجعل
وجود جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع الله تعالى في تسلطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن
نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير للمومن من العجب
حق المعرفة لا يستصغر ذنوبه في جنب كرمه وفضله وأما اخلى الله تعالى بين مومن وبين ذنب ابدا فيستعظم بهذا على
قدر للعبد او قبحه حتى يقع في ذنب لا يستعظم عفو ربه ويكبر ان الذنب مانع من وجود العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد
عليه ان يغفر له فتأمل في النوبر اعلم انه لا بد في مملكته من وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لكا
عباده بمقتضى الحلم وهي ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع ...نه وعبادته فلا ذكر لذلك ومسلك له بخلاف الذنب لانه
الشفاعة واوجب ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يوجب له الخوف والحذر والالتجاء الى الله تعالى والعمل ان الله عن
نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم نفسه والعجب يحرف العبد عن الله تعالى والذنب يحرمه اليه
يستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم والعجب يقبل على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء رجل الى الشيخ ابي الحسن يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار
فقال يا سيدي كان بجواري البارحة من المنكرات كيت وكيت و او طلب العبد الى الله تعالى افتقاره اليه وانزعاجه الاحوال اليه
كظهر من ذلك الرجل استغراب ان يكون هذا فقال يا هذا كان منزعا يرده الله ويقبل به عليه وقال رضي الله عنه
نريد ان لا يعطي الله في مملكته من احد ان لا يعطي الله في لا مغفرة إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا
مملكته فقد احب ان لا تظهر مغفرته وان لا تظهر شفاعة واجهك فضله اذا اظهرت الصفات العالمية

رسوله

بطلت اعمال العاملين فاذا ظهرت حجة العدل على اهل الفضل ومعنه بطلت
حسناتهم وعادت في صغائرها ذنوبا واذا ظهر وجب الفضل لراحمه
اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر وقال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه ان وضع عدله لم يبق لهم حسنة وان نالهم بفضله
لم تبق لهم سيئة ومرح قائله رضي الله عنه الهي ان حاسبتني بعدلك
سيئاتي وان ... لم تقبل حسناتي ومما احسن قول ابي الحسن
الشاذلي رضي الله عنه في دعائه ومناجاته واجعل سيئاتنا سيئات
من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت
فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب
منك وسيأتي في كتاب المولف مثل هذا المعنى قوله الذي
لم تركه ... وقاله ... هجم اعتماد عليه عدل الحق
افلا تنبه فضله قال رضي الله عنه لا عمل أرجى للقلوب
من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك
وجوده في النسخة الموجودة بايدينا لا عمل ارجى للقلوب
ومعناه على هذا الوجه ان العمل الموصوف بهذه الصفة لا تلتفت
اليه القلوب ولا يعتبره عند التفاته واعتباره صاحبه وتحرره
من ... تبقى ... مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على
حذف مضاف تقديره لا عمل ارجى لصلاح القلوب ... معناه
وصلة من اللام ... هذا المعنى وهو قوله

فهم

فقطع النظر عن رؤيته والواقف على الله عن رؤية اعماله وشهود
احوال النفس الداخلة ... والنظر الى ... المولف وكتب ٤٧
ذكره انما ... القبول ... الناسخ ... حروفه ...
بهذا الحرف وتقديره على هذا الوجه ان نقول ... العمل ... الا ...
... فقوله لا ... منقوله ... العزيز ... بل
انما يتقبل الله من المتقين وانما ... العمل من ... باذهاب التعجب
النفس في القيام بحقه ونقصه فيه ... عنه اذا كتب
شهوده ويحقر عنك وجوده فلا ... ولا يعتمد عليه ...
ان لم يكن على هذا الوصف بل كان ... الله ... الله
... شهوده منة الله تعالى عليه ... له ... ذلك على العجب
... لذلك عمله وخاب سعيه قال ابو سليمان ... رضي الله عنه
ما استحسنت من نفسي شيئا ما استحسنته وقال ...
رضي الله عنه كل طاعة ... الذي ... به ... وذلك دليل
على انه لا يقبل منك الا ... مرفوع ... عنك ...
فقطعت عنه ... وذلك دليل على القبول ...
العارفين ... القبول العمل ... نسيانك اياه والغفلة ...
عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه ... رفع الحق تعالى لذلك العمل ... لا يبقى

عندك منه شيء فإنه إذا انتفى عنك منه شيء لم ينتفع إليه فيتوله
ليتيقن نفسك وعند نيته فينبغي للعبد إذا عمل عملا أن يكون عنده
نسيا منسيا فإذا كان خاليا من انتظار النفس ورؤية التفعل حتى
يحصل له وقال المؤلف رضي الله عنه **إنما أورد عليك**
الوارد لتكون به عليه واردا الوارد عبارة عما يرد على
القلب من المعارف الربانية والمكاشفات الروحانية ليطهره بذلك
ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لأن الحضرة
منزهة عن كل قلب متكدر بالأكدار متلوث بأقذار الأغيار فإذا إنما
أورد عليك لتكون به عليه واردا وقال المؤلف رضي الله عنه **أورد**
عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك
من رق الآثار الأغيار عبارة عما سواه وهي شرفه لك
وذلك لوجود محبتك لها وسكونك إليها واعتمادك عليها فإنما
أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ليحررك من
ملكيته من الشرك والأغيار ثم إن هذا المعنى ما ضرب الله من المثل
للعلم ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
هل يستويان مثلا فتسلم من يد الأغيار وحررك من رق الآثار
لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سلما لله عز وجل وقال أيضا
أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك

الى

الى فضاء شهودك سجن وجوده هو شهوده لنفسه
ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن يغيب عن ذلك بشهوده عظمة
الله عز وجل ورؤيته قيام حركاته وسكناته به قال أبو القاسم
النصرابادي رضي الله عنه سجنك نفسك إذا خرجت منها وقعت
في راحة لا آخر لها وبيان ذلك من كلام المؤلف في معنى قوله سجن وجوده
الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته و
محصور في هيكل ذاته وقال أيضا **الأنوار مطايا القلوب**
والأسرار أنوار الإيمان واليقين حاملة للأسرار والقلوب الى حضرة
علام الغيوب وتلك هي الواردات المذكورات وقال أيضا
النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس
فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار
وقطع عنه مدد الظلم والأغيار نور التوحيد ونور
اليقين وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما
سجال فإذا أراد الله نصر عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه
مدد جنودها وإذا أراد الله خذلانه عكس فيميل العبد بإذا مال
القلب الى العمل بأمر محمود سواء في الحال متلذذ به في إطلاق
مالت النفس الى العمل بأمر منه سوء متلذذ به في الحال لم
وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من أمر الله تعالى الى

نصرة القلب وبادرت الكلمة التي هي من وسواس الشيطان وبقيم
الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله
تعالى سابقة السعادة كما تقدم والقلب بنور الله تعالى واستعان بها
على عاجلة ورغب في الآجلة وعمل القلب بما مال اليه وان الله في الحال
بما يرجوه من التنعم به في المآل وان سبقت له من الله تعالى الشقاوة
والعياذ بالله دخل القلب عن النور واعمته الكلمة عن منفعة الآجل
واغترته لذة العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه وان مال في الحال
بما يحصل له من لذة المال وعند التقلب الصغير والتجلي القتال بين
الجندين انسبيل للعبد انا يرجع الى الله تعالى ويلجأ اليه وكثرة ذكره
له وحده وتوكله واستعاذته من الشيطان الرجيم وهو قوله
بعبارة اخرى متى ورد عليك الوارد لتنكر به عليه واردا الى هنا
نفر منها صاحب الكتب وكررها بالفاظ مختلفة والمعاني فيها
متقاربة وهذا على انه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله عنه
النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب
له الاقبال والادبار فهذه الفاظ مختلفة لكن معانيها
النور يعني به كشف الغيبات حتى يتضح ويظهر والبصيرة
التي تقول في القلب يعني الحكم وهو حجة بها بشاهد له والقلب
له الاقبال على ما يقتضيه ما شاء تعدته البصيرة وله ايضا الادبار

وكما لا يعلم ما شاء تعدته البصيرة وقال ايضا لا تفرحك
الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها
برزت من الله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون الفرح بالطاعة على
وجهين فرح بها من حيث تشهدها من الله تعالى نعمة منه
وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد وله
هو مقتضى شكرها وفرح بها من حيث كونها من العبد باختياره
وارادته وحوله وقوته فهذا فرح مذموم منهي عنه
وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل والفرح بها على
هذا الوجه فرح بالدنيا ومنافيه اخر الكتاب انواع الفرح بالله
وما يحمد منه وما يذم تامة مستوفاة وقال ايضا رضي الله عنه
قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية
اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلانهم
لم يتحققوا الصدق مع الله فيها واما الواصلون
فلانه غيبهم بشهوده عنها السائرون
الله تعالى بنعمته على اللعين يعني من حيث جعل معهم ذلك لانه يعلم
معه ولم يخدعهم لسواه فالواصلون فعل ذلك بهم ولو كرها
والسالكون فعل ذلك بهم كرها ولله ليستحضر في القلب

ولا أرض طوعا وكرها فالمواصلون تقطعهم عن ذلك بشهودهم له
بحضرة قربه ومن يشاهده لم يشاهد معه غيره إذ محال أن يراه ومن
يشاهد معه سواه والسالكون تقطعهم عن ذلك عدم تحققهم با
لصدق والبراءة من الدعوى فهم أبدا متهمون لأنفسهم في توفية
أعمالهم وتصفية أحوالهم قال الشيخ رضي الله عنه من علامة
من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في إخلاصه والغفلة
في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعات
في فقره فيكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا إلى
الله في قصده وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال أبو عمرو إسماعيل
ابن نجيد رضي الله عنه لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى يكون أفعاله
عنده كلها دعاوى وقال أبو يزيد رضي الله عنه لو صفت لي تهليلة
ما باليت بعدها بشيء وإلى هذا المعنى تشير الحكاية التي تروى
عن الواسطي رضي الله عنه وذلك أنه لما دخل نيسابور سأل أصحاب
أبي عثمان رضي الله عنه بماذا كان يأمركم به شيخكم فقالوا كان يأمرنا
بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية
المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها
قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وإنما أراد الواسطي
بهذا صيانتهم عن محل الإعجاب لا تعريجا في أوطان التقصير أو تجويزا

للإخلال

للإخلال بأدب من الآداب وقال رضي الله عنه ما بسقت أغصان
ذل إلا على بذر طمع البسوق الطول يقال بسقت النخلة
بسوقا إذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والأغصان جمع
غصن وهو ما يتشعب عن ساق الشجر ويجمع أيضا على أغصن والبذر
الحب الذي يزرع وبعده وكلها استعارات مليحة والطمع من
أعظم آفات النفوس وعيوبها الفادحة في عبوديتها بل هو
أصل جميع الآفات لأنه محض تعلق بالناس والتجاء إليهم واعتماد
عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من المذلة والمهانة ما لا يرضى به
ولا يحل لمومن أن يذل نفسه والطمع مناقض لحقيقة الإيمان الذي
يقتضي وجود العزة التي يتصف بها المومنون إنما تكون برفع
همومهم إلى مولاهم وصدق نيتهم قلوبهم إليه وتفنيهم به دون من
سواه وبهذه هي العزة التي وصف الله عز وجل المومنين قال تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمومنين وكما أن العزة من صفات المومنين
كذلك الذلة من صفات الكافرين والمنافقين قال الله تعالى إن الذين
يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين قال أبو بكر الوراق الحكيم
رضي الله عنه لو قيل للطمع من أبوك قال الشك في المقدور ولو قيل
ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان
قال أبو الحسين الوراق النيسابوري رضي الله عنه من تعزز بمعصية

حسنة في محل الدنيا فقد فتلدا بسبب الطمع ومن طمع في شيء ذل
وبذل له هلك وقديما قيل ان الطمع يذل ويعمي انما يقطع اعناق الرجال
المطامع فالطامع لا محالة فاسد الدين فعليك من انوار البصيرة قال
في التنوير وتعتقد وجود الورع من نفسك اكثر مما تعتقد ما سواه
وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع بسبعة ابحر لما
طهره الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم علي بن ابي طالب
رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم
حتى جاء الى الحسن البصري رضي الله عنه فقال يا فتى اني سائلك عن امر فان
اجبتني عنه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد راى عليه
سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك الدين قال
الطمع قال فما صلاح الدين قال الورع قال اجلس فمثلك يتكلم على
الناس قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول كنت
في ابتداء امري بثغر الاسكندرية فجئته الى بعض من يعرفني فاشتريت
منه حاجة بنصف درهم ثم قلت لعله لا ياخذ مني فهتف بي هاتف
السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول
صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء
والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك ايها المريد برفع همتك
عن المخلوقين لا تذل لهم بنفسك فسيفني فيهم وجودك وتفتح ثبوته

قبل

قبل ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ ايها الرجل ما قدر لمضغه
ماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه فكله ويحك بعزة ولا تأكله
بذل قلت فتقدم الان من كلامه في التنوير ذكر الورع في مقابلة
الطمع ولنذكر جواب الحسن البصري رضي الله عنه لما سأله
علي عن صلاح الدين وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما والورع
الورع الكامل لعامة الناس يعوزه ترك المشتبهات والـ
اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكر [illegible] الطمع وط
ما هو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عند جهة البصيرة كمال
التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهمة عليه
وهما تنفعه القلب به ولا يكون له ركون الى غيره ولا انتساب الا اليه
لا ركون [illegible] فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل
معنى وحال المسعد كما نبه عليه الحسن رضي الله عنه في جوابه المذكور
قال الحبار معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر ولا
تتحرك الا لله وورع في الباطن وهو ان لا يدخل قلبك الا الله وقد ذكر
ان بعضهم كان حريصا على ان يرى احدا ممن هذه صفته فجعل يتنقل
في طلبه ويخبر اهل التوصل اليه بان يأخذ الشيء بعد الشيء من عند الله
ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لم يعطيه منهم جزاء ولا
خذ الا لك فكانوا يأخذون ولا يسمع من احد جوابا مما
اراده له بكلمة من الا [illegible] ذات يوم بعينه وهي [illegible]

ومتبعته وعن ذلك انه قال لاحدهم خذ لك فقال له اخذ لولا منك فان
كان للعبد استشراف الى الخلق وسبقته نفس فلا يجب الرزق ويعرك
فمقتضى هذا الورع الواجب في الادب ان لا يقبل بنفسه شيئا
فما بانيه على هذه الحال عقوبة لنفسه وتكره الى ابناء جنسه
كقصة ابو الجامع احمد بن حنبل رضي الله عنه وهي معروفة وكما
روى عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه انه اتاه احد بقمح فباز عنه بعض
وقالت له بانزوجه ابن هذا فقال انا اعرفه من ابن نعوبا حدوكم الله
وامر بعض اصحابه ان يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لانه تكون نفسه ران
الخلق فيكون بيد الرفق وقد قيل اصل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا
سألت فيه احدا من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي
ذكرناه واوضح الغرض الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة
من المتاخرين ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه فانه قال
ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق نسبة في اخذ واعطاء او قبول
او رد وان يكون النسوك له تعلق وسوى بالذي الله كما هو من جميع
الاشياء والعلم والعمل كما قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما
خلقناكم اول مرة وقال ايضا الورع ان لا يخطر الرزق بالبال ولا يكون
بينك وبينه نسبة الا في التحصيل واعتقد انما قدر لك لا بد منه
يأتيك لا وقال ايضا الورع ان لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله في
التحرك والسكون فاذا رأيت الله ذهبت الحركة والسكون ويبقى مع
الله

62

له بالحركة كمن لما سبقته كما قال ما رأيت شيئا الا رأيت الله فيه وقبله
الله ذهبت وقال ايضا اجمع العلماء ان الحلال المطلق ما اخذ
من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التوكل وقد قال
بعضهم الحلال الذي لا ينسى الله فيه الى غيره هذا من العبارات التي عبر
بها عن هذا المعنى وقال بعض هذه الطائفة الفقير للخلق يأكلون
ارزاقهم ثم يعرفون في المشاهدات فمنهم من ياكل رزقه بذل ومنهم
من ياكل رزقه بامتهان ومنهم من ياكل رزقه بانتظار ومنهم من ياكل
رزقه بعز فلا مشقة ولا انتظار ولا ذلة فاما الذين يأكلون ارزاقهم
بذل فالسؤال الحصره ورأيت الخلق فيبذلون لهم واما الذين ياكلون
ارزاقهم بامتهان فالصناع يأكل احدهم رزقه بمشقة وكره واما
الذين ياكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر احدهم نفاق سلعته
فهو متعوب القلب معذب بانتظاره واما الذين يأكلون ارزاقهم
بعز من غير مشقة ولا انتظار ولا ذلة فالصوفية يتعبدون العزيز
يأخذون رزقهم من يده بعزة وقال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه ليس في الايمان الحساب انما الاسباب في الاعمال قال الشيخ
ابو طالب رضي الله عنه معناه ليس في حقيقة الايمان رؤية الاسباب
والسكون اليها انما رؤيتها والطمع في الخلق يوجب نقص الايمان
سبيل وقد صنف المؤلف رحمه الله في الكتاب من فصل هذا

المعنى ومعه جميع وظايف الاداب الدينية اصلا ومبنى وقد بينا
نقله في هذا الموضع من صواب العمل متكفل ان شاء الله تعالى
مجالس الامل قال رضي الله عنه واعلم رحمك الله تعالى ان ورع الخصوص
لا يعقله الا الفحول من جملة ورعهم تورعهم عن ان يسكنوا الى غيره
او يميلوا بالحب لغيره او يمدوا اطماعهم بالطمع في غير فضله وجوده
ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وخلع الا
نداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والا
عتماد على الطاعات والسكون الى انوار التجليات ومن ورعهم ور
عهم عن ان تعشقهم الدنيا وتوقفهم الاخرة تورعوا عن الدنيا زهدا و
عن الوقوف مع الاخرة صدقا قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت
من بغداد اريد الموصل وانا اسير واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها
وجاهها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها ثم لما
اعرضت عنها عرضت علي الجنة بحورها وقصورها وانهارها
وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الاولى
لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها
هي لك وقسطك من الدارين ياتيك وقال الشيخ عبد الرحمن
المغربي وكان مقيما بثغر الاسكندرية حججت سنة من السنين
فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا هاتف

يقول

يقول لي انك العام القابل عندي فقلت في نفسي اذا كنت العام
القابل ها هنا فلا اعود الى الاسكندرية فخرجت الى جانب الى
اليمن فاتيت الى عدن فانا يوما على شط البحر واذا بالتجار قد اخرجوا
بضايعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل قد بسط سجادة على البحر و
مشى عليها فقلت في نفسي لم اصلح للدنيا ولا للاخرة فاذا انا بـ
قايل من لم يصلح للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا وقال الشيخ ابو
الحسن رضي الله عنه الورع نعم الطريق لمن كمل ميراثه واجزل ثوابه
فقد انتهت بهم الورع الى الاخذ من الله عز وجل وعن الله والقول
بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفايقة
فهم في عموم اوقاتهم وساير احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا
يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا
يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون فهم مع العلم على حقيقة
العلم فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فهم اعلى واجمل
سواه فهو امامهم لا من قال الله بورعهم عنه الا ان لهم مع
الحق منازلات النزع عليهم وحكم بكل علمه وعلم ميراث
فهو محجوب في دنياه ومطرود في اخراه وميراثه النقد خلفه ولا
مستكبر على مثله والدالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين
والعياذ بالله العظيم من ذلك ولا باس بمن يتورع عن هذا الورع

وبمستعينه ورجاؤه منه انه هو السميع العليم ومن لم يزدد بعلمه
وعمله افتقارا الى ربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فنعوذ بالله من القطع
كثيرا من الشمسة من تعداد هم عن موجدهم فما يستعيذ بالله السميع
السميع العليم [illegible] فمتمسكا انه يتصل الى لياليه لا [illegible]
[illegible] اخبا به [illegible] الورع [illegible] ذكره التفسير [illegible]
حصل بمسك العقل [illegible] الشرع من الورع الا [illegible] فمن انتظم
[illegible] الورع الى الاخذ من [illegible] والعمل [illegible]
على النفس بالورع [illegible] والبصيرة [illegible]
[illegible] الورع [illegible] الطمع [illegible]
[illegible] الورع [illegible] الطمع [illegible]
[illegible] الورع [illegible] الطمع [illegible]
[illegible] موضع [illegible]
[illegible] الطمع [illegible]
[illegible] الطمع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والطمع [illegible] الطمع
[illegible] الطمع [illegible] غير مطمع و

أرباب

وأرباب الحقائق يعتزل عن هذا فلا تتعلق همتهم الا بالله ولا
يتكلون الا عليه ولا ينفقون الا بقدر [illegible] اضطرارا او هلع والتمليات
التي هي متعلقة بالاغنياء عن قلوبهم فزال عنهم الطمع وانتفعوا
بصفة القناعة والورع فكانت لهم المروءة الكاملة والعيشة
الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اهل الفقر ومن
مراتب احوال الراضين قال بعض العلماء من لا يكون القنع فلا تعاطي
لو جاءه الرباب متولد جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا من الانتفاع في
النعمة مع ضعف له ليس يخفى اليه ذلك ولم يعطه طيبه فنفسه منه بحاله
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى فلنحيينه
حياة طيبة قال صلى الله عليه وسلم هي القناعة [illegible]
[illegible] الطمع [illegible]
وليل على الحب له والاحتياج ان يسلو [illegible]
[illegible] دليل [illegible] القلب منه [illegible]
[illegible] الطامع [illegible]
العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع
وقيل لولا الطماع [illegible] الاحرار بكل شيء
[illegible] له وقيل ان العفاف [illegible]
[illegible] الى [illegible] الوصول [illegible]
[illegible] متعلقة [illegible]
[illegible] وقيل [illegible] على [illegible]

ها

عن تلابع الشهوات كيفا صغير
اسر عنه كان فلا عرابه سهل عن تلابع
وكان يقول بر صبيان ومع احد من خير بلا اوامر ومع الاخر خير مع
خالفه كامع فقال الزم بحر معه كامع لما صبر الصعف والكامع
فقال يشتهي ان تكون كلبي فقال طاصبر نعم يحصل فيكا به ببر
وجعل يحك بها بغادا الكلب فقال فيه للسائل اما انه لو رضي
بحسرة ولم يحمع به كامل لم يحمل كلبا لطاصبر وحكى بعضهم
انه دخل على تلميذ له فقال ليه التلميذ ضم افتقارا ولم يكن كسر
اداء والعجز يتمنى يعلمه ان لينا كان ذاك لم يقدم الى الاستاذ
فقال الاستاذ وقال تعالى معه محمد الى باب التسبيح سرا
الناس يضرب واحد ويقطع واحد ويعذب بكل واحد بانواع
العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء الذين لم يصبروا
على الحق الفقار وقيل ان رجلا اخرج من السجن وجلس
فيه يسئل الناس فقال الا نسأل اعطني فلسا فقال لو
قنعت بالحسن لما وضع القيد برجلك ورأى رجل رجلا من
الحكماء يأكل ما تساقط من البقل على رأس نهر فقال لو
خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت
لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد اردت
ان اذكر ها هنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لينتبه بها
كيف تكون الهمة السنية والاداب المرضية في اخذ
التبلغ من الرتب والقناعة باليسير من الاشياء وروينا

صنف

منه الله تعالى في تحسين القليل والتشكي لو عرفت قال بعضهم
خرجنا الى البرية جماعة من اصحابنا فكنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا
رجل عليه ثياب رثة وله منطق وصفة ووجاهة فقال وبغى
ما لا يبغى مساء فيا فعلت دونه عن الفريق فاخرجنا
ما عندنا فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد نحلت انوار هيئتنا
واثرت العظم في تشعب موضعها وهو كالمسرور الظاهر
ثم قال اكل غيرهم قلنا لا واصحابنا صابر لحاضره وحمد الله
تعالى بتوكله كثيرا ثم اعتزل وقعد باثر اكل جائع
وادركني عليه الشفقة فقمت اليه معطيا وصببت له معتنا
واكثرت له منه فقلت قد علمت انه لم يطعم منه الفرض
بموضع معروف من النصاع منه وجبنه وتسميم وقال
بالعين اما انا فقد صرت جوعا الله بانكثم ردد ثم قال عني
ثم رجعت عنه فقال في رجل الى جنب انه هو فلت لا قال انه رجل
من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب من اولاد سليمان
ابن جعفر المنصور كان يعسكر البلد فقال يخرج منه
معتمر بما عرف لذلك قال ما اعجب قوله لم شعبت به الحسنة
وقلت له يا فتى انا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك
واصبت لا نصل الصبر مثل لا ان تعاد لي وان في فضلا
من احب من البر فقال لو اردت هذا لكان في معرفتي الناس
ولو اجعل بقرينه فقال انا رجل من ولد العباس ...

البصرة وكنت واجد بشر بن الحجي وبذخ ولنا امرأة خادم لي
ان تغسلوا جرابا وادخل ومخدة بور تشي جينها ابا انا لم
اكل بقمح وزد خدا عقبته الخادم فقمت اليها واوجعتها
ضربا ثم عرفت ان موضع بعد اخراج القمح من المخدة فلما نادى ان
يعتذر فيه صورة فضيعة فيعفو لي وقال اين من غشيته وام
وجدت لكم انشأ يقول

يا هذا انه ان تو تسر لبينا . وسر بعد الموت من المنزل
فمعشر لتغبط لما تسعه . فلتشر من غدا ان لم تفعل

ما تنقضت من عمر جنته معلة اذ بعد يا هجر اضيع قال
الوليد فلما فغضب حرثه مثل نعمته ومضى ومن فضل
عن الله بما اعطت من احسان وبر الله بما يسأل لا بهمل الا النظر
من الحكمة تفضل عن الله تعالى بما اعطت احسانه ومولات
فضله وامتنانه والنعو من المعنى لا تنقاد الا بسلاسل
الامتنان ووقوع الطيب في الاقوال والابرار والعفو في
السلاسل استعارة حسنة قال بعض ابو عمر بن رضي
الله عنه نسبة عز وجل استدعاء العباد لعباده
بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته
فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان
مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا وكرها ومن لم يشكر النعم
فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها وشكر النعم

موجب

موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب
لزوالها وانفصالها قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم
وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم اي
اذا غيروا ما بهم من الطاعات وكفروا النعم غير الله تعالى ما عليهم
منه من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على
الكلمة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود
وصيد المفقود وكان يقال النعم اذا رعيت بالشكر فهي اصبر
واذا رعيت بالكفر فهي نفار واستحكم على ثلاثة اوجه
شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر
القلب ان يعلم ان النعم كلها من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم
من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله وكثرة الحمد والمدح
له وحمد فعل جميع الجوارح بالنعم واستعمالها ونشرها قال الله
تعالى واما بنعمة ربك فحدث وفضل عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه قيدوا النعم فان ذكرها شكر ومن شكر اللسان
ايضا الشكر للوسائط والثناء عليهم والدعاء لهم وفي
حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر
الناس لم يشكر الله ومن اسامة بن زيد رضي الله عنهم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمام الشكر

الناس لله اشكرهم للناس وبسببه الاطلاع على هذا المعنى
في اخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند الاطلاع الوقف عليه والشكر
بسائر الجوارح ان يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا
آل داود شكرا فجعل العمل شكرا روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله
تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا وسال رجل ابا حازم رضي الله عنه وقال له ما
شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا اعلنته واذا رايت بهما
شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا
اعلنته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال سمعته
لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما
شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال فما
شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير
ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رايت شيئا غبطته
استعملتهما عمله وان رايت شيئا مقته كففتهما عن
عمله وانت شاكر لله تعالى فاما من شكر بلسانه ولم يشكر
بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فاخذ بطرفه
ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر

العبارات

العبارات للشكر فقول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر
باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله
الجنيد رضي الله عنه حين سأله السري رضي الله عنه قال الجنيد
كنت بين يدي السري رضي الله عنه وانا ابن سبع سنين وبين
يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت
ان لا تعصي الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله
لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة [illegible]
[illegible] ان يكون ذلك استدراجا
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الخوف من الاستدراج بالنعم
من صفات المؤمنين وعدم الخوف مع الدوام على الاساءة من صفات
الكافرين فقال من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار
بزمان المهلة وحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة
ومن اراد الحق قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
اي لا يشعرون بذلك وهو ان يقع في اعتقادهم انهم على شيء
ويتمسكون بذلك فنستدرجهم في ذلك شيئا فشيئا حتى ناخذهم
بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم
وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فتحنا عليهم
اسباب النعمة وانواع الرزق حتى اذا فرحوا بما اوتوا
من الخصوصية الزائدة ولم يشكروا عليها بل جعلوها منة
اخذناهم بغتة اي فجاءة فاذا هم مبلسون اي ايسون فالكون

في الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال نمدهم بالنعم وننسيهم
الشكر عليها فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال
ابن عطاء الله كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة و
ننسيهم الاستغفار من تلك الخطيئة من جهل المريد أن يسيء
الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب
لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث
لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد وقد يقام مقام البعد وهو لا
يدري ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد هذا نوع من الاستدراج الذي تقدم
ذكره سوء الأدب من المريد يوجب العقوبة وتأخر العقوبات مختلفة
فمنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها ظاهرة ومنها خفية فا
لعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة
بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لأهل الجهل بالذنوب
والعقوبة بالحجاب لأهل السعادة إلا أن يمن بغطاء الغيوب
وقد تكون العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه والإقامة
في مقام البعد منه وهذا هو من أنواع الحجاب الذي ذكرناه
فإذا انبسط المريد ولم يتداركه رحمة الله تعالى في الحال تغيير
كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على
قلبه وتبدل الأنس بالوحشة وانسلاخ الصفاء بالظلمة
ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الأول إلا بمزيد ما انقطع

عنه الأمداد المتصلة والواردات النفحية فتكشف عنه
حينئذ شمس العرفان وتستتر عنه الكشوفات والبيان
وهذه جنود الله تعالى في قلب العبد ما دام ناظرا إلى الله
تعالى بربه وقمع الخذلان والبعد على الشيطان ما فسد
الذي كوشف به من الحق ورجع إلى منازل نفسه إلا
ما رحم ربه وخرج من الصفوة المختارة ونعوذ بالله من سوء
المغرور ونسأل التوفيق إلى مراعاة أوائل الأمور وما جاء به
المريد ينقسم من القسم الذي ذكر المؤلف يقتضي وجود هذه العقوبة
المحضرة لازمة لأن قوله لو كان هذا سوء أدب إلى آخره
دليل على رضاه بحاله واستحسانه لأعماله وهذا هو الموجب
لعدم الشعور الذي اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان الأمر
متوفقا للمريد ما زاده عنها يقع منه سوء الأدب إلا فعل
له بوا منتقل اللبيب وخوفا من مكره ولم يستحسن حال نفسه
ولم ير فضلا فقال شيخنا أبو العباس رضي الله عنه كل سوء أدب
يثمر لك أدبا فليس بسوء أدب وهو الذي أوجب لك رضا الخلة بينه
وبين ما يريد الذي اقتضاه إقامته مقام البعد لو كان معاملا
في القرب تبعده رؤية نفسه وكان متنكسا تبعا لإرادته
وكان واقفا مع مراد الله به فإن أقدم على ما أراد بنفسه
تداركه الله تعالى بالعصمة وعفا عنه ما أراد وكونه عليه
مسالكه ولم يجعله وما أراده ذلك وبقال من علامات

التوفيق ثلاث دخول اعمال البدايات من غير قصور منها البتة
وصون العوارض عنها مع السعي فيها والفتح بذات العطا والافتقار
الى الله تعالى في كل الاحوال ومن علاماتها القرآن ثلاث تعشر
المصنوعات عليه مع السعي فيه ودخول العوارض عليه
مع الهروب منها وغلق باب العطا الى الله تعالى ونرى الرضا
في الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف ولذلك قال
ابو حفص رضي الله عنه التصوف كله آداب لكل وقت ادب
ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم الآداب الاوقات
بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن
القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال ابو عبد الله
ابن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا
وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء احد
الادب في الظاهر الا عوقب ظاهرا وما اساء احد باطنا الا
عوقب باطنا وقال ذو النون المصري رضي الله عنه اذا
خرج المريد عن الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال
الثوري رضي الله عنه من لم يتادب للوقت فوقته مقت
وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الادب احوج
منا الى كثير من العمل وقيل لبعضهم يا بني في اي الادب
فقال لست [illegible] الادب فقيل له قد [illegible] قال الصوفية
والآداب اللازمة للمريد علامة في ظاهره وباطنه وآداب

الكلام

٥٩

الكلام تبع الآداب الباطن وآداب الباطن هي التي تجالس
الاخلاق بخلقه في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ادبني ربي فاحسن ادبي ثم امرني بمكارم الاخلاق وقال
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا يحصل له ذلك
بدون توفيق الله تعالى وتاييده الا بالرياضة والمجاهدة
قال بعض العلماء رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء
الادب والعبد مامور بملازمة الادب والنفس تجري بطبعها
في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة
فمن اطلق عنانها فهو شريك معها في فسادها ويختلف ما ذكر
[illegible] من المبتدئ والمريد باختلاف الاشخاص فرب شخص
زكي الطبع كريم السجية [illegible] العادة لا يحتاج في ذلك الى كبير
معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فهو
محتاج الى زيادة تعب وقوة همة وشدة مجاهدة [illegible]
[illegible] ونقطع عن [illegible]
وبهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتادب بهم على
[illegible] والانطباع [illegible]
مراد [illegible]
والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكنا [illegible] نفسه وفي سبيل
[illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible] فقال

copyright © Ki[illegible]

بالتأدب بالأمر فإن لم يتأدب بالأمر وبغا [illegible] فإذا أراد العبد
ذلك ترك نفسه وتصرفت أخلاقه وقصر على خدمة أنوار ذلك
فيكون حركاته كلها وباطنه مرموقة من رعاية الأدب حتى يشتغل به
أن العمل بقصد على تجنب أمور غيره مستقرة في ظاهر العلم ويكون
ذلك في مجموعته عليه ذنبا ومثله وقد يعاتب عليه ويعاقب
من أجله قال السري رضي الله عنه صليت ورد ليلة من الليالي
ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك
فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي ثم مددت وعزتك لا
ونار رجلي أبدا فقال الجنيد رضي الله عنه فبقي ستين سنة
ما مد رجله ليلا ولا نهارا وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه
كان الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء وكان يوما في مجمع
فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأني رأيته غير مستند فتنحى
عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لأنه لم يكن عليها
خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك
فعلمت أنه لا يستند إلى شيء أبدا وقال أبو القاسم الجنيد
رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة
أصلي عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون
الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت
في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به فلما انصرفت
إلى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغيره

مقبلا

فثقل علي جميع أورادي فسهرت وأنا قاعد فغلبتني عيني فرأيت
ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد
اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته إنما
قلت في نفسي شيئا فقيل ما أنت ممن يرضى منه بمثله اذهب
واستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط
من الماء عند تراجع الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل
فسلمت عليه فقال تعود يا أبا القاسم فقلت لا فقال غفر الله
لنا ولك اعتبر ذلك وقال الشيخ رضي الله عنه والظاهر أن مراد
أبي [illegible] رحمه الله بسياسة الأدب ما كان فيه نوع ما كان فيه
نوع من الخصوصية وإهمال الرسوم والتصاون التعبد بما يوحي
والتشديد وإدامة الذكر موقف النعمة والخير وما أشبه ذلك
مما يخاف عليه [illegible] ونوع الاستدراج والمكر به وذلك ينبغي للمريد
أن يحتاط ولا يتسع في الأدب ولا يستخف بحد التصوف
وذلك والاستغفار له من محاسبة الخجل وعدم المعرفة
بالصبر فعلى هذا فيه أنواع سوء الأدب ما رأيت وقعت منه
السيادة الأدب فليحذر في أن يستعملها الملازم فيه
ويبادر إلى التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية
أن توجه إليه العقوبة من جهة الشرع والكرم ينبغي أن
يعصمه السر [illegible] مفتضحات هذه الحكايات التي ذكرناها أنه
مراد المؤلف رحمه الله من أنواع سوء الأدب أن يوقع مخالفة

منزا

عن شيء، والاعتراض على الله تعالى وتعالى الشريعة معه والتبري
بأحكام الولاية في نفسه وغيره وأن يبتهج لسانه بالشكوى
إلى الخلق والعيب لما لا يوافق هواه ونقص بالنكرة لما دل على الحس
وإن خص بابه أو حرب على لسانه شيء ورد كما جليلا إلا الاستغفار
منه والتشفع عنه ولعل من تنشأ منه نزلت وأحسن الحسنات
وأفضل القربات وهكذا جعلته مقامات الرضى وهو صار إلى
غاية السعي والعطاء لكان توضيه عليه وتقطع ويده من الحكم
خطابا وأكثر في تؤخر وتوديه ذلك الرضى في إلا قراره والوقوع
في دركات الشر نعوذ بالله ومن هذا صار بعض الصوفية ولو
صغير فلم يعرضه حتى كأنه ابتلي فضيل الرسالات التي نقل إن
ذلك عليه قد أن الاعتراض عليه فيه أفضى إلى الكفر مطوي في قلب وكلي
وقال بعض السادة أذنبت ذنبا فأنا أبكي عليه منذ
ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك
الذنب قيل له وما هو فقال قلت لشيء في أنه كان وقال
بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب إلي من أن
أقول لشيء قضاه الله تعالى ليته لم يقضه وقال بعضهم من الجنيد
رضي الله عنه فقال الله تعالى يحب صنيع ما تعالى يقول ما لك
والدخول بيني وبين ملكي ويقتضي هذا أيضا أن يعلق
قلبه بشيء من الاعتراض على المشائخ والأولياء وأن يتركهم
بعضهم وأحزابهم وأن لا يقبل إشارتهم فيما يشيرون

٦١

به علمه وعرفانه ومعرفة الاستناد لا تؤثر فيه وقالوا أيضا وقال
الشيخ لا يعلى فقال أبو القاسم القشيري رحمه الله ممن
صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد
الصحبة ووجبت عليه التوبة وإن بقاء أهل السلوك فما صار
لا يصل إلى مقصوده وليعلم أن موجب هذا اعتراض حاصل في قلبه
على بعض شيوخه في بعض الأوقات فإن الشيوخ بمنزلة الأسوار
للمريدين قال وفي الشيخ في العلم كالنبي في أمته ولكن ليعلم أنه
أريد به حضرة للتعليم والتربية وتصريف الإرادة والولاية
وصحبة الاستئناس والرياضة وتربية النجاة والحشمة والقبول
بين الناس واستعمال بهم أن يكون ويعظم وينشر به ويتبعه
فيه وسارع بما قدامه هواه وذلك من الكبر لا شيء وبه وهو
تبيينا يتخيل ما هو عليه وعلى تقيد كلبسه واتعاظ
نفسه في كل حال من أحواله وذلك أمر مهم ومنه قال
أبو عثمان رضي الله عنه لا يرى أحد عيب نفسه وهو
يستحسن من نفسه شيئا وإنما يرى عيوب نفسه من
يتهمها في جميع الأحوال وقال أبو عبد الله السجزي
رضي الله عنه من استحسن شيئا من أحواله فإن أراد [illegible]
[illegible] إرادته إلا أن يرجع إلى ابتدائه [illegible] نفسه
[illegible] وقال أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه
سمعت جدي يقول آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه

copyright

فإن استشعر المريد من نفسه شيئاً مما ذكرناه فليبادر إلى قطع
مواده واستيصال عروقه من قبل أن يستحكم ذلك منه
ويرسخ فيه إذ إن الأمور كلها ينبغي أن تراعى كبيرها وصغيرها ومن
أنواع كسوة آداب المريد أن يقتضي العصبية ولا يدعي مقتضيات
الحقيقة إلى رخص الشرع بعد فقد يعد الشرك إلى حكم الجنايات
الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد من محل القربة وللتنزل
فالواقعة إذا رأيت للمريد أنه عن رتبة الحقيقة إلى رخص
الشرع يعد ويعلم أنه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده
بينه وبين الله وقال الخفيف رضي الله عنه الإرادة
استدامة الكد وترك الراحة وليس شيء أضر على المريد من مسامحة
النفس في قبول الرخص والتأويلات وقال يوسف
ابن الحسين رضي الله عنه إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص
فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وقال أبو إسحاق إبراهيم
بن شيبان من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص
وينبغي في الرخصة هنا ما كان من مقتضيات الحال المريد من تناول
الشهوات واللذات والميل إلى الأوطان والمعتادات
والركون إلى الدعة والراحات وارتكاب الشهوات والتنا
وتبعات فإن حال المريد يقتضي مما ينبغي تركه هذا كله وإن
كان بعض ذلك مباحاً في رخصة الشرع للعامة العاصين
وكان إبراهيم الخواص رضي الله عنه يقول إلا أن هذه

الشهوات

الشهوات التي أضلت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها
وحقت أبدانهم بعد اجتهاد ما وحققت قلوبهم بعد قربها
وأظلمت أحوالهم بعد قربها ونسوا الخلاف بعد الفقه
منهم وتوكلوا الكرمين بعد التوكل بها فيشغلهم الدنيا بلباس
سميج فيتطرد إليها وأحوالهم بعد الصفاء ضاموا بعد السهر
وشبعوا بعد الجوع واحتسبوا بعد الفقر فقال
أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أوحى الله تعالى إلى داود
عليه السلام إنما أنا خلقت الشهوات لضعفاء خلقي وأما
ما كان تعلق قلبه منها بشيء فأحبني ما عاقبته بأن
أنزع حلاوة مناجاتي من قلبه وفي أخبار داود عليه السلام في
أرض يا داود نعمة بكلامي وخاف نفسه لتتبعها إلا
فوق شيء منها وأحسب نفسه قد انقطع شهوته في
وإنما أتيت الشهوات لضعفاء خلقي ما بال الأقوياء
أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي فإن
الأرض زينة حجب ولن تعينه عنها يا داود لا تجعل بيني
وبينك عالماً مسكراً يحجبك بجهله بسكره عن محبتي أولئك
قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات
بالصوم فإن الصوم يا داود وتحبب إلي بمعاداة نفسك
امنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك
مرفوعة وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ينال الرجل

وشبعوا

٦٢

درجات الصالحين حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق باب النعمة
ويفتح باب الشدة والثانية يغلق باب العز ويفتح باب الذل
والثالثة ان يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابعة
ان يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامسة ان يغلق
باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادسة ان يغلق باب الامل
ويفتح باب الاستعداد للموت وقال ابراهيم الخواص رضي
الله عنه كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت
منه واخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت
وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير
فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت
كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء فقلت
ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك ويقيك من
هذه الزنابير فقال ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته
ان يقيك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان
ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا وقال
السري رضي الله عنه ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين
سنة او اربعين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها
ولما كان ترك الشهوات والشهوات من شأن المريد ومن صفته
قال ابو ... الوفاء به وكان يعمل على خلاف نفسه ما ...
... قال جعفر بن نصير دفع الي الجنيد درهما وقال

اشتريه الى ربي فما اشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها
في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال وقع
في قلبي انها ... اما تستحي شهوة تركتها لله ثم تعود اليها
قال شقيق البلخي لقيت ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه
بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس ناحية الطريق يبكي فعدلت اليه وجلست عنده
وقلت له اي شيء هذا البكاء يا ابا اسحاق فقال خير فعاودته
مرة واثنتين وثلاثا فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر علي
فقلت يا اخي قل ما شئت فقال اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا
فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني
النعاس اذ انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلو منه
بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقربه مني
وقال يا ابراهيم كل فقلت لا آكل قد تركته
لله تعالى فقال قد اطعمك الله فكل فما كان لي جواب
الا اني بكيت فقال لي كل رحمك الله قال ابراهيم فقلت له
قد امرنا ان لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل رحمك
الله فانما اعطيته وقيل لي يا خضر اذهب بهذا واطعم
نفس ابراهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما
يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم اني سمعت الملائكة يقولون
من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك

انتبهت فاذا انا بعيني اقرها ولم
لا اهل العقد كما مع الله عز وجل ثم
شيئا وقال ما حضر لنفسي انت فلم نزل بلفظ حتى شبعت
ما اشتهيت وحلو وشربة فيه فقال شقيق رضي الله عنه فقلت
له كيف واخذت كسر يحف فبللتها وقلت له ما يصنع اهل
الشهوات اذا اجتمعوا استعملوا ويفرح في الصيف اليقين بلا
سقا فلو يلهم ومحبتنا انها تشفيه عندك حالا ثم رجعت
ابراهيم الى السماء فقلت مقدار هذه الكف وبقدر طاحية
بالجود الى وهو منه جربلا عيم في العقيد وصلة واحسانه
ورحمته وان لم يستفق في قال فقال ابراهيم رضي الله عنه
ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال بعضهم الخلاف لعبد الواحد
ابن زيد ان فلانا وصف لنفسه منزلة ما اعرفها فقال له انظر تنا تا كل
مع خبز ثم او هو ابن يجعل الخبز شيئا فقال ان تركت اكل التمر
فقرب تلك المنزلة فان نعم وغير ما فعل حتى يبكي فقال له بعض
اصحابه لا ابكي الله عينيك اعلى التمرة تبكي فقال ان تعرف النفس
وعمر فان تعبشتر فقد عرفت صدق عزمي في الترك اذا تعو
شيئا ان تعاود ابدا وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى
ابو سليمان الداراني رضي الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت
به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الي
شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي فقد عزمت على التوبة
ما قلت فقال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى فالا

ابو

ابو بكر الجلاء رضي الله عنه اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر
لك على عشرين ايام ان تطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها
فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرين ايام ولكن اترك هذه
الشهوة وقال ابو سليمان رضي الله عنه ترك شهوة
من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال
ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وعن الشهوات السلف رضي
الله عنهم من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا
ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة
حتى روي ان وهب بن منبه رضي الله عنه قال التقى ملكان
في السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق
حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الاخر امرت بان
اهراق زيت اشتهاه فلان العابد فان وبهذا تنبيه على ان
تيسير الشهوات ليس من علامات الخير وقال ابو حامد
رضي الله عنه والاصل المهم في الجملة في هذه الوجوه بالعقل
فانه يصبر على ترك شهوة بعينها اسباب ذلك ويكونه
ذلك من الله تعالى ابتلاء واختبارا فينبغي ان يضيق
يستشعر فانه يموت نفسه كسب الغني في هذا ذلك وحسنه
واذا اتقوى منه كسر فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه
كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة والى
خوف النفس بعقوبة عقابه وحسنت عنده ثلاثون

اشكموة وتفسيره ادريا ضيع عليه الكلية منذ ايام الامام رضي
ابا عامر وهو حسن ومعناه صحيح فتعقد عليه ابن المريد الحلبي
وفي نقل الله بعض من ولاه العقوبة رحمه لدومنة عليهم فلان
ابو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة ما خلا
لتشموا ان الاكثر واحسن كنت خبزا وبقلا وانا اسمع عن القعود
اوفر بيه فقام اصحه وقال هذا كان مع اللصوص وضربوه
سبعين ضربة ثم عرفني رجل منهم فقال هذا ابو تراب النخشبي
واعتذر والى مضيف رجل منهم الى منزله فقدم الى خبزا وبيضا
فقلت لنفسي كل بعد سبعين ضربة وقال بعضهم اشتهي
ابو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين فحصل له
ذلك من وجه حلال فلما مد يده اليه اخذ شوكة
من شوكه اصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا
لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده الى شهوة الحرام
وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في طريق الى مكة
فرأيت الى شخصا ان اني بمعارف فاذا هو قلت
اضطجع والجوع فاذا دخلت البلد رايت فيه منصرا
احتجت ان نام فيه بالمعروف فاخذوه وضربوه فقلت
في نفسي من ايس اطايب منزل الطيب على جوع فتوهتا
من انما اطايب ذلك لا فلا سكنت ان المعارف بغلبة وثبت
انتم بشهوة اذا دخلت البلد ... عن ابراهيم بن شيبان

رضي الله عنه انه قال كنت مع قوم اشتهينا شبعة من
الحلبي والعد من ما نفي ذلك ما اكلنا حتى شبعت فرايت على
... انصعر فوارس مقلقة بشبه نور وجاف فنوهمتها
ما خلا فقال لي قائل ما شئت اليها انها خمر فقلت لا منع ومرض
فلت لا تحانوت من ازل اصبر فاذا بالخير انبتا على الجميع
ما فوقه وضربوه ما لبني خشبة وضربوه بالسجن بعده
شئ دخل استاذي ابو عبد الله المغربي النبيل
فسبع ما له فتشفعها فيها ووقع بصره علي فقال ما شئ ترى
فقلت شبعت خبزا وكذا سرور مما لبني خشبة وسجن بعد
شهر فقال تخوف مجتازا ورددت عقوبته بتركه ان اللقمة
على ظاهره ولم تتقدم فيها شئت فيه من سر امر طلوع ذلك
فقال الله وبما ونعصوا فقال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه وما اصدق ما قال فان من اراد
ان يبادر بها يتعاطاه من تتابعه هواه فقد فتح عنه
بعباده بل يتقي بالتادب سره وجهره ومعناه ق
حكاية خير النساج رضي الله عنه المشهورة ومعناها هو
ذكرناه فانظر فيها فيها المعتبرين فقال
الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر بن محمد بن نصير
قال قال لي خير النساج اكان النسيج حرفتك

Copyright © Ki... ...ersity

قال لا قلت جرابين سميتين فقال عاهدت الله واستغفرت
الله الا اكل الرطب ابدا فغلبتني نفسي يوما فاخذت نصف
رطل فلما اكلت واحدة اذا رجل نظر الي فقال يا حبيبي
عرفت مني وكان للهندي اسمه حبيبي موضع على شبهه وصورته
فجمعني واجتمع الناس فقالوا انظروا الى العبد [illegible]
متخيرا وعلمت بما اخذت وعرفت جنايتي فحملني الى حانوته
الذي كان فيه يبيع غلمانه وقال يا عبد السوء تغيب عني
مرة لا ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وامره بعمل
الكرياس مع بيت رجلي على ان اعمل ما اخذت سبيلا [illegible]
فقال كنت اعمل من سنين فجعلت معه [illegible] الى
لا وقفت ليلة فنعست وفقت في صلاة الغداة [illegible]
وقلت في بعض الليل لا اعود ابدا فعلمت ما صنعت
فاذا الشيخ قد ذهب عني وعدت الى صورتي التي كنت
عليه وانطلقت فتبت على هذا الاسم وكان سبب النسيء
اتباعي لشهوة ما فهمت الله تعالى العقل فعافيني
الله يا سعفت في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم او
ما اصنع بالعالم اذا اتى شهوته على [illegible]
لغير منا جاذ وكسلنا ان شاء الله تعالى فجمعه
مجاهدة النفس عنه قوله لولا مناد من الغيوب ما [illegible]

سير

سير السلف يعني ولهذا المعنى كرهوا الدايم في الشهوات من غير ضرورة
عفة لا تدرك انها تفضي بذلك فلذا شهوته وبلوغ [illegible]
وذلك في الظاهر بمنزلة السم القاتل وقالوا [illegible] شهوته
على صعوبته وقال بعضهم من [illegible] احدا [illegible]
تلك اذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب [illegible]
في الدنيا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج
امراة او كتب الحديث وقال ما رايت احدا من اصحابنا تزوج
وثبت على مرتبته وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه
يقول من تعود افخاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم الا تتزوج
فقال المراة لا تصلح الا للرجل وانا ما بلغت مبلغ الرجال
ثم ما [illegible] الا [illegible] ودم [illegible] حقوقها
معاشرة اهلها والانقطاع عن طاعته [illegible] على المريد
[illegible] رحلته وقد كان [illegible] اي [illegible]
اعظم [illegible] ان [illegible] نفسه [illegible]
بنفسه على [illegible] وحب الجمع [illegible] ومع ما
[illegible] بسبب ذلك من [illegible] و [illegible] لكلهم
[illegible] فقال ابن [illegible] فقالوا اذا تزوج الصوفي
فقد ركب السفينة فاذا ولد له فقد غرقت السفينة

يقول لو كنت اعول في
وكان سفين الثوري رضي الله عنه
حاجة خفت ان اكون جلوازا اعلى العسس وفي الخبر وفي
اخر الزمان قال وفي ذلك الزمان حلت العزبة فعيش نحيف
قال بعض ولد الفقير فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد
الهلكة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد
المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف
الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه اياكم ان لا تنقطع الى النساء والى الشهوات فان
النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهن
مصايد وقضى ربي ادم قبل عصيانه ليبتليه فقد
عصا ابيه الشيطان ومن هذا تنبه يبتليه منه فلما
قال الشيطان الى الخضر ان يبعد الى يوم يشترى بالنساء وان الشيطان
معصر حيث ذكره ابراهيم في وقتكم من قبل ان يبعث ولا يتبعه
منه قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي
ونساءكم ثلاث الطيب والنساء وقال النبي صلى الله عليه وسلم
معصوم وفي نسخة ما كان فيهم معصوم وفي نسخة من اوجد
ظاهرا او باطنا انا لا نضمن لكم الفتنة لغلبتكم واياكم
له اعوانه وان الله عز وجل جعل فتنة فتعوذوا بالله
من فتنتهن اللهم سلمنا فصل رضي الله عنه وقال هو بينه

المريـ

٦٧

المريد رضي الله عنه كان ينبغي للرجل ان يحسن ان تعرضها
عنقه ويبين ان يتزوج امراة في الفتنة لاختلاط العنق
على تزويج امراة في الفتنة والفساد وذلك لا يقول الا بعد
ان التزوج من تسبب الحرام ان تطلب الدنيا في زمان
الفتنة وخوف العنق اقبس حلالا واجر علا فيه فمن تعرض
لا تطلب في ذلك فمعاذ الله عز وجل فان قدر تيسيرا وولد
المريد فسود اعضائه في صغر صغيره فلا يزاد بعد الا راحة اليه
من بعيره لها الا راحة وفي المثل من يعرف بالخبايا لا يعتبر
عليه بالمواساة وقال بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في مناجاته لو نعمت عن طاعته في توبة بعد مخطئه يعلم
ما هو صلى الله عليه وسلم الذنب في الفقه كالذنب في الشعر
فيسبل بعضهم بل يحرم العبد حلاوة الطاعة فقال
تلاوتهم بالمعصية وفي معنى ذلك حضر الزبير فقال
ان اهل الزنى باروا ان شرب متنفع او ان يصاحبه فقال
ولا قال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن سبقت الريد
انتبه عن الابتداء الذي بدا به فيتسعون نعم يحسن لا نعي
يتسعون به وهو يتعفف بعلم فلا الا ان نعوذ لا نطمع
من نعلنا فلبس عن كرنا واتبع هواه وكان امره فرطا
وقد تقدم من كلام المؤلف لا تصحب من لا ينهضك حاله
حاضر

ومن ذلك ايضا حكايته تدل للاحداث والشبان وقبول الارفاق
النسوان فان من تعرض لاستجلاب ذلك منهن مقصر اشرف فان
يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه رايت آفات الصوفية
في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق النسوان قال
الامام ابو القاسم ومن اصعب الافات في هذه الطريقة صحبة
الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع الشيوخ ان
ذلك عبد اهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله
ولو بالف الف كرامة اهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد
من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب
الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء
وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا هاهنا على بعض ما
يعظم فيه الخطر والضرر مما اهمل فيه ابتغاء رضى الله
عنه ذكر العوام التوصية به والنهي عنه وجميع ذلك
يحتمل ان يكون مراد المؤلف رحمه الله في قوله من جميل
الرجوع بسبب الادب وانما لم نغفل عنه هذا الموضع من هذا
التنبيه لان ذلك ينفع للمريد كثيرا والله ولي التوفيق
ان رايت عبدا اقامه الله تعالى بوجود الاوراد وادامه عليها مع طول
الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين
ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد عباد الله
المخصوصين ينقسمون الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون

هم الذين اخذوا من حظوظهم وارادتهم واستعملوا في القيام بحقوق
ربهم عبودية له وطلبا لرضاه وسموا هم العارفون والمحبون
والابرار هم الذين بقوا مع الزاهدون والعابدون وكل واحد
منهم مقيم في مقامه الذي اقامه فيه بعد الابتلاء فيقتضي منهم القيام
بحقوق مقاماتهم على اختلاف انواعها فاذا رايت عبدا اقامه الله تعالى
في عمل البر الظاهر ومواصلة الاوراد التي تحول بها في ذلك
من المعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تحقرن ذلك
لاجل انك لم تر عليه سيما العارفين من تجرد الاخبار وبهجة
المحبين من الشغف برضاه عن تجهم ولا انبساط والادلال
فمن بعد حسبهم فلولا الوارد الالهي الذي اورده الله عليه
ما استغال على عمله وورده فيكون في حق الى عند بشر و
فيحتقر ما ينشر فلم يستحق خصوصي ما منحه ونستقل كثير
ما منحه وهل هذا الا عين ضرورة جهله ونقصان عقله
وسياتي في كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الورد الا جهول
قوم اقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء
وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا الحق تعالى لا
خدمته النافع والمشيئة النافذة لا يسال عما يفعل وهم
يسالون فطائفة اقامهم الحق تعالى بخدمته حتى طهروا
الخدمة وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم
بمحبته حتى طهروا لقربه والدخول الى حضرته وهم

العارفون والعلماء قال ابن عباس رضي الله عنه
الزاهد صير الحق ميراثه من الدنيا والعارف صير الحق ميراثه
ما ذا يشهر لتعبير العبارة الله تعالى بهذه الأمة من التشبه
متعددة ما ذكرناه من الاشتغال وسلام الامر من بيعه
الله بهم والاختيار فقال ابو بكر رضي الله عنه ان اطلع الله
على قلوب اوليائه ممن لم يكن يطلع لحمل الغيب من صرفه
مشتغلهم بالعبادة وذكر العارف ابو نعيم في كتاب حلية
الأولياء عن مسلم بن عبد الله رضي الله عنه انه قال ان الله
تعالى يطلع على رجل فيرى او يفده الحبيب بقسم لهم قسما
من بعيد قسما ولا يجد قلوب العباد ولا قلوب الابدال
موضعا لتلك القسمة من نعمه فمن علمكم ان يعلمهم
بالتعبير بنعيمه وقال بعض ابو العباس السرابي
رضي الله عنه ان لله عبادا ابى يعلمهم بمعرفته فيشغلهم
عنه وله عبادا لم يشغلهم بمعرفته ما هم فيه والى
شاره بالاية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله
فيه حفظ المعنى وقال رضي الله عنه فلما خصوا
الواردات التي لا تحصيها الا بعين صارت القارة
بجميع العباد بوجود الواردات الواردات

هل يكون الواردات
اختيارية

الالبتة

الا احبة فيه ايام من الاشتغال بوجه وكرمات بكرم بقناعتها وتقيهم
من الغالب الا نفسه اي بحالة لينا بدعوتها وبروز نفسهم اهلا لها
وجود استعداده هم وتحسينهم وخصه الله تعالى وهذا باه مقدسة
الى ان تحلياتها مرسومة منزهة عن انقابلها الا بل هي محض كرم وفضل من
الكريم المعطي وقال النفا من زائنته تحسيسا عن بل ما يشتمل
وتعبير الكل ما اشتهد وذاكرا كل ما علم اشتهر كل
معروفة لك على وجود فجعله الاجابة عن كل سؤال والتعبير لكل
مشهود والذكر لكل معلوم اما زاتا على وجود من اتصف بها
فقيل لما الا اشتبه عن كل سؤال على الشفقة منه الاحاطة بجميع
المعلومات وذلك محال في حقه فان الله تعالى يقول وما اوتيتم من العلم الا
قليلا فكيف يتصور منه مع فقد الاجابة عن كل سؤال الا وجود
جهله وابطال الجواب عليه اي ان اعاد السائل موجود الا هنا
ما لا يسأل عنه فيمتنع عن اجابة من الحكمة فيه لذلك وتعليمها معهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه مع الصابيل الذي جاء
يسأله ان يعلمه من غرائب العلم فانه استنصحه وقال له ما فعلت في
راس العلم وكذا وكذا ما اجابه السائل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعالى اعلمك من غرائب العلم وكذلك الخلق
الله تعالى العهد على العلماء ان لا يكتموا العلم اهله كذلك اخذ عليهم
ان يعطوه من غير اهله فلا يسلك هذا المسلك فهو جاهل

والانتفاع ... إذا ... على ... الحال الذي يجب له

فالموافقون الأحرار فبور الأبرار وأسرار أمانة الله تعالى عند العبد
شعاره بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب الخائنين وأيضا فإن الأمور
المشهودة لا يستعمل فيها إلا الإشارة والإيماء واستعمال
ذات فيها إفصاح به وإشهار وفي ذلك إبعاد الحق وإدناء
أن العبارة تعمد لا تزيدها إلا غموضا وانغلاقا لأن دقائق الأمور
يستحيل إدراك حقائقها بالعبارات اللفظية فيوقع ذلك
نكار والقدح في علوم السادة الأخيار فقال أبو علي الروذباري
الله عنه علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خفي وأما العلم
ولعمري نعرفه من المعلومات وقد يكون له علم يختص به فإذا ذكر
لغيره استضربه وإن كان ينتفع به هو فعدم تعريفه من المعلوم
في ذكر ... من وجود جعله وقال أيضا إنما جعل الدار الآخرة

محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها إنما جعل ثواب المؤمنين

الآخرة فيما صح أنه لو جعل أحد في الدنيا لا تسع ما يريد
يعطيهم من أنواع النعيم فيها ولا معنى لما الحصر فلا الدنيا
متداخلة لمساحة ضيقة الأقطار ولعظم الله تعالى إلا أحد
في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة سبع

على نعمائه ضنك بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة هذه الدنيا عن عطيته من أرباب
وأما المعنى فلأن الدنيا موسومة بالدناءة نحو النقص والخساسة والحقارة
وأشياء التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في
خبار أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وأن نور سوار
جوار يحجبهم نور الشمس وما أشبه هذا ويجمع ذلك قوله عز من قائل
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه
عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وأيضا فإن الله تعالى أجل أقدار عباده المؤمنين
فلم يجعل نعيم الجزاء على أعمالهم في دار فانية منقضية منصرمة لأن كل ما
يفنى وإن طالت مدته فكلا شيء بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم
في الملك المقيم وناهيك بشرفها تسميته إياها باسمه الكريم وهو
الحي الذي لا يموت حسبما جاء التفسير في قوله تعالى وملكا كبيرا الخبر من
الله تعالى إلى الملك الولي ويقول له استأذن على عبدي فإن أذن لك فادخل
وإلا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حجاب ثم يدخل عليه ومعه
كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي
لا يموت فإذا فتح الكتاب وجد مكتوبا فيه حبيبي اشتقت إليك فزرني
فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق
على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق في الوادي بطل الرسل ... وقال

من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو كدليل على وجود القبول

ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والنعيم به ويتصور ذلك في اكثر الاعمال كما سيقوله المؤلف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار
لمواظبة عليه على حال نكره واستثقال له بعد انتفى غالبا لما من فضل الحسبة باقية ووجد ان ثمرات الطاعات عاجل بشائر العالمين
بحسن العاقبة ومن يحبه ومن البر الا ود ونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها لوجود الجزاء عليها عاجلا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
من صبر على شدة فيها بعض الا فة والسهولة وانما هي مما دعاه النبي كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الاخرة يحصل من هذا ان وجدان
ثم ما لعبة الخلوة ثم ملكا بعد في ترك الدنيا من اللذة والتنعم وقال الحلاوة علامة على وجود القبول المفتتح لوجود الرضا والجزاء و
ثابت البناني رضي الله عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين لذلك قال ابو الحسن رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاث فان وجد
سنة وقال عتبة الغلام رضي الله عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا ان الباب
به عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة مغلوق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره وعند
حتى تلوته كاني اسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه الصرفة وبالاسحار وقد قيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال
ثم رفعته الى مقام فوقه وكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام جنة معجلة وهي حلاوة في الطاعات ولذاذة المناجاة والاستيناس
يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله تعالى بمنزلة اخرى فانا بعيون المكاشفات وجنة مؤجلة وهي فنون المثوبات وعلو الدرجات
الان اسمعه من المتكلم به فعنده وجدت لها لذة ونعيما لا اصبر عنه قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخالد
وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم انما تنتج الاعمال الصحيحة المستقيمة الصحة وهي التي ليس فيها علة معصية قيل لبعضهم هل تعرف الله بغضب
السالمة من الرياء والدعوى قال ابو تراب رضي الله عنه اذا صدق على السائل وقال تراني اعبد من لا اعرفه فقال له ان تعصه تعرفه وقيل
العبد في العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله واذا اخلص فيه وجد حلاوته لبعضهم هل تعرف انك عرفته فقال لم اقصد في الجنة الا ورع على قلبي
وقت مباشرة العمل وان الاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة باستحيائه منه وقال اسماعيل بن نجيد رضي الله عنه النعمان ربا الامر ض
الله تعالى وقد جاء الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء ولا قلة المعرفة بالامر واذا العصيان في حال العرفان بعيدها رب وفعت
ان العمل الصالح من الرياء والسمعة مقبول مع قوله عز وجل انما يتقبل منه زلة او دفعه ثم بحكم وكان امر الله قدرا مقدورا وجد لا عاملة
الله من المتقين وقبول الله تعالى العمل العبد ورضاه به بعو ثوابه المعجل لذلك من ارث والذابه قلبه فوجدان هذه الثمرة والاعلى المعصية

السطايح

كما

علامة صحة ما وجد من الحلاوة واللذة في الطاعة بمعنى أن حلاوة الطاعة
هي الميزان للأعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التي
يجدها المريد والجاهل بعد الاعتياد في بعض العبادات بعد خولة محمولة
على ما جبلت من تنشيط العبادة للهوى كمنه على العبادة في الحلاوة على
أنها طلاوة وإذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له أن يقف معها ولا يفرح
بها ولا يسكن إليها وكذلك أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله إلا نيلها
لما له فيها من اللذة والحظ فإن ذلك مما يقدح في إخلاص عبادته وتوجه
صدق إرادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لأعماله ومحكا
لأحواله فقط قال الواسطي رضي الله عنه وأقل ما في ذلك أنك إذا فتح
لك باب حلاوة الطاعة تصير فيما بعدها تستطيبها الحلاوة وتدعها بعونك
صدق الإخلاص في نحو ضحك لها وتجد واستقلالا فيها بالرؤية ولكن
لما وجدته من الحلاوة والمنفعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن
إنما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء
تعجلته في الدنيا فلا يبقى يوم القيامة ولا جزاء لك وقال ابن عطاء الله

إن أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا
يقيمك هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى
من قلبه فإن الله عز وجل ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه
فهذا الإنزال المذكور المنسوب إلى العبد هو معنى الإقامة المذكورة

إذ

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

إذ العبد لا يقدر على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه
إنما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب
المكي رضي الله عنه فإذا كان العبد ينظر مولاه مكرهة وحرماته معطلة
وإلى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في آخرته لوجهته مكرمة
ولشأنه معظما ولمثوبته من النعيم المقيم مسارعا وإذا كان العبد
بعز مولاه متعديا وبأوامره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان
الله عز وجل له مخيفا ولشأنه متهاونا وإلى ما يكره من العذاب الأليم
له مسارعا والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه قرأت في بعض
الكتب يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك إني عالم
بخلقي إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري ولست بناظر في
حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي وقال ابن عطاء الله **متى رزقك الطاعة**
والغنى به عنها فاعلم أنه أسبغ عليك
نعمه ظاهرة وباطنة المطلوب من العبد شيئان إقامة الأمر في
الظاهر والتعلق بالله في الباطن وهو أن يستغني به عن غيره فإذا
رزق الله تعالى العبد هذين الأمرين فقد أسبغ عليه نعمه ظاهرة و
باطنة ووصله إلى غاية لا أمل في الدنيا ولا فوق سبحانه جل وعلا وقال
خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك إذ كان لا بد
من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك ولا تستغن به عن سبيل
العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومرادك لأنك لا

حينئذ تكون ربح وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تأخير ولا مطال أن
طلبت منه نفسك ونيل مرادك بعد تحصيل ذلك تأخير ومنع معه
ما يعوقك حينئذ من حضور أدب الطلب حكي عن أبي الحسن الديلمي
رضي الله عنه قال وصلت إلى انطاكية لأني سمعت أسود يتكلم على القلوب قال
فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيئا من المباحات يريد أن يبيعه فسا
ومته فقلت له بكم تبيع هذا فنكس إلي ثم قال اقعد فإنك جائع منذ
يومين حتى إذا بعته هذا أعطيك من ثمنه شيئا قال فمضيت إلى غيره
وتغافلت كأني لم أسمع ما قال وساومت غيره ما كان بيده ثم رجعت
إليه وقلت له بكم تبيع هذا فنكس إلي ثم قال اقعد فإنك جائع منذ
يومين حتى إذا بعته هذا أعطيك من ثمنه شيئا قال فوقع في قلبي
منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيئا ومضى قال فمضيت خلفه
لعلي أستفيد منه شيئا فالتفت إلي وقال إذا عرضت لك حاجة
فأنزلها بالله إلا أن يكون لك فيها حظ فتحجب عن الله وعن
أبي القاسم الجنيدي رضي الله عنه اللهم كل سؤال سألته مع أمرك
بالسؤال فاجعل سؤالي إليك سؤال محبتك ولا تجعلني ممن يتعبد
بسؤاله مواضع الحظوظ بل بمثل القيام بواجب حقك وعنه
أيضا اللهم إني أسألك منك ما هو لك واستعيذك من كل أمر يشغلني
اللهم ولا تشغلني بشغل يشغلني عنك ما أراده منك إلا أن يكون
لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك إلا ما هو

لك

لك اللهم اجعل غاية قصدي إليك ما هو لك ولا تجعل قصدي إليك
ما أطلبه منك وقال أيضا * **الحزن على فقدان الطاعات
مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار**
هذا هو الحزن الكاذب الذي يكون عنه الكاذب كما قال أبو القاسم
عين جارية وقلب قاسي وهو من مكر الله تعالى الخفي حيث منعه وأعطاه
ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة رضي الله عنها رجلا يقول
واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهنا لك أن تتنفس
وأما الحزن الصادق فيحمله ما هذا وهو مقام من مقامات السالكين
وهو يبعث على ملازمة فعل الأعمال والنهوض إلى الطاعات بحسب الحال
قال الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله
عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين وفي الخبر إن الله
يحب كل قلب حزين وفي التوراة إذا أحب الله عبدا نصب في قلبه
نائحة وإذا أبغضه نصب في قلبه مزمارا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة وقيل الحزن إذا فقد من القلب خرب
ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فإذا الحزن الذي يجده
العبد من نفسه إن لم يبعثه على النهوض وإلا تكبر فلا يزال حتى يعاود
بذلك من علامات الاغترار وليس من مقام السالكين الأبرار وقال رضي
**العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من
إشارته بل العارف من لا إشارة له لفنائه في**

وجوده وانطوا به في شهوده الاشارة الطف من
العبارة وادق كناية وتلويحا لا تصريحا وهي التي يستعملها
اهل الطريقة فيما بينهم عند حضرتهم للسان التوصيف كما
تقدم عند قوله من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا لكل ما شهد
والمشير الى الله تعالى يحكي لاشارته وان وجد الله تعالى اقرب
اليه من اشارته عبر عنه على التحقيق لانه يوجب التعرفة بشعور
ه للاغيار وبل العارف الفاني في وجوده المنكوي في شهوده لا
غاب عن الاشارة والمشير والمشار به سبيل الله قال رضي الله عنه
عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله عز وجل فيجد الله مع
نفس الاشارة فقيل له فالذي يستوعب حاله فقال يفقد وجود الله
باسقاطه الاشارة وسئل ابو علي الروذباري رضي الله عنه عن
الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار
اليه لا غير وفي الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة
عن عين الحقائق وقال الشبلي رضي الله عنه كل اشارة اشار بها
الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس
لهم الى ذلك طريق وقال ابو يزيد رضي الله عنه ابعدهم من الله تعالى
اكثرهم اشارة اليه وقال رضي الله عنه **الرجاء ما قارنه عمل**
والا فهو امنية الرجاء خلق شريف من مقامات اليقين
وهو تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل ... الحق

رجا

رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه واما الرجاء الكاذب الذي يفتر
صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء
ولكنه امنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله تعالى قوما تمنوا مثل هذا او قد
اصروا على حب الدنيا والرضا وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلف
والخلف الردي من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي
رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا
سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقد قالوا
من زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فكذلك فليزعم ان طلب الربح من العقيم
وقدح النار من البحر صحيح وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسن رضي الله عنه ان قوما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول احدهم
احسن الظن بربي كذب لو احسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قول الله
تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين
وكان يقول رضي الله عنه عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية
النوكى يحلون فيها والله ما اتى الله عبدا بامانيه خيرا في الدنيا ولا
في الاخرة وكتب ابو محمد المنصور الى بعض اخوانه اما بعد فانك
قد اصبحت تامل بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك

وإنما يفرح به بداية الإرادات قال ابن عطا رضي الله عنه **مطلب العارفين**

من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية

مطلب العارفين من ربهم أعلى من مطلب غيرهم سواء كان عابدا أو عالما
أو زاهدا لأن مطلب العارفين إنما هو الصدق في العبودية والقيام
بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا التفات مع نفسه وكل
من عداهم لم يبالوا في الحظوظ والأغراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام
المؤلف رحمه الله خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدي أبو
مدين رضي الله عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من
همته رفع الستور ودوام الحضور وقال أيضا رضي الله عنه

بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتر
كك مع البسط وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء

دونه مراتب القبض والبسط من الحالات التي تتلون فيها العارفون
وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريد المبتدي وسببهما الواردات
التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات
وضعفها والمقصود هاهنا أنهما وما يتفرع عنهما بالنسبة إلى
ما فوقهما فإنهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده ومن لطف الله بعبده
تلوينه فيهما ثم إخراجه عنهما بغيابه عن نفسه وبقائه بربه قال
الجنيد رضي الله عنه القبض أولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض
والبسط يقعان في الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا وكان الجنيد

رضي

رضي الله عنه يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني
والحق يفرقني فإذا قبضني بالخوف أفناني عني وإذا بسطني بالرجاء ردني
علي وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري
فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي وموحشي غير مؤنسي
بحضوري لذقت طعم وجودي فليته أفناني عني فمتعني أو غيبني عني فرو
حني وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام
بعيد طويل لم يحتمل هذا المختصر إحضاره فليتأمل هناك وقال

العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ولا يقف
على حدود الأدب في البسط إلا قليل إنما اشتد الخوف

على العارفين في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملاءمته لحظوظ أنفـ
ـسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف لأنهم يخافون حينئذ من
رجوعهم إلى الوجود وفيه حظ نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب
أبو سعيد الخراز إلى الجنيد رضي الله عنهما إذا أذاقك الله طعم نفسك
فإنك إن ذقتها لا تذوق بعدها خيرا أبدا ومن ثم تأكد عليهم
في ذلك ملازمة الأدب ودوام الافتقار والانكسار وذلك أمر عسير
في هذا الحال ولذلك قال لا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل
كما قال المؤلف رحمه الله وقد قيل قف على البساط وإياك والانبساط
وقال رجل لأبي محمد الحريري رضي الله عنه كنت على بساط الأنس وفتح علي
طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل إليه دلني

عن الوصول إلى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال إن الكل في حفظ هذه الحظوظ
لأنا نشتد كأبياتنا للبعض وأنشد يقول شعر

فقف بالديار جهدك أنا رهين نبكي الأحبة حسرة وتشوقا
وكم قد وقفت بربعها مستخبرا عن أهلها أو سائلا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشائخ عن تلك الزلة فقال انبسطت مع الحق بغير أدب
قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن هذا خشي الأكابر
والسادات قال بعض الطائفة قف على البسط مزلة أقدام الرجال فهو
موجب لمزيد حذرهم وكثرة خوفهم والقبض أقرب إلى وجود السلامة
لأنه وطن العبد إذ هو في أسر قبضة الحق وإعلام الحق محيطة به ومن
أين يكون للعبد البسط وهذه صفته والبسط خروج عن حكم وقته
والقبض اللائق بهذه الدار إذ هي وطن التكليف والبهائم الخاتمة
وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى قال وأخبرني بعض
الصوفية قال رأيت شيخنا في المنام بعد موته مقبوضا فقلت
له يا أستاذ ما لك مقبوضا فقال لي يا بني القبض والبسط مقامان
من لم يتوجه في الدنيا وفاته في الآخرة حال وكان هذا الشيخ الأ
الغالب عليه في حياته البسط انتهى وقال أيضا رضي الله عنه

البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح
والقبض لا حظ للنفس فيه وهذا الشأن لا تنفع معه

مراعاة

مراعاة الأدب في البسط أمر عسير وذكر أن البسط وجود حظ
النفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا تتمالك حتى تقع في سوء
الأدب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان أسلم وكان الأستاذ
أبو علي الدقاق رضي الله عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ
العبد منه ولأن تكون بحقه منك أتم من أن تكون بحظك منه وأما أدب
القبض والبسط فلا أعلم أن من استوفى الكلام فيهما وعلما إلا الصوفية
ومصنفيهم وإنما وجدنا في ذلك إشارات إلى أمور جملية كقول
الإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه بعد أن تكلم على معنى القبض و
البسط وتبيين معانيهما إلى أن قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه
سببه فيجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وما سببه فسبيل صاحب
هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لأنه لو تكلف نفيه أو استقبل
الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعد ذلك
منه سوء أدب وإذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فإن
الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف
صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه
السكون ومراعاة الأدب فإن في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر
مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت
عن مقامي انتهى كلام الإمام أبي القاسم وقد رأيت كلاما مستوفى في
آداب القبض والبسط لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

فاحببت ان اذكره هاهنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها المولف رحمه
الله تعالى وان كان كلام الشيخ ابي الحسن في ذلك اعم مما تعرض له غيره من
مواجد الصوفية قال رحمه الله القبض والبسط قل ما يخلوا العبد
منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق يقتضي منك
العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلوا ان يعلم سببه او لا يعلم
واسباب القبض ثلاثة ذنب احدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت
لك او ظالم يوذيك في نفسك او في عرضك او ينسبك لغير الدين
ذلك فاذا ورد عليك القبض من احد هذه الاسباب فالعبودية ان
ترجع الى العلم فتستعمله كما امرك اما في الذنب فبالتوبة والانابة
وطلب الاقالة واما فيما ذهب عنك من الدنيا او نقص فبالتسليم
والرضى والاحتساب واما فيما يوذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال
واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك وظلمك
لنفسك فان فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال اثابك سعة
الصدر حتى تعفوا وتصفح وربما اثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك
فتدعوا له فتجاب فيه وما احسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك
درجات الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين واما
اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار
فالقبض اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء بالنهار فاذا ورد القبض
بغير سبب تعلمه فالواجب السكون والسكون على ثلاثة اشياء عن الا

قوال

77

الاقوال والحركات والارادات فان فعلت فعن قريب يذهب عنك الليل
بطلوع نهارك او نجم تهتدي به او قمر تستضيء به او شمس تبصر
بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة
وان تحركت في ظلمة ليلك فقل ما تسلم من الهلاك واعتبر قوله تعالى
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون فهذا حكم العبودية في القبض جميعا واما من كان وقته
البسط فلا يخلوا من ان يعلم له سببا فالاسباب ثلاثة زيادة الطاعة
او نوال من المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا
بكسب او كرامة او هبة او صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من
الناس واقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك
البسط من احد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى اثر النعمة
والمنة من الله عليك واحذر ان ترى شيئا من ذلك لنفسك وحصنه ان
يلازمك الخوف خوف السلب مما به انعم عليك فتكون ممقوتا هذا
في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا فهي نعمة
ايضا كالاولى وان خف مما يظهر من افاتها واما مدح الناس لك و
ثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة مما ستر عليك وخف
من الله تعالى ان يظهر شيئا مما بطن منك فيمقتك اقرب الناس اليك
واما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السوال والادلال
والصولة على النساء والرجال اللهم الا ان تقول سلم الى الصمات جهده

ذاذاب القبض والبسط العبودية جميعا ان عقلت والسلام انتهى ما
ذكره الشيخ ابو الحسن وكلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي بيده سوابغ النعم
المنن وقال ايضا رضي الله عنه **ربما أعطاك فمنعك وربما**
منعك فأعطاك منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذا
ته والكون مع حظه عادلة عطاء جزيل منه لانه البقاء معه وانقط
ع حظوظه واغراضه وحرره منها وعكسه هذا فالمنع على التحقيق
وان كان عطاء في الظاهر قال الشيخ محي الدين ابن العربي اذا منعك
فذاك عطاؤه واذا اعطاك فذاك منعه فاختر الترك على الاخذ
فالواجب على العبد ان يترك التدبير والاختيار مع سيده في ذلك فلن يعد
منه ثم قال ايضا **متى فتح لك باب الفهم في المنع**
عاد المنع هو عين العطاء سيأتي بيان هذا من كلام
المؤلف في قوله متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره
الى آخره قال ايضا **الأكوان ظاهرها غرة وباطنها**
عبرة فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب
ينظر إلى باطن عبرتها الاكوان هنا كل ما يمكن ان يكون
للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها ويعني بالغرة الظاهر
فتنة الباطن كل ما فيه على وجه من مصلحة من ملاحته وخفة الثياب
العقول لو كان باد ... وهي من حيث ظاهرها حلوة وبالنظر الى باطنها
مبيعة قد تغر بها النفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك

صاحبها

صاحبها والقلب ينظر الى مخافتها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها
وقد روي في الكتب المتقدمة ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
يا روح الله من اولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم
الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا
حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها
فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا ان
سيتركهم فصار ذكرهم فيها فواتا وفرحهم بها حزنا ما عارضهم
منها رفضوه وما ارتفع لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا
عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت في
صدورهم فلم يحيوها ويهدمونها ويبنون بها آخرتهم احبوا
ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون
بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان
يعقل العلماء ... لا يستطيع في زينة من زخرف الدنيا الكشف
في باطنها فيخرج عن ... قال ابو طالب المكي رضي الله عنه
فعقد عنايته من السلم ... من اولياء الله الظاهرين منه
الدنيا فان وصفها لم يعتبر ... ومن عرفها بالكره حقيقتها
لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يستحوذه زخرفها

وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل
[illegible] ظاهرها جص وباطنها نتن وقال أيضا رضي الله عنه

إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى

العز الذي لا يفنى هو الغنى عن الأسباب كلها بوجود
مسببها لأنه باق لا يفنى والتعلق به عز لا يفنى والعز الذي يفنى
هو الغنى بالأسباب مع الغيبة عن مسببها لأنها فانية فالـ
تعلق بها عز فان لا يبقى وليس لك إلا أحد أمرين لأنهما ضدان
لا يجتمعان فإن اخترت العز الباقي بالله تعالى فانج بنفسك
يدلك ما يحكى أن رجلا أمر بالمعروف لهارون الرشيد فحرد عليه
هارون وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها لتقتله
برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت وكبسوا
عليه الباب ففعلوا ذلك فرئي في بستان وباب البيت مسدود
فأخبر هارون بذلك فأتي بالرجل فقال له من أخرجك من البيت فقال
الذي أدخلني البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذي أخرجني
من البيت فقال اركبوه دابة وطوفوا به في البلد وقولوا يقول هارون
هارون إذا أراد الله عز عبد أعزه الله فلم يقدروا وإن اخترت العز بالأ
سباب خذ لنفسك واستعد لما يكون البدف وكلفة وعلته
الذل والهوان حكي عن بعضهم أنه قال رأيت رجلا في الطواف

وبين

٧٩ وبين يديه شاكرية يطردون الناس ثم بعد ذلك بمدة رأيته أتشأ
يتكفف الناس على الجسر ويسأل شيئا قال فجعلت أنظر إليه و
أتعجب منه فقال الرجل ما لي أراك تنظر إلي فقلت أشبهك برجل رأيته
في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذاك الرجل تكبرت في موضع
يتواضع الناس فيه فوضعني في موضع يتكبر فيه الناس وقال
في التنوير فإن اعتززت بالله دام عزك وإن اعتززت بغيره فلا
بقاء لعزك إذ لا بقاء لمن تتعزز به وقال وأنشد بعض الـ
الفضلاء لنفسه ليكن بربك عزك تستقر وتثبت
فإن اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت
وقال وجد الشيخ رحمه الله على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك
فقال مات أستاذي فقال له ذلك العارف لم جعلت أستاذك
من يموت ويقال له إذا اعتززت بغير الله فعززته واستندت
الغير فعدمته وانظر إلى اللعبة التي خلقت عليهم ما كان الذي فيه
لتستغنيه التي نسبها أنا الله هو الذي لا إله إلا هو وتبعه وسمعه
علمها وقال أيضا رضي الله عنه

الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك

هي مسافة الدنيا إنما يتصور من العبد إذا انشرح ونور اليقين
في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره وتنطوي في عينه ويرى

الحرقة حاضرة لديه موجودة عنده دل ابدا على انه اخذ منه اخذ ذاته
جانبه منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه سبيله فهو لابد
منه حب الغائب ادبا وهو الدنيا واستبدله بالحاضر الباقي وهي
الاخرة ولذلك كان اهل الرغبة في الدنيا وايثارها على الاخرة ضعفاء
اليقين ومن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير
ومن لم يشاهده احب الدنيا وهي لا شيء فلم تكن قيمته عند الله
تعالى شيئا فقد فقد النور الحقيقي لمسارقة الدنيا الذي يكشف
به الخواص اولياءه وبه تتحقق عبوديتهم لربهم عز وجل الا هي
مساعية ... الذي ربما يكون استنده راجحا ومشكرا ولا هي البالية
والايام بالوصول والصيام وترك الشراب والطعام ادل شيء
كالعنة وبراوبيات من كلام المؤلف رحمه الله لو اشرق نور
اليقين لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا
قد ظهرت كسفة الفناء عليها وقال ايضا رحمه الله

العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله
احسان

عطية المخلوق لك حرمان على التحقيق لما فيه
من بقائك مع غير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع
الله لك احسان لانه اخرجك عن الوقوف ببابه وعاملك بوجوده
جمابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من

وجود

وجود محبتك لهم على ذلك وتعلقك مفتون ما اخذ عطاياهم والمنع
من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعل الحبيب محبوب ولله در
القائل بلا البصر النعمة وغيرك مليس ولا قبل الدنيا بمجرد واحب
في وصيته في رفع الهمة لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد
نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن اثقل من الصبر
على العدم ومال اخر عن التنزه عن اثره من سرور العطايا وقال

جل ربنا ان يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة

جزاء الاخرة لا يختص بالاداء الاخرة بل ربنا اظهر الحق تعالى منه
لبعض اولياءه في الدنيا انموذجا يحملهم على الاجتهاد في الا
عمال التي يتعرفون به وجود قبولها في تلك الاحوال وذلك لعظيم
رحمته وفضله سبحانه جل وعلا وقال رضي الله عنه كفاك من

جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلا

فغاية جزاء العامل هو ان يعرفهم عظمته وجلاله ويكونوا بين
ما يستحقون لامعا انفسهم ان يكونوا اهلا لذلك لعظيم العلم
بطاعته ويجدهم فيه بتيسيره وبمعونته فساهم حينئذ
عنه واستولت عليهم فيه ما خشيت اذ ذاك نفوسهم وا
اضمحل وجودهم وذهب بهم الحياة كل مذهب وهذا
هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين

الخير يمنعهم وجدانه على التطلع الى غيره من الحظوظ الا
جله وقال البخاري رضي الله عنه **كفى العاملين جزاء ما هو
فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده
عليهم من وجود مؤانسته** فهذا يكفي ان اجر
لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وسوا العاملون لربهم
يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من انواع اللطائف
ما يستنشقون به روح الانس ويتنعمون به في حضرة القدس
وهذا من علامة وجود الرضوان الاكبر الذي يتلاشى دونه
كل جزاء ويستغني به بعضهم فقول المتملق الحبيب وانما
جازت الغريب في الدنيا اليسير من الدنيا انما هو من الجنة فكيف
لا هل الله تعالى في الدنيا لا يرجع الا هم والجنة سواهم روحا
لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم
اهل الجنة الا ما يجده المتملقون في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة
وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه دخلت على ابي سليمان
الداراني رضي الله عنه يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك
فقال احمد ولم لا ابكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل
حبيب بحبيبه وافترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم
على خدودهم وتقطرت في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه

عليهم

عليهم فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح
الى ذكري واني لمطلع عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى
بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم
حبيبا يعذب احباءه ام كيف يجمل بي ان اخذ قوما اذا جنهم
الليل تملقوا لي فبي حلفت اذا وردوا علي القيامة لاكشفن
لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم **من عبده
لشيء يرجوه او ليدفع بطاعته ورود
العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه** عمل
العاملين لاجل حصول الجزاء وفرارا من عقوبة المولى خول
معلول يسير من شأن العارفين والمحققين لان قيام العبد
بحق اوصاف مولاه يقتضي ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب
او دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء ولا
يستحق عليه هو شيئا ومن اعلام المحبة ليستعملوا الا المحب
يتمتع الذهب بامر محبوبه لا مراده وانما المراد من العبد ان
يعمل لربه عز وجل لا لاجل الطمع في نفسه وما هو عليه من محامد
صفاته التي لا يشارك فيها فان خالف هذا وعمل على طلب حظه
لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم
حبه لربه وحجبته قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه

ما طلعت الشمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا وهم جهال
بالله تعالى الا من يؤثر الله على نفسه وروحه وولده واهله وعلى اخرته
وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه ان اود
الاوداء الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها
وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة
او نار ولو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع قال الله عز
وجل وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا
في طلب الرب فقد الهاه ذلك عن سواه ومر عيسى على ثلاثة
من العباد قد انحرفوا من العبادة كانهم الشنان البالية فقال
من انتم فقالوا نحن عباد فقال لاي شيء تعبدتم قالوا خوفنا الله
من نار فخفنا منها فقال حق على الله ان يؤمنكم مما خفتم منه ثم
جاوزهم فمر بثلاثة اخرين وهم اشد عبادة منهم فقال لاي شيء تعبدتم
قالوا شوقنا الله الى الجنان وما اعد فيها من النعيم لاوليائه
فنحن نرجوه فقال حق على الله ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم
ومر بثلاثة اخرين يتعبدون فقال من انتم فقالوا نحن محبون لله تعالى
لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له و
تعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم
فاقام بين اظهرهم وفي لفظ اخر انه قال للاولين مخلوقا

خفتم

خفتم ومخلوقا احببتم ثم قال للاخرين انتم المقربون قال
الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وممن روي عنه في هذا القول
وافتى في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم ابو حازم
المدني كان يقول اني لاستحيي من ربي ان اعبده خوفا من العذاب فاكون
مثل عبد السوء اذا لم يخف لم يعمل او استحيي ان اعبده لاجل الثواب ف
اكون كالاجير السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة
له قال الشيخ ابو طالب ولقد ورد معنى هذا الكلام عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف
عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وقال بعض اخوان
معروف رضي الله عنه له اخبرني يا ابا محفوظ اي شيء اهاجك
على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت
فقال واي شيء الموت فقلت ذكر القبر فقال واي شيء القبر فقلت
خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا هذا
كله بيده ان احببته انساك جميع هذا وان كانت بينك وبينه
معرفة كفاك جميع هذا قال ابو طالب حدثني بعض اصحابي
قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على
مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات
وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه

فقوم يدخل بعضهم الجنة ويرد ءاخرين قد جاوزتهم الحجة
القدس سره رأيت في سرادقات العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى
الله تعالى لا يطرف فقلت يا رضوان من هذا فقال هذا معروف الكرخي
عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد
اباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخرين حبشي من الحارث
واخي حنظلة رضي الله عنهما وقال ابو طالب وروينا عن رابعة
العدوية وكانت احد المحبين وكان الثوري يجلس بين يديها
فيقول علمينا مما افادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول
له نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم
قولها وكان عالما زاهدا الا انه كان يوثر كتب الحديث والاقبال
على الناس وهي ابواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد
شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك قالت ما عبدت
الله خوفا من النار فاكون كالعبد ان خاف عمل ولا حبا للجنة
فاكون كالاجير السوء ان اعطي عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا اليه
ولا نار ولا جنة بلا ريب هذا المحض الخالص فلا اعمل المريد على
ما ذكرنا الكل عبد الله مخلصا طالبا منه الثواب واستعاذ
من العذاب فانما يطلبه ويستعيذ به انتجازا لموعد ربه وجزاء
صدق وعده لا عدم حقه وانما عاملا لما احب منه واذن له فيه

من

من طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا اوما الشيخ
رضي الله عنه بالحديث المروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة قال اتشهد
ثم اقول اللهم اني اسالك الجنة واعوذ بك من النار والله ما احسن
دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن الا ان يكون هذا
لحصول ذلك وخوفه من فقده باعتماده على العمل لطاعته وصلاته منهم
عباد تحقيق عمل اذ ذاك مدخول معلول لعدم الوفاء بحقه
العارفين الصغير وعليه تنبني قواعد الصوفية كلها وقال
متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك
اشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف
اليك ومقبل بوجود لطفه عليك المطلوب من
العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء
الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم
انما يكون بما يبرزه لهم من النوازل التي يوردها عليهم من الاحكام
التي على قسمين ما وافق النفوس والطبع ويسمى العطاء وما
خالفهم ويسمى منعا فبوجود العطاء يشهد صفات البرية
من الجود والكرم والاحسان والتفضل واللطف وغير ذلك و
بوجود المنع يشهد صفات القهرية من الجبروتية والكبرياء و

والحرية والاستغناء. فينبغي لك أيها العبد الأتقى فيتحقق أن ارضى
معرفة ربك ولم يستر فيك حب حظك إذا فيمنعه لك عطاء على
التحقيق فصوء كلفتا الحالتين منع عليك ومقبل بوجوده لطفه
إليك ودعنا أخو بيان ما تفصح من قوله متى فتح لك باب الفهم
في المنع عاد المنع عين العطاء. والله أعلم. قال سفيان الثوري
رضي الله عنه أتيت أبا حبيب البدوي لأسلم عليه ولم أكن رأيته فقال
لي أنت سفيان الثوري الذي يقال قال فقلت نعم نفعنا الله تعالى
ببركته ما يقال قال أيا سفيان ما رأينا خيرا قط إلا من ربنا فلما
أجل فلمن الناذكره لقاء من لم نرجوا خيرا منه ثم قال يا سفيان
منع الله إياك عطاء منه لك وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم
وإنما منعه نظرا منه واختيارا يا سفيان إن فيك لأنسا ومعك
يشتغل فلان ثم أقبل على غنيمته وتركني وقال الشيخ رضي الله عنه

إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه

إذ كان منع الله تعالى وعطاؤه نعمتان عظيمتان كما ذكرنا أولا
فينبغي أن يكون به كلتيهما قرة عين لمريد فإن تألم بالمنع ولذ له
العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه بل إلا لم وإلا فقلة
أن يألم بالعطاء ويلتذ بالمنع كما قال إبراهيم الخواص رضي الله عنه
لا تبع الغرض للعبد حتى تكون فيه فطلبنا الأصداف التفقه بالله

والآخر

والآخر في الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلي به غيره من الدنيا
ولا يكمل الفقير حتى يكون نظره إلى المنع أفضل من نظره إلى
العطاء. وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما
لا يجد للعطاء. لأنه فقير إلى ربه الذي خصه بمعرفته وأبا دعه
بحضوره لا يرى سوى مليكه ولا يملك إلا ما كان من تمليكه وكل غني
له تابع وكل شيء له خاضع انتهى. وقال الشيخ رضي الله عنه

ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول

ينبغي ألا ينظر العبد إلى صور الأشياء. وليتطلع إلى معانيها فصور الطاعة
لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة
في الإخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود
صورة الذنب لا يقتضي الإبعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا
في وصوله إلى ربه وحصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب أدخل
صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا
لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
وذلك أنه يعجبه عند عمله بالطاعة أن يعجب لها ويعتمد عليها
ويتكبر بفعلها ويحتقر من لم يفعلها ويستصحبه عند وقوعه

في الذنب الا الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار
نفسه وتعظيم من لم يفعله قال أبو حازم رضي الله عنه ان العبد
ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله من سيئة اضر له
منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله
له من حسنة انفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل الحسنة
تسره فيتبجح فيها ويرى ان له فضلا على غيره ولعل الله ان
يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة
تسوءه حين يعملها ولعل الله ان يحدث له بها وجلا حتى يلقى
الله في جوفه لباق ثم بين المصنف رحمه الله هذا المعنى بقوله

معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا

الذل والافتقار من أوصاف
العبودية والعز والاستكبار منافيان لها لانهما من
صفات الربوبية ولا خير في الطاعة اذا لزم عنها شيء مما
ينافي صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها كما لا
مبالاة بالمعصية اذا لزم عنها صفات العبودية لانها
ايضا تمحوها وتزيلها قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه
انكسار العاصي خير من صولة المطيع وكان سيدي أبو العباس
المرسي رضي الله عنه يقول الرجاء آلة عباد الله الغالب عليهم شهود

وسع

وسع الرحمة وكان يكره للناس ان يحرموا نسبتهم عند الله تعالى
حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه
عاص فاكرمه لان ذلك الطائع اتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله
وذلك العاصي دخل عليه بكسرة معصيته وذلة مخالفته وقد
تقدم مثل ذلك المعنى عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة
تصدك عن حسن الظن بالله تعالى ومن هذا المعنى ما روي عن ابان
ابن ابي عياش انه قال خرجنا يوما من عند انس بن مالك رضي الله عنه
بالبصرة فرأيت جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل
اخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها
احد فلاكونن خامسهم فشيعتها معهم فلما وضعوها بالمصلى
قالوا لي تقدم فقلت انتم اولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت
وصليت عليه فقلت لهم ما القصة فقالوا اترى تلك المرأة
ما لها فقعدت فدنوت فلما كان بعد ساعة اتيت تلك المرأة
وهي تضحك فدنوت فقلت لا ينجيك الا الصدق واخبريني
بخبر القصة فقالت ان هذا ابني مات وكان شيئا من افعاله
الا فعله فمرض منذ ثلاثة ايام فقال يا اماه اذا مت فلا تخبري
بوفاتي جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي
واكتبي على خاتمي هذا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

راجعليه بكفي بلعل الله تعالى يرحمني وضع رجلك على خدي وقل
هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتني فارفع يديك الى الله تعالى
وقل اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما اوصى
به فلما رفعت يدي الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح
انصرف يا ماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان علي
فانا ضحكت من هذا ومن هذا المعنى الاخر ما روي ان رجلا من
بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد
فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر لك فاوحى الله عز وجل اليه
ايها المتألي علي انت لا يغفر الله لك قال الحارث المحاسبي
رضي الله عنه لانه انما تألى على الله عز وجل لا يغفر الله للعبد فقدر
نفسه عنده وان لها منزلة عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها
الله تعالى لعبد دها وسجوده لانه عند نفسه عظيم القدر عند
الله عز وجل فجمع عجبا وكبرا واغترارا بالله عز وجل وما اقدم المغترين
جميعا اوحي ان عيسى عليه السلام خرج ومعه صالح من صالحي
بني اسرائيل منكسرا قد عصا الله عز وجل فتبعهما رجل خاطئ منتهك
بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا ودعا الله عز وجل
وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني وبين
العاصي فاوحى الله الى عيسى ان قد استجبت دعاءهما جميعا

ادون

رددنا ذلك الصالح وغفرنا لذلك المجرم وروي عن الشعبي رضي
الله عنه وروي انطاكي عن الخلد بن ايوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال
له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده فمر برجل آخر من بني اسرائيل
يقال له عابد بني اسرائيل وعلى راس العابد غمامة تظله فقال الخليع
في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو
جلست اليه لعل الله عز وجل ان يرحمني فجلس اليه فقال العابد
في نفسه انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي
فانف منه وقال قم عني فاوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمان
مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد
وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على راس الخليع قال الحارث
المحاسبي وانما اراد الله عز وجل من عباده قلوبهم فتنكسر وجوا
رحهم تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العالم والعابد وانتفى وتواضع الجا
هل والعاصي وذل هيبة لله عز وجل حياء منه فهو اطوع لله
عز وجل من العابد والعالم بقلبه وقال النطاري رضي الله تعالى عنه

نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد

نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود
لانه معدوم ومتلاش فنعمة الايجاد ازالة العدم السابق

الامداد ازالة العجز اللاحق
ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد
ولولا ذلك لتلاشى واضمحل قال الشيخ ابو محمد بان الحق تعالى
مستبد والوجود مستمد والمواد تمد عين الوجود على التفصيل
المراد ثم انعدم الوجود وهذا توطئة لما يريد بيانه من التفصيل
الذات للعبد قال رضي الله عنه أنعم عليك أولا بالإيجاد
وثانيا بتوالي الامداد نعمه احد جزئيات الكلية المتقدمة
منه وهو وجودك ودوام وجودك وهما لا ينبغي ان يتغافل عنه من
انواع نعمه الخصوص لا يمكن تعدادها ابدا ومحبة الطاعة في قلبك
وامدادهم وكذلك كراهية الكفر والمعصية فان ذلك من النعم
العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا نه
الله تعالى بتلك النعمتين في الفهم لتاه في ظلمات الضلالة
وغرق في بحار الجهالة وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى بكتابه
الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة قال الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله
وارد من اعتبر في صنوف الضلالة كثرة ضروب الجهال وتلونه اعتقادات
الناس في البدع والاهواء وما تشعب بكل فرق من مختلفي النحل
والاراء ثم اعتبر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور

وتشوقه

ونشر جهله وننافق تدبيره في احواله ويسر حاجته الى
استعانة باشكاله واعماله ثم رجع الى يقينه وفرق استظهاره
في دينه وبقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفاء خبر عرفانه
عن وهج الشك واعلم ان ذلك ليس من كافته ولا بجهده وكده ووسعه
وجهده بل بفضل ربه وبما ينبغي كقوله قال الله تعالى واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة فقالوا الظاهر نعماؤه وآثار نعمائه عليك
منظاهرة والباطن ... وزوايد كرمه لديك متواترة التسهيل
فعلى العبد ان يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في بقائها
وحفظها عليه ولا يعتمد في ذلك على عقله وعمله قال بعضهم
ربيعه من نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار عن
ذي النون المصري رضي الله عنه ما صوفي ... من هذا من كان في توحيده
ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره الى الله في تو
حيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة
قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه بعد ان ذكر ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه
ولما يغذيكم به ايضا من اعظم ما غذانا به الاسلام والمعرفة له غذاؤه
لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه في تعريفه
لا هو الذي هو اصل الاعمال التي هي محل السؤال ... قلوبنا

على التوحيد كما يغلبها جوارحنا في الذنوب ولو قلب فلو تتابع
الشك والضلال كما يغلب بنا تتابع الأعمال الرديئة، كنا نمنع
وعلى الرديئة، كنا نعول وبالرديئة كنا نكفر ونجوا فهذه الكبائر
النعم ومعرفته فهو شكر الإيمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الإ
يمان توجب العقوبة وادعاء الإيمان أنه عن كسب معقول او د
استطاعة بحوله وهو حول هو كفر نعمة الإيمان وأخاف على من توهم
ذلك أن يسلب الإيمان لأنه بدل الشكر نعمة كفرها انتهى كلام أبي طالب
رضي الله عنه وهو حسن في هذا المعنى قال رضي الله عنه

فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات
لك بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية
لا ترفعها العوارض إذا ثبت أن نعمتي الإيجاد والإ
مداد لازمتان لك وأنه لا غنى لك عنهما لولاهما فالفاقة إذن
ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك وإن كنت غبيا بوجود
النعمتين المذكورتين فما عارض لك أمر عرضي والأمور الذاتية
لا تزيلها الأمور العرضية وإنما ورد عليك من الأسباب التي
تطرأ في وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفي عليك
من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك
فتلتزم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك

قال

88

قال بعضهم إنما حمل فرعون أن قال أنا ربكم الأعلى طول العافية
والغنا لبث أربع مائة سنة لم يتصدع رأسه ولم تحم جسمه
ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لو أخذته الشقيقة ساعة
واحدة أو المليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية خلق
في كليته الممكن الافتقار بحقيقة العبد إذ هو ممكن
وكل ممكن يفتقر إلى ممد يمده ومدد يمده وكما أن الحق سبحانه
هو الغني أبدا فالعبد مفتقر إلى الله أبدا أبدا ولا يزول عن العبد هذا
الاضطرار لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج
إلى الله فيستغفر أنه يمتد اضطراره في الجنة التي أورثت عليه
مدا بنعمه وهذا هو حكم الحقائق إذ لا يختلف حكمها لا في
الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة فالعلم صفته
الكشف أي علم كان في أي وقت كان والإرادة صفته التخصيص
أي إرادة كانت وفي أي وقت كانت ومن اتسعت أنواره لم
يتوقف اضطراره وقد عاب الله أقواما أخلصوا لله عند
وجود أسباب الحاجة ثم الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم
قال الله سبحانه وإذا مسكم الضر في البحر الآية وقال وإذا مس الإ
نسان الضر دعانا لجنبه الآية وقال قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر الآية إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى

ولما لم تصل عقول العموم الى ما تخطيه وجود اتهم سلك الحق
سبحانه عليهم الا سباب المؤثرة للافكار ليرجعوا فيها ربهم
بينه وعقلية الا نفيه انتدى وقال ابن عباد رضي الله عنه

خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك انما كان هذا خير الاوقات
لك بوجود حضورك فيه مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسائط
والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك عنه لاعتالة جبرا وفاتك
هو سبيل يقول المولف رحمه الله تعالى بعد هذا نحكي عن عطاء
السلمي رضي الله عنه انه قال بقي سبعة ايام لم يذق شيئا من
الطعام ولم يجد رغبة وهو في قلبه نجد لك غاية السرور
فقال يا رب ان لم تطعمني ثلاثة ايام اخرى لاصلين لك الف ركعة
وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء
ولا سراجا ولا حطبا فاخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول
اللهم لاي سبب وباي وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل
به اولياءك وقال بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه بلغني ان رجلا
لقي الموصلي عريانا فقيل له الا تطلب من يكسوها فقال الا
ادعها حتى يرى الله عريها وصبري عليها فقال وكان اذا كان
ليلة في الشتاء جمع عياله ومد كساءه عليهم ثم قال اللهم

اجوعتني

اجعرتني واجعت عيالي وعريتني وعريت عيالي واعريتني
واعريت عيالي باي وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا
باوليائك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح وقيل ان الفضيل
ابن عياض رضي الله عنه بكى ليلة ثم قال اللهم اجوعتني و
اجوعت عيالي واعريتني واعريت عيالي واقعدتني واقعدت
عيالي في بيت ليس لهم مصباح وقد كنت تفعل هذا باوليائك واهل
طاعتك اللهم فباي عمل استحققنا هذا منك حتى ادوم عليه لك
وقيل ان الربيع بن خثيم رضي الله عنه اتاه السعر فقد غلا فقال نحن اهون على
الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياءه وقال رضي الله عنه

متى اوحشك من خلقه فاعلم انه يريد ان يفتح لك باب الانس به فتح باب الانس بالله تعالى يكون باستيحاش
من الله ولذلك قيل الاستئناس بالناس من علامة الافلاس فاذا
فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار للانس وتحققت
بانسك بربك ومعنى الوحشة ان تنكسر منهم وتنقبض عنهم
بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا كما
جاء عن ابي يزيد رضي الله عنه حين اطلع على انواع من العجائب و
وجه بسبب الغرائب وكشف له عن الملكوت الاعلى فقيل له هل
استحسنت منها شيئا فقال لم ار شيئا استحسنه فقيل له

أنت عبد الله حقا فإذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك
علامة على تحققه بمقام الأنس ونزوله في حضرة القدس وشاهد
هذا المعنى في قوله في مناجاته ربه أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم
مستوحشهم العوالم وقال أيضا رضي الله عنه **متى أطلق لسانك**
بالطلب فاعلم أنه أراد أن يعطيك إطلاق اللسان
بالطلب سواء كان بحكم عقد النصب إليها أو جبلة إلا مستغنيا
بالاعتبار وعدم رؤية العافية والافتقار فإذا حل عنه هذه الع
العقوبة بشهود جوده وفاقته وانطلق لسانه بالطلب كان
إذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق
الموعد بإجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وأنشدوا

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه
من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال من أذن له في
الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة وما يسأل الله شيئا
أحب إليه من أن يسأل العفو والعافية في الدنيا والآخرة و
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي الدعاء لم يحرم
الإجابة قال الشيخ أبو بكر الخباز رضي الله عنه كيف لا يجيب
وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له في الدعاء وعن أبي بن

مالك

مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحب
الله عبدا أصب البلاء عليه صبا وثجه عليه ثجا فإذا دعا
قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان
اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته فإذا
قال يا رب قال الله لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشيء إلا
استجبت لك ولا تسألني شيئا إلا أعطيتك إما أن
أعجل لك ما سألت وإما أن أدخر لك عندي أفضل منه وإما أن أدفع
عنك به من البلاء ما هو أعظم من ذلك وقال الشيخ رضي الله عنه
العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير
الله قراره معرفة العارفين بالله على معنى قيوميته بأنفسهم و
ما هم عليه من الفاقة والافتقار إلى العزيز الجبار وتفكرهم ما
يتحققون به لكونه في أنفسهم تكون مع قيوميته بالله عز وجل لأ
جاء في الخبر من عرف نفسه فقد عرف ربه فلذلك كان العارف لا
يفارقه الاضطرار قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه في
قوله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه الولي لا يزال مضطرا
قال ابن عطاء الله رحمه الله معنى كلام الشيخ هذا أن العامة
اضطرارهم بمرات الأسباب فإذا زالت زال اضطرارهم وذلك
لغلبة في أبصارهم على مشاهدتهم قلوبهم وافتقر الله إليه

الفاعلية المحيطة ليعلموا ان اضطرارهم الى الله تعالى حاصل وانه لم يكن
له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه
كما تقدم وكانه رحمه الله تعالى قصد بهذا الى ان يعلمك ان ما تقدم
من الاستيحاش من الخلق والطلاق السابر بالطلب من الحق تعالى
من نعوت العارفين وقال رضي الله عنه انار الظواهر
بانوار اثاره وانار السرائر بانوار اوصافه
لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل انوار
القلوب والسرائر ولذلك قيل ان شمس النهار
تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب
انوار الظواهر التي بها انارها الحق تعالى هي الادراكات والا
حساسات والحركات التي انضبط بها حاطها هي العبر وانوار
السرائر التي بها انارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم والكاينة
والادراكات والعلوم التي يشتمل عليها باطنه وسره فانوار
الظواهر متعلقة بانوار الاثار الحادثة وانوار معانيه ولكن
بصفاته المستكنة فيه وانوار السرائر متعلقة بانوار الصفات
الازلية ولاجل اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والفناء
والبقاء كان ما ذكره المؤلف رحمه الله من افول انوار ما تعلق بالـ
حادث الفانية وعدم افول ما تعلق بالقديم الباقي ثم انشد المؤلف

رحم

الا البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين فيه
طلعت شمس من احب بليل فاستنارت فما لها من غروب
وهذا تنبيه على ان الامور الباقية هي التي تنبغي ان يغتبط
بها ويفرح بحصولها وغيبتها بوجودها ومراعاتها حال الغفلة عن
الامور الفانية الزائلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم
عليه السلام حيث قال لا احب الافلين ويروى ان رجلا سال سهل
ابن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقال
انما سالتك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سالتك عن
الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل انما سالتك عن طعم الجسم فقال
مالك وللجسم دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه علة
فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها
حتى يصلحها وفي معناه انشد
شعر

كم حقيقة التي لم تكمل والجسم دعه في الحضيض الاسفل
اتكمل الفاني وتترك باقيا هملا وانت بامره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة الة ما لم تحصله بها لم يحصل
يفنى ويبقى دائما في غبطة او شقوة وندامة لا تنجلي
اعطيت جسمك خادما فخدمته اتملك المفضول رق الافضل
من يستطع بلوغ اعلى منزل ما باله يرضى بادنى منزل

وفي معناه أيضا

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... لتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقال الشافعي رضي الله عنه ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار

وإذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي له أن لا يكترث بذلك ولا يبالي به فإنه لم يتعود منه إلا جميلا فليصبر مع حسنه ولطفه أو ليعتقد أن في اختيار الله وإن لم يظهر له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها إلا هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم قال أبو طالب المكي رضي الله عنه في هذه الآية فالعبد يكره العلة والفقر والجوع والذل وهو خير له في الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة والعز وهو شر له عند الله تعالى واسوأ عاقبة وفي معنى قوله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنة البلايا لأنها نعمة الآخرة فإذا كان بعين المؤمن جعلها نعمة كانت ملذة فله الحمد على نعمه قال الشيخ رحمه الله فهو عند أقداره شهود حسن اختياره وأنشد

٩٢ وأنشدوا فيه: وخير عن ما لاقيه من العتاب بأنك أنت المبتلي والمقدر

وما الأمر إلا ما قضاه الله معولا والبس له منه الذي يتخير

وكان الأستاذ أبو علي رضي الله عنه يقول من يتأدب وكشف عورته وجسمه من ذلك بعد خلقه الجمال فعنه على قلبه شيء من الرضاء فكذلك اللهم كل واحد منا من الفرح فخرجت ولم يبق منها أثر قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رضي الله عنه يقول في آخر عمره وقد اشتدت به العلة فقال من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا إلى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدر في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت ساكن خامد وقال الجنيد رضي الله عنه كنت نائما عند سري السقطي رضي الله عنه فأنبهني وقال لي يا جنيد رأيت كأني قد وقفت بين يديه فقال يا سري خلقت الخلق كلهم فادعوا محبتي وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم فما تريدون فقالوا إنك تعلم ما نريد فقلت لهم

دابرة

أنشد

بعد ذا انها تسلم ما لا تقوم له الجبال
انه مسلط عليكم من البلايا فاجعل ما شئت جمزوا
الرواسي أتصبرون قالوا اذا كنت المبتلي فافعل ما شئت
عبادي حقا وقال النفاري رضي الله عنه من لم يعرف لطف الله
عن قدره فذلك لقصور نظره لا لقصور النظر في عجز
رؤية اللطف في القدر ضعف اليقين وقلة حسن الظن في المقدر
الحكيم اذ لو كمل نظر العبد وقوي يقينه لوجد في ذلك من الفوايد
المصالح ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر ولذلك كما روي عن بعض اهل
خير العارفين انه قال لقد مرضت فاحببت ان لا تزول وكان عمران
ابن الحصين رضي الله عنه قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره
ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد
وكان تحته ثقب لغايطه وبوله فدخل مطرف او اخوه العلا على ابن
الشخير فجعل يبكي لما راى من حاله فقال لم تبكي فقال لاني اراك على
هذه الحالة العظيمة قال لا تبكي فان احبه الي احبه الى الله تعالى
ثم قال احدثك بشي لعل الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى
اموت ان الملايكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها
وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فراينا ثوبا
ملقى فما ظننا ان تحته شيا حتى كشف فقالت امراته اهلي
فداك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف

وأصبحت

وأصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما
ثم قال ما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء شاهدوا
في بلايا الله عطايا وفي محنه منحه وفي عقوبته نعمة فاوجب لهم ذلك
من الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ وما حملهم على الاحب زوال
ذلك عنهم ولا تعطله ووجوه الالطاف والمنن في البلايا والمحن
ولكنا نذكر ههنا من الفوايد ما يزداد به المريد قوة وبصيرة في
ربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي
يبتلي الله تعالى بها عباده كمنافية لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم
وكل ما ازعج النفس وانقصها وآلمها فهو محمود
العاقبة من قبل ان ذلك راد له الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق
اللجا والافتقار وهذا هو اعظم فوايد البلايا ويجد ذلك من
نفسه كل من نزلت به بلية او الم به رزية وفيها ايضا ضعف
النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها اذ بوجود ذلك
يقع العبد في الذنوب والمعاصي وتتاكد منه الرغبة في الدنيا
والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المومن من علة او عيلة
او قلة او ذلة وفي الخبر عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي احبس
بذلك من احببت من عبادي وفيها ايضا تحصل رقة القلوب
واعمال القلوب ذرة منها افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح

والزهد والتوكل عرضت لعلة الم نعل
وذلك مثل الفقر والرضى والزهد والتوكل والغنى
وقيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه دلها هنا رجل قد تعبد خمسين
سنة فقصده فقال حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل
انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك
منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا اني استحي منك لاخبرتك
ان معاملتك خمسين سنة مدخولة قال ابو طالب المكي اراد
بذلك انه لم يرفعك باعمالك الى مقامات المقربين فيكون
مواجد العارفين فيكون مزيدك منه اعمال القلوب التي
يستحق بها كل محبوب مطلوب الى العفا عنه به حال المؤمنين
والانس مقام الصبر والرضى وصف المتوكل في اسما [illegible]
طبقة اصحاب اليمين فمزيده منه من يد الهموم من اعمال
الجوارح وهذا اشارة الى ما قلناه من تفضيلية اعمال القلوب
على اعمال الجوارح فمن وفقه الله الى منازله هذه المقامات
وتوجيه صفوفها في البلاء النازلة به فقد حصل على [illegible]
ذكر ابو ابراهيم بن اسحاق التجيبي الفقيه المالكي رحمه الله في كتاب
النصائح له ان عروة بن الزبير رضي الله عنه امتحن بقرحة في ساقه
حتى بلغت الى فخذه فحكم بقطع ساقه في الموضع الصحيح منها فقال له
الاطباء الا نسقيك مرقدا لعلا تحس ما يصنع بك فقال لا [illegible]

تشاكلهم

٩٤

تشاكلهم بمعنى [illegible] الساق ثم حسموه بالنار وما حرك عضوا ولا انكروا
منه شيئا مستترا للنار وما زاد على ان قال حسبي واصبت حبيبي بانتم
محبوا وكان قد اصيب بولده [illegible] في الفرع بن بعضهم قال اما ان الله
تعلى يعلم اني لم امش بها الى معصية قط ثم قال يقلها اشتهي والعجب
وادهيه في مغازي المسلمين جعل يقول اللهم لئن اخذت لقد ابقيت
ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت لقد اعطيت وذكر
ابن قتيبة في عيون الاخبار لهذا الراي قال فقدم رجل من بني عبس
[illegible] على الوليد بن عبد الملك بسبب ضرر فقال بت ليلة في بطن
واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقني سيل فذهب
بما كان لي من مال واهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند
البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت
الا ورأس الذئب في بطنه قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار
[illegible] رمحني رمحة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مال ولا ذا
اهل ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم
ان في الناس من هو اعظم بلاء منه وروي عن عبد الواحد بن زيد رضي
الله عنه انه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحي البحر فعلوا
[illegible] الى كهف جبل فاذا فيه شيخ مقطع اليدين والرجلين [illegible] جسمه
[illegible] الوقت وخلقت [illegible] فقال يا شيخ [illegible]
في موضع [illegible] الى السماء فقال [illegible] ذنب سلطنا [illegible]
على [illegible] وبكرهو الى [illegible] الزنب

واستغفر لي منه لا اعود له ابدا فقال ثم اعرض عنا بوجهه وانصرفنا وتركناه
وروي عن بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه قال رايت بعبادان رجلا
قد قطعه البكاء وقد سالت حدقتاه على خديه وسبب ذلك كثير
الزرع عظيم الشان لمن تعلق فقال واذا هو قد صيح من جنبه فقال من فعل
ان شرب وجعلت اشغل العدل ان يكشف ما بي واذا عمدوا فاذا
دعائه فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويتعرض على
نعمته على وبين اسم فقال بعضهم ما تعتقدون لا تعترض على من
في نعمته ان انما عليه من البكاء وقيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه
هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي اخبرني
عنك فتعرف به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت
عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال
لولا انه استحي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه اراد بذلك انه لم يفتح له
الى مقامات المقربين فيوجد مواجيد العارفين فيكون
مزيده عنده اعمال القلوب التي يستعمل بها كل محجوب مطلوب
لان العلم ... بحال الوقوف لا في مقام الحب والرضى وصفة
التوكل انما انت عندك في صفة اصحاب اليمين فمزيده من البر
العموم من اعمال الجوارح ومن المشاهدة انما قلناه من افضلية اعمال القلوب
على اعمال الجوارح وقد روي في بعض الاخبار ان يونس وجبريل عليهما
السلام التقيا فقال يونس لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فاتاه على رجل
قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذا هو يقول متعتني بهما حيث
شئت وسلبتنيهما حيث شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول
فقال يونس يا جبريل انما سالتك ان تريني صواما قواما فقال ان هذا قد كان

قبل البلاء هكذا وقد امرت ان اسلبه بصره فاشار الى عينيه
فسالتا فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث
شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال جبريل هلم ندعو
وندعو معك ان يرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود
الى العبادة التي كنت فيها فقال ما احب ذلك قال ولم قال اما اذا كانت
محبته في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس يا جبريل بالله
ما رايت احدا اعبد من هذا فقال جبريل يا يونس ان هذا طريق
لا يبلغ بوصل الوصال بشيء افضل من جميع الخيرات اذا احب الله عبدا
ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقيل انما يحصل له
كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله عز وجل الهبات
والعطايا ولا سبيل الى ذلك الا بما يرد عليه من انواع البلايا
لان العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعة ويتكاسل عن
المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها
غير حاصل له تلك المثوبات فان فقد رفعتها ولم يتلذذ بسماعها
من لم يتحصلها في العقوبات وتسليمها من الآفات وال
المعايب وحينئذ يبطل عمله من اشتغاله به امله فليحسن العبد
ظنه بالله وليعلم انه اختيار له خير مما يختاره لنفسه بنفسه

بشكوته وسواه فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
للرجل الذي قال له اوصني فقال له لا تتهم الله في شيء قضاه عليك و
ذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله خير و
ليس ذلك لاحد الا للمومن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان
اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما
من حديث ابي هريرة وسعيد الخدري رضي الله عنهما انهما
سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المومن من
وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من
سيئاته وذكر ايضا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى
من مرض فما سواه الا حط الله عنه به سيئاته كما تحط الشجرة
ورقها وذكر البخاري ومسلم ايضا من حديث عائشة رضي الله عنها
انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك
بشوكة الا كتب الله له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر
الثعلبي رضي الله عنه ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وعن انس بن مالك

رض

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ
٩٦ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها
وروي عن عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول
المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة
خطاياه وروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم اخبار كثيرة في الحمى و
الحمى وغير ذلك وذكر البزار من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه
ثم فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما اشدها عليك يا
رسول الله صلى الله عليك قال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف
لنا الاجر فقال يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء
ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا عباءة يحوبها
ولو كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان احدهم ليفرح با
لبلاء كما يفرح بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين يعني من الاثام وانه نوب
بالحمى والامراض لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي
عنه الحمى اذهب الى اهل قبا وقد روي في بعض الاخبار بدلا
من اهل قبا الانصار فيجعله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا

يوما شخصا اسود فقال من انت فقالت ام ملدم وهي صورة الحمى
فقال عليه السلام اذهبي الى الانصار جاءت لهم علينا حقوقا
فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير احد من الانصار يحضر الصلاة
فطلبهم فقيل اخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم فقال
لهم الحمى طهارة وكفارة فقال يا رسول الله ادع الله حتى يزيدنا
منها وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ام السائب او ام المسيب
فقال ما لك يا ام السائب او ام المسيب تزفزفين قالت الحمى
لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا
بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري من
حديث انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله عز وجل يقول اذا ابتليت عبدي المومن بحبيبتيه
ثم صبر عوضته عنهما الجنة يريد عينيه كما قال في آخر الحديث
من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان وهي الكريمتان
ايضا وروي ان انس بن مالك وابا ظلال رضي الله عنهما كانا في بيت
ثابت البناني فقال يا ابا ظلال متى فقدت بصرك قال وانا صبي
لا اعقل فقال الا احدثك حديثا حدثنيه حبيبي رسول الله صلى

الله

صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل يرويه جبريل عن ربه عز
وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي
وذكر من طريق هلال ابن سويد وهو ابو ظلال المذكور انه سمع
انس ابن مالك رضي الله عنه يقول مر بنا ابن ام كلتوم فسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بما حدثني به جبريل عن ربه او
ضمانه الخير حيث ابطاهم قال صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل
ان الله عز وجل يقول حق على من اخذت كريمتيه ان ليس له جزاء
الا الجنة وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
عبد يعبد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر
عبد فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم
رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنه ان امراة سو
داء اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني اتكشف
فادع الله تعالى لي قال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت
دعوت الله ان يعافيك قالت فاني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف
فدعا لها الى غير ذلك مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الباب مما لا يحصى كثرة وقد قلنا ايضا ينفع له تجديد التوبة و
اداء الحقوق والتباعات والظلامات وكثرة الاستغفار

www.al-mostafa.com

وحسن الظنون وكثرة ذكر الموت إذ ذلك ابلغ ما يذكر به فقد
قيل الجهل بريد الموت وقيل في قوله تعالى أولا يرون أنهم يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون أي يختبرون
بهما وفي حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما قيل يا رسول
الله أيكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر
الموت كل يوم عشرين مرة وفي بعض الحديث إذا أخر بذكر ذنوبه
فيتم ثم نوفد كان السلف يستوحشون إذا خرج عنهم عام
لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال وقيل لا يخلو المومن في كل
أربعين يوما أن يروع فيه بروعة أو يصاب بنكبة وكانوا يكرهون
يعون فقده لك في هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بنقص من
نفس أو مال وقال لا يخلوا بغتة وفيها أيضا يقع له خلف ما يفوته
من الطاعة ونوافل العبادات فيكتب له في مرضه مثل ما كان
يعمل من ذلك في صحته وذلك أبلغ في الوصول إلى رضا ثم من
اختصار الله عز وجل ونحو مما له في الظلال لنعمه وفي الخبر ممن اختار
يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدي ما كان يعمل في صحته
فإنه في وثاقي إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا
من دمه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي وفي الحديث الصحيح من حديث
أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا

إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمله مقيما صحيحا
٩٨ إلى غير ذلك من الفوائد التي لا نعلمها وإنما ذكرنا هذه المعاني
هاهنا لأنها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله تعالى لأنها معينة
له وأيضا فإن العبد محتاج لها على أن يحتاج لأنه محل لنزول
البلايا به فيستضعف ويجزع ويضطرب لهذا به ويتزلزل إيمانه
فيحتاج إلى مدد يذكر بأمثال هذه المعاني ليحفظ له بذلك من
الرجاء وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجى له به إن
مات من ذلك حسن الخاتمة وحسن لقاء الله تعالى ومن أعمال
نحو ثمرتها وبهذا الغرض ونحوه أوجب للناس في هذا الفصل
الإكثار من الحكايات والأخبار بنسبة أكثر أحاديث فيه إلى روا
ية الثقات لتطمئن قلوب أهل البلايا بذلك ونسلك
إلى الله تعالى أن يجعلنا من أصحاب تلك المصالح والله ولي التوفيق بمنه ثم قال

**لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وإنما
يخاف عليك من غلبة الهوى عليك** الحق ولي الله
تعالى والحقة لا يخفى إلى الحق تعالى وهو الذي بين ذلك وبه أنزل
الكتاب وأرسل الرسل ونصب عليه الأدلة والبراهين فلا يخاف
على العبد من التباسها عليه وإنما يخاف من غلبة الهوى

عليه حتى يعميه ذلك عن رؤيتها قال أحمد بن خضرويه البلخي
رضي الله عنه الطريق واضح والحق لائح والداعي قد أسمع فما
التحير بعد هذا إلا من العمى ثم قال رضي الله عنه **سبحان من**
ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر
بعظمة الربوبية في إظهار العبودية
سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التي اختص بها أهل ولاية الله
تعالى بحيث لا يبقى معها وجود لغير ولا للكون عندهم بما جعل
فيهم من التهيئ والقابلية فمن لطيف حكمة الله تعالى أن ستر
ذلك بما أظهر من البشرية التي من لوازمها وجود الغير
والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون
كما قال في لطائف المنن ولا بد للشمس من سحاب وللحسناء
من نقاب ثم إن من حقيقة البشرية الاتصاف بصفات الافتقار
والاحتياج وغير ذلك من أوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة
التعبد والتذلل فظهر بها مزية اللزوم وجود الإله المعبود
وبهذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت للناس من وراء حجاب العبو
دية ولولا ذلك لكان باطنا لا يفهم كما قال سيدي أبو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه العبودية جوهرة ظهرت بها الربوبية

فسبحان

٩٩

فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شيء قدير والتسبيح الذي
ذكره المؤلف رحمه الله هنا في غاية المناسبة لما ذكره ثم قال
لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولاكن طالب نفسك
بتأخر أدبك إذا دعوت ربك وسألت منه مطلبا وأملا
ثم لم تحصل لك الإجابة بعين ما طلبته فلا تطالبه بالوفاء
بذلك فإنه يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل ولاكن طالب نفسك
بتأخر أدبك فإن هذا أدعى للمطالبة وهو من أدب العبد من وجوه
أحدها أنك إذا دعوت لتجاب في مطلبك فقط لك بذلك
غرض وهذا مما يقدح في كمال العبودية وقد مضى هذا المعنى
عند قوله لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه فيقل فهمك
وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية
والثاني اعتقادك أنه لم يستجب لك إذ ظهر لك عدم الإجابة
منه وليس من شرط الإجابة أن تعطى لك بل إن تحقيقها لما هو
ذلك من أن يكون الإجابة إليه أمرها يجعلها ما شاء الله مما
تعلمه وتجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخر
أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك إلخ و
الثالث وهي أشدها اعتراضك على ربك في حكمه ومطالبتك

لا إذا أنا أخرت إجابتك عن دعائك ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى
الحالة التي كان عليها العبد فأمر بحفظ الأدب ووصل الغاية الأولى
فقال لمجعلك في الطلب ممتثلا للأمر ورزقك الباب
الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك هذا الأمر
الذي يلزمك أنت في إقامة العبودية لربك لا غير وهذا الأمر هو ما
الله تعالى لك وإذا مكنك من مراعاة أحكامه فهو وفقك لذلك
فقد أعظم المنة عليك فلما أخذ في الشرب وما التحق للنفس بعد
هو أن كنت عبدا حقيقيا قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي
الله عنه صحبت إنسانا في الله تعالى في البادية واعترفنا معارف
عسى أن تكون من أولياء الله وإن يفتح الله علينا بما فتح عليهم
فأقمنا زمانا نقول لعل الله في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر
يفتح الله علينا فبعد ذلك دخل علينا شيخ على باب المغارة يستأذن
فأذنا له فدخل فسلم ووقف فقلنا له من أنت فقال عبد الملك
فعلمنا أنه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال
كيف حالك ترددها كلا تتفكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه
في هذه الجمعة أكون وليا في هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية
ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة يا نفس لم لا تعبد الله تعالى لأمره

مخلصة

مخلصة لوجهه قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
ثم أفقنا فإن تفقدنا لغلطنا وتيقظنا من أين دخل علينا وعلمنا
أن الله رحمنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت أيها
النفس من أنت وما علمك وما حظوظك أنت ولا غيرك وتبنا واستغفرنا
فإن فتح الله علينا بجوده وفضله وقال رضي الله عنه

ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه

التخصيص ها هنا هو أن يظهر الحق تعالى على بعض عباده آثار
عنايته وتوليته لهم ورعايته فيمنحهم من يشهده ذلك
حتى يتحققوا بالعرفان ويتخلقوا بين الأغيار والأكوان وهؤلاء
هم خواص المقربين من أهل العلم والعلم بالله ومنهم من
يوقف عن بلوغ درجة الكمال ويريه في حاله بما يليق به من علوم
وأعمال وهؤلاء دون من قبله من المقربين وخاصة أصحاب اليمين العباد
والزهاد وأهل المجاهدة والأوراد وهؤلاء وإن حازوا كمال الولاية
فيما يتحفهم الحق تعالى به من لطائف الكرامات وما يفتح
لهم من القيام بوظائف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا
من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعاة حظوظهم بل هم ما كانوا
إلى الزلات سبب مغتبطون بوجود المحاب وقد تحجر الحق
على هؤلاء بانفطار الكرامات على أيديهم وبسببهم تسكينا

لنفوسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم وتصحيحا للاحوال لانهم
لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكن
كما قال في كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف
بشيء من خوارق العادة اعظم ممن يكاشف بها اذ كاشفه الله تعالى
بصريح المعرفة فالقدرة اثر من اثار القادر ومن اهل القرب القادر لا
يستغرب ولا يستنكر تشكيل القدرة لو بدا له قدرة القادر
سمعية عالم اجزاء عالم الحكمة وقيل للشبلي رضي الله عنه وقيل
ان ابا تراب ذكر انه جاع في البادية في قرب البادية فكان طعاما
عيد رفوقه ولو بلغ الى محل التحقيق لكان ممكن ان الخلق عند ربه
يطعمه ويسقيه قال في لطائف المنن اعلم ان الكرامات تارة
تكون للولي في نفسه وتارة تكون منه لغيره فما يكون للولي
في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله ووجود ربه ووحدانيته وان
قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو الحاكم عليها ليس
هي حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسائط والاسباب
حجابا قدرته وسحب قهره احديته فوافق عندها
وتاجج منه اليه دعوا العناية موهوبا وقال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم
والقدرة والارادة والصفات الازلية فهم لا يعتنون بامر

يتفقد

يتفقد كانها صحة فاية فائدة الواقع أي يستوجب
من نحو الله تعالى اليه ويلوم كم تعلق الى الله بعقله ولا جل انها
تثبيت من الكرامات له ربما وجدها اهل البدايات في بداياتهم و
فقدها اهل النهايات في نهاياتهم فاهل الرسوخ واليقين والقوة
والتمكين لا يحتاجون معها الى مثبت وهكذا كان السلف رضي
الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى وجود الكرامات
الحسية لما اعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم المشاهدية
والاحتياج جبل الى من سماتك والكرامات اهنتر اوعية لزلزلة الشك في
الثقة ومعرفة فضل الله فيمن ظهرت عليه مشاهدتها له بالله
تستغاث مع الله سبحانه وتعالى والناس في الكرامات على ثلاثة
اقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها عظموا من
ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم
قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع يخدع بها اهل الارادة
ليقفوا على حدودهم وهي لا يحجبوا شغلا بالبشر لهم حتى قال ابو
تراب النخشبي رضي الله عنه لابي العباس الرقي ما تقول اصحابك
في هذه الامور التي تكرم الله بها على عباده فقلت ما رايت
احدا الا وهو مؤمن بها فقال ابو تراب من لم يؤمن بها فقد

كبير انما استأثر الله بذلك من طريق الاحوال فقلت ما اعرف لهم قولا وقال
ابو تراب بل قد رغم انف اصحابك انها خدع من الحق وليس الا
مر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فاما من لم يقترح ذلك
ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من ابي تراب
بعد ان عطشنا قال لاصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال
فتى اريد ان اشربه في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من
زجاج ابيض فشرب وسقانا قال ابو العباس الرقي وما زال
القدح معنا الى مكة قال الشيخ ابو الحسن الغزال البصلي عن ذلك
انه لا ينبغي ان تطلب ادبا مع الله تعالى ومن خصه عليه عظم
الا انها شيا تعرفه لعربا الاستغاثة مع الله تعالى في حال القسم الثاني
وسوا ان تظهر الكرامة الولي لغيره فالمراد بذلك تعريفا لذلك
العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه
الكرامة اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او كان فيه
فيعود الى الايمان او شاكا في خصوصية هذا العبد والحجة
عليه لتحقيق باقي من ودايع الاعتبار انتهى كلامه وقال
ابو نصر السراج سألت ابا الحسين بن سالم فقلت له ما معنى
الكرامات وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا لم كيفها

اكرموا

اكرموا بان يجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال الله
يعطيهم ذلك ليعرفوها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا ان
يكون ذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت
الرزق والذي قسم الله لهم فيقولوا بالذي يقدر على ان يجعل لك
الجلاميد ذهبا كما دعوت فانقلب الجبل تبرا بقادر على ان يسوق
اليك رزقك من حيث لا تحتسبه فيحتجوا بذلك على نفو
سهم عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك حجج نفوسهم فيكون
ذلك سببا لرياضة نفوسهم وتاديبا لها وقال ابو نصر وقد
حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه
قال ان رجلا بالبصرة يقال له ابو اسحاق ابراهيم وكان من ابناء الدنيا
فخرج من الدنيا اي من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال
يوما لسهل يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست تترك الصياح و
الصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك
الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما تاكله فقال له ومن امامي في
ذلك حتى افعل فقال امامك في ذلك ابراهيم عليه السلام
حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي والمعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين

لان جليته الشك فقال ابراهيم رب ارني كيف تطمئن نفسي
فانا مومن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين فقال فكذلك
الاولياء يظهر الله لهم الكرامات تانيسا لنفوسهم وتعهدا
لها وزيادة لهم انتهى كلام ابي نصر وقال بعض العلماء
ما رايت هذه الكرامات الا على يدي البله من الزهاد فذكر ذلك
رجل يصحب سهل بن عبد الله رضي الله عنه فقال ربما اتوضأ للصلاة
فيسيل الماء من بين يدي قضبان ذهب وقضبان فضة فقال
سهل اما علمت ان الصبيان اذا بكوا اعطوا خشخاشة لي
يشتغلوا به وحكاية جعفر الخلدي عن الجنيد رضي الله عنه
قال جاءنا ابو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد الله الرباطي
وجماعة وكان فيهم رجل اصلع قليل الكلام فقال يوما لابي حفص
قد كان فيمن مضى لهم ايات ظاهرة يعني لهم الكرامات وهؤلاء
ليس لهم شيء من ذلك فقال له ابو حفص رضي الله عنه فجاء به الى
سوق الحدادين الى كير عظيم فيه حديدة عظيمة فادخل
يده في الكير واخذ الحديدة المحماة فاخرجها فبردت في يده
فقال يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهاره ذلك من
نفسه فقال كان متمكنا على حاله فخشي على حاله ان يتغير عليه

بذلك

بذلك فعمه بذلك شفقة عليه
وصيانة لحاله وزيادة
في ايمانه بل ربما يعتبر عند العارفين وعلماء منهم المحققون
قال بعض السلف الصالح بالخوارق تدعى للاولياء الكرامات ولا
المعونات وذكر عن ابي جعفر وغيره انه كان جالسا وحوله
اصحابه قال فذكر الخضر من اهل عبرة عندهم قال فقال ابو جعفر
وسئل عن بكائه فقال كنت جوف موضع في قلبي ان لو كان في ثمانية
لذهبت لكن قلبي في هذا الخضر عمر تشبثت نفسي بفرعون
فرسالة الله تعالى ان يجيء معه الخضر فجاء معه فبكيت وقد
سالت الا قاله فعما نفيت فسيت الخضر ويحكى ان بعض
الابدال قال التلميذ من تلامذة الشيخ ابي مدين رضي الله عنه
ما لنا لا يحتاج علينا شيء ونحن يحتاج علينا اهل الامور
اننا نستحيي منها [illegible] مفاصلنا فبلغ ذلك الشيخ
ابا مدين فقال قل له في كنا مراده لا الكرامة وعن بعضهم انه
كان يسير في البادية فانتهى الى بير فاذا الماء قد ارتفع
الى راس البير فقال انا اعلم انك قادر على هذه ولكن لا اطيقه
فلو قبضت في بعض الاعراب بصفعة صفعني وسقاني
شربة من ماء كان احب الي ثم اعلم ان ذلك الفرق بين وجهة

وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه إذا رأيت الرجل يشير إلى
الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال وإذا رأيته يشير إلى الآلاء والنـ
النعماء فطريقه طريق المحبة وهو أعلى من الأول قبله وإذا رأيته
يشير إلى الذكر ويكون متعلقا بالذكر الذي ذكره فطريقه طريق
العارفين وهو أعلى درجة من جميع الأحوال وقال أبو يزيد
رضي الله عنه كنت في بداية أمري يريني الحق تعالى الآيات والكرامات
ولا ألتفت إليها فلما رأى ذلك جعل إلى السير منه سبيلا وقال

لا يستحقر الورد إلا جهول الوارد يوجد
في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء
هذه الدار وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف
وجوده الورد هو طالبه منك والوارد
أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك
مما هو مطلبك منه الورد عبارة عما يفعله

يكسبه العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة والوارد هو
الذي يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار ينشرح بها
صدره ويستنير بها قلبه ويروح فالورد ما من العبد إلى
الحق من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه

للعبد

١٠٤ للعبد من لطائف وكرامة منه والورد أحق ما يعتني به العبد
ويراعيه من الوارد لوجوه أحدها أن الوارد مختص
بهذه الدار لا ينفع إلا فيها فهو منقطع بانقطاعها و
فإن يعتنى بها فينبغي أن يستكثر من الأوراد قبل فواتها ودعاه
إذ لا يمكنه خلف ما فات منها والثاني أن الورد هو حق
الحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك
أولى والثالث العبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها
فإذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العين كان استحقاره
من غاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال في لطائف
المنن اعلموا أن الله أودع أنوار الملكوت في أصناف
الطاعة فمن فاته من الطاعة صنف أو أعوزه من الموافقة
جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا
من الطاعات ولا تستغنوا عن الأوراد بالواردات ولا ترضوا
لأنفسكم ما رضي به المدعون من الحقائق على ألسنتهم و
خلو الأنوار من قلوبهم بعد أن الحق في حكمته جعل الطاعة الجارية
على العباد مستورة عن كتاب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة
بشرط الأدب لم يحجب الغيب عنه والنظر من المعيب

ويفتح لك باب الغيب ولكن من يطالب الله لنفسه ولا يطلبها
نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين يعبدوا عن الله ولا او
حظهم السعد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب
نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فإن توقف الوقت عنه
اشتغل بأدبه ولا ينشغل بمطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفي كلامه
رحمه الله تنبيه على تأكيد الأوراد وعظم موقعها من الدين
وان من أعلامها من أحسن سيمات العارفين وقد رأى رجل
الجنيد رضي الله عنه وبيده سبحة فقال له تأخذ بيدك سبحة
فقال نعم سبب وصلنا إلى ما وصلنا لا نتركه أبدا وكان يدخل كل
يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربع مائة ركعة ثم يعود
إلى بيته ورئي الجنيد رضي الله عنه بعد وفاته في المنام فقيل
له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الإشارات وفنيت تلك
العبارات وبليت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما
نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في السحر وحكى أبو محمد الجريري
رضي الله عنه قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال نزعه
وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت
في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك وهذا

وقف

١٠٥

وقت تطوى فيه صحيفتي وقال أبو الدراج رضي الله عنه ذكر
الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعون من الأوراد والعبادات
بعد الذي حباهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضي الله عنه
العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك وقال
أبو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من
أصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد
فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقل عليه حركتهما
فمد رجليه فرآه بعض أصحابه ممن حضر ذلك الوقت
وكانت رجلا أبي القاسم تورمتا فقال له هذا يا أبا القاسم
فقال هذه نعم الله الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد
الجريري رضي الله عنه يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد
هذا وقت منة الله الله أكبر فلم يزل حاله كذلك حتى مات رحمة
الله عليه ورضوانه وقال الخضر رضي الله عنه الناس يقولون
الجنيد لا يرى في النوافل وكان على أوراد من حال الشباب لو تركت
منها ركعة لعوتبت وقال أحمد بن ثابت البغدادي رضي الله عنهم
لما حضرته الوفاة جعلت ألقنه الشهادة فقال لي
يسبح في جانبي وردي السابع وقال أبو طالب المكي رضي الله عنه

ومداومة الاوراد من اخلاق المومنين وطريقة العابدين
وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان وفي الخبر عن عايشة رضي
الله عنها فسيلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
كان عمله ديمة وفي لفظ اخر كان عمله اذا عمل عملا اثبته
وفي الخبر المشهور احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل
وجاء في الاثر كلام قارح يروى عن الحسن بن علي وقارح عن الحسن
البصري ومرفوع عن عايشة رضي الله عنها وبعضهم يرفعه عن النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام من استوى يوماه فهو مغبون
ومن كان يومه شرا من امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد
فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون استغفار
الورد من المكر والاستدراج ويكون مبدا ذلك ان تلوح له
خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته و
اختيار بطالته وفي ذلك رفع العبودية بالكلية وهو امارة
لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وطلب هذا عظيم الى
الجهالة شديد الحماية والضلالة وقد قال الجنيد رضي الله عنه
لما ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك
الحركات من باب البر والتقرب الى الله فقال الجنيد ان هذا قول

قوم

قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي
يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين
اخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ولو ابقيت الف عام
لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لاوكد في
معرفتي واقوى في حالي قال السهروردي رضي الله عنه في كتاب
عوارف المعارف فاما من تعوق نقصانا او قنع بمحال ولم يحكم
اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بلا زور ويخرج بالغرور
فيمل العبادات ويستثقلها ويسلبه الله لذة المعاملة
ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويقتحم في الدنيا والاخرة
فيعلم الصادق ان المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة
الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من ارباب
الخلوة مداومة الاوراد ونوافل العبادة على الاوقات ويصلح لقوم
ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم
الانتقال من الاذكار الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر
انتهى ما تعلق بغرضنا من كلام السهروردي رضي الله عنه
وهو مناسب لما ذكره المولف رحمه الله وقريب من هذا المعنى
ما روي عن ابي سليمان الداراني واحمد بن عاصم الانطاكي رضي الله

عنهما أنه قال إذا طابت الهمة مالت القلوب استراحت
الجوارح وإن كان كما ذكر من هو له ما قال أبو نصر السراج رضي الله عنه
فمعنى تعدد أحكامه عن أبي سليمان الداراني رضي الله عنه فقال
وقد فهمنا الذي ذكر أبو سليمان يحتمل معنيين أحدهما أنه أراد
بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من
الأعمال إذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر
المشغلة والعوارض المذمومة التي تشغل عن ذكر الله تعالى
قلبه ويحتمل أيضا أنه أراد بذلك أن يتمكن من المعاملة والأعمال
والعبادة وخفت على بدنه ويستلذ بها بقلبه وتجد حلاوتها و
يسقط عنه التعب ووجود الآلام التي كان يجدها قبل ذلك
انتهى كلام أبي نصر ومعناه صحيح والله أعلم وبه التوفيق وقال

ورود الإمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار ورود الموارد والإمدادات
من الله تعالى على عبده بحسب القوة والاستعداد التي جعلها
فيه وشروق الأنوار اليقينية على حسب صفاء سره من الأكدار
المتعلقة بالأغيار والركون إلى الأغيار وقال رضي الله عنه

الغافل إذا أصبح نظر فيماذا يفعل والعاقل

ينبغي

ينظر ماذا يفعل الله به أول خاطر يرد على العبد هو
ميزان توحيده فالغافل إذا أصبح أول خاطر يرد عليه نسبة الفعل
إلى نفسه فيقول ماذا أفعل اليوم فهو مشتغل بتدبير نفسه
محجوب عن النظر إلى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو
ضعيف اليقين قد وكله الله تعالى إلى نفسه فيشق عليه ويمنعه
ويشغله عليه بمراده والعاقل أول خاطر يرد عليه نسبة الفعل
إلى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بي فهو ناظر إلى الله تعالى وإلى
ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلا جرم
يكفيه الله تعالى تعلقه بالآمال ويغنيه من جميع الأشغال ويريح
قلبه ويغنيه بما يقيمه فيه من أعمال أو يورده عليه من
أحوال وهذه السعادة عظيمة ومنة من الله تعالى على من ولاه من
عباده جسيمة قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أصبحت وما لي
سرور إلا في مواضع القضاء والقدر وقال أبو عثمان رضي الله عنه منذ أربعين
سنة ما أقامني الله في حال فكرهته وما نقلني إلى غيره فسخطته
ومن أملح ما رأيته في هذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله وما
يجب أن يجري على منوال كل عاقل منصوب ما ذكره الشيخ أبو
القاسم عبد الرحمن الصقلي في كتاب صفة الأولياء ومراتب الأصفياء

بسنده الى ايوب بن بشير العطار الفقيه قال حدثنا رجل من اصحابنا
قال رايت رجلا في مرج الديباج ليس معه شيء وقد نوت سنة فسلمنا
عليه فرد علي السلام فقلت يرحمك الله اين تريد قال الا جهر فقال
هل رايت احدا يريد مكانا للبعيد كيف تذهب فقال انا واحد قلت
واين تنوي قال الى مكة قلت تنوي مكة ولا تدري كيف تذهب قال نعم
وذلك انه كم من مرة اردت ان اذهب الى مكة فيرد بي الى طرسوس وكم
من مرة اردت طرسوس فيرد بي الى عبادان فيبقى الى مكة ولا ادري قلنا
فمن اين المعاش قال لا ادري قلت اخبرني باسباب ذلك قال من حيثما
يريد يجيبني مرة ويشبعني مرة ويكرهني مرة ومرة يعوزني ما على الطريق
ازدحم منك ومرة يقول اتكلم ومرة ينومني على المعاش ويطعمني
الطيب ويجد من امي ويكمل عيشي ومرة يطردني الطرد العنيف
ولا ينومني الا عند النواويس قلت يرحمك الله من يفعل بك ذلك
قال الله عز وجل ما الفلافي قلت فسر لي يرحمك الله كيف هذا
فقال انا رجل اسير نهاري فاين ما جنني الليل فيه حرت بما بات
الليلة الغريبة فاذا انظر الى اهلها فقال بعضهم لبعض هذا الموت
لا تحضرونه اياه في الليلة في هذه الغربة فاذا طلبنا العشاء
لا احد يدخل المسجد ورجل فيقول يا نايم ما تقول لبيك فيقولون

بالعنف

بالعنف قم من هنا هنا ليس لك هنا موضع فاقول نعم وكرامة
لا يكون لي ماوى الا عند النواويس تلك الليلة فاذا اصبحت سرت
بياض بين الليل الغريبة فاذا رايت اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد
عليكم الليلة رجل زاهد خير فاذا بقول هذا عندي يبيت ويقول
هذا عندي يبيت فاذا طلبنا العشاء الا خرج فيقول رجل منهم
قم بنا الى البيت فاقول نعم وكرامة فامضي معه الى المنزل فيأتيني بـ
الطعام الطيب ويجد من امي ويكمل عيشي ويأتيني بالعمائم للبس
فينومني عليه ولا يدعني اتشاغل البراءة فيعطيني حتى اصبح فاذا
اصبح سيبني فقلت يرحمك الله متى فقد ربك ان تدخل بغداد دون
منزلي بموضع كذا وكذا قال فانا يوما قاعدا فاذا بانسان
يدق الباب فخرجت فاذا النابط جي فسلمت عليه فادخلته
البيت فقلت له ابشر هنيئا بك مولاك فقال اخرج ما فعل بي
ضربني ضربا شديدا وقال يا النحس اراك ضرعت فاذا اشتد الضرب
عليه فقال ابيت الغصة فقال كان جائع جوع اشد بدا اقبلنا بلقف
الانبار حيث الى مقتات قد نبت فيه المد ود والمر فقعدت
اكل منه فبعثني صاحب المقتات فاخذ التي بعثه فجعل
يضرب ظهري ويقول يا لص تخرب مقتاتي غيرك منذ كذا وانا

ارصدك حتى وقعت عليك قال واذا بفارس قد أقبل من عا
البر وأقلب السوط في راسه وقال تعمد الى رجل زاهد فتفوته
وتبغا المنزل فقلت يا ابا الحسن فما كان سبيل كشف عنوك لطامن
زاهدا لا كما حدثتك قال جاء قد بيع طاحب المغتات فذهب
بي الى منزله فما انفى من الكرامات شيئا واستعلى فتحت
من عنوك وجئت اليك وقد يكون به معنى نظره الى ما يفعل
الله به ان ينفذ ما يرد على قلبه من الاشارة من قلبه فيكون
حقيقة اقداما واحجاما بوجود تعبيره وحسن توفيقه
وهذا ميراث تربية اقتضاه دوام التجابه وصدق افتقار
فقال سيدي ابو مدين رضي الله عنه احرص ان تنصح وتمسي
معرضا مستسلما للعلم العلي بنظر اليك فيه حميك وقال
بعضهم من اهتدى الى الخلق يفتقر الى نفسه ومن اهتدى
الى نفسه ثم يفتقر الى الله حانته اذا استقبلك شغل
فان عاد قلبك الى الله فلا تنقطع اوان وصله الى حولك وقوتك
فافهم المنقطع عنه وان عاد قلبك الى الله فانت الوا
صل الى الله وكل العالم في قبضته وتخصيص اهل الوصلة
بانهم في كنف ابوابه لا يكلهم الى غيره واعتبر هذا

المعنى

١٠٩

المعنى بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
صده المشركون فيها عن مكة وهو محرم من اراد نحر هديه
نكسه ورجع عنها الى تلك العمرة ولم يتحرج لهم بما يفعل
له عند الظاهر في غزاء ونصره بعد ما كان من دعاء الله ان
بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عرض عليهم من اجرة وحل
ده من الشجرة وعملا في ذلك على ما اظهره الله له من ابان
الكرام عنده من [illegible] لما رادت ثم حبسها الى البيت
الحرام وقال [illegible] لما قصده ومعرزا اما اعتمره
اذ الحبس حل [illegible] لا تدعو اليوم في خطة الحكمة
بين صلة الرحم الا اعطيتهم اياه فكان كما ذكر صلى الله
عليه وسلم وشرب وترك ما اكثرهم على وضع الحرب فيما بينهم
عشر سنين يشتغلوا به الارض منه جملة الشغب بينهم
الصلح وانزل الله تعالى سورة الفتح فظهر الفوايد التي
ضمنها ذلك التدبير الحسن وعرفت اعين الصحابة رضي الله
عنهم بما ابرزه لهم من اللطائف ومن [illegible] من معنيهما
فلذلك الحي [illegible] علماء الحديث ولنكرر [illegible]
صاحب هذا المقام [illegible] ليثبتوا فوق [illegible] وقوله

في جميع تصرفاته اللهم إني أصبحت لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا
ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما
أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى
من القول والعمل في عافية إنك على كل شيء قدير وكان يقول في دعائه
لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم إن الأمر عندك وهو
محجوب عني ولا أعلم أمرا أختاره لنفسي فكن أنت المختار لي واحملني
على أجمل الأمور وأحمدها عاقبة في الدين والدنيا والآخرة إنك
على كل شيء قدير وقال أيضا رضي الله عنه **إنما استوحش
العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله
في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستو
حشوا** العباد والزهاد في غيبتهم عن ربهم بتفقدهم لنفوسهم
ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الأشياء ويستوحشون
منها لأنها موجودة في نظرهم والزاهد في المزهود شاهد
له بالموجود كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه والله لقد
عظمتها إذ زهدت فيها ومن ثم تجافوا عن الناس أن تعوقهم
أغراضهم وتفوتهم مقاصدهم بمعاملتهم إليها واقتنائهم بعد ما
كانوا من أهل العلم بالله والمعرفة لعلموا أن كلهم أجزاء مشتبهة.

وصح من شيء

كلها

كلها ولكان لهم في ذلك من ذلك أعظم ما يشغلهم عن تفقدهم
لنفوسهم فلا يكون لهم من الأشياء وحشة ولا يجدون منها
نفرة لانطوائها فانية مثلا مثبتة بعد الاعتبار وقال أيضا رضي الله عنه
١١٠ **أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته و
سيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته**
رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم في هذه الدار
برزخ كانها في المكونات بأنوار أبصارهم كما تجلى لهم من وراء
حجابها ولذلك أمرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه
معاينة بأنوار بصائرهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية
الظهور والكشف وقال أيضا رضي الله عنه **علم منك
أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه**
عدم الصبر عن الله من وجود الاضطرار مع محبته ودعوى الترتيب
يقتضي وجود المعنى الاختصاصية والمعنى الاختصاصية
يقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير
متصورة في هذه الدار لما هي عليه من الحجاب والتغير والانقلاب
والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه
بأن أشهده ما برز منه من الآثار والأكوان تسلية له بالأثر

عن نيل حظه فجعلت له خيبة المعصية الا اختطاف حبة الّا بغير جلاله
حتى إذا افتخر به مقعد العجز جعلت له عند بن الحق خلع عليه
خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فجعلت له
حسب المعصية الحقيقية واسقاط رؤية النفس مدبية وما ذكره عن الله
تعالى قال أبشر لما علم الحق منك وجود الملل لوّن لك
الطاعة وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في
الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة
فما كل مصل مقيم تلوين الطاعة لوجود الملل وتحجيرها في الأوقات
لوجود الشره نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده فإن الملل
والشره أصلان عظيمتان فاحشتان على العبد يسيل عمود دينه
والملل فترة يعرض على الانسان من ثقل التكليف عليه مشقة فيعصي
عليه ويحمل لتحمله حتى يضجر ويسأم فيترك لذلك العمل ويد
جهد استثقالا له وتعويقا يعرض للطبع بعد أن تركه للشيء و
محبته له والشره مجاوزة الحد في التسارع إلى العمل والحرص عليه
والذي يوجب وجود الملل العبد أو من على نفسه واحتمل أعباءا
فتسأم منه النفس وتستثقله فإذا الوثبة عليه استملته
واستعقبته وقد قال بعض الشعراء رحمه الله تعالى

لا يعظم

بالصلاح النفس إذا كانت مخرجا إلا المنتقل من حال الرجال
والوجب لوجود الشره طلاحيه إلا أوقاتا كيلا لا تخاع إذ
الحاجة فيها مع شوق الحرص عليها وعند وجود الشره يقع
النفس والتفتيش فيه فلذلك عين لها أوقاتا تقع فيها وأوقاتا
لا تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الأوقات فإن كان
الملل والشره في تعيين الصلاة لم يكن التي بها مقيما لها لوقوع
التفتيش منه فيها ولم يؤمر إلا بإقامة الصلاة لا بوجود صورة
الصلاة قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع
ذكر المصلون فيه في معرض المدح فإنه إنما جاء لمن أقام الصلاة بلفظ
الإقامة أو بمعنى يرجع إليها قال الله سبحانه الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة وقال رب اجعلني مقيم الصلاة أقم
الصلاة وأقيموا الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة
فالإقامة أنه إذا أطلق المؤمن صلاته فتفضلت منه خلوقا لهم من طاعته
صورة ملكوته راكعة ساجدة إلى يوم القيامة وثواب ذلك
لصاحب الصلاة وإقامة الصلاة حفظ حدودها كاملة أو
هنا قال رحمه الله رضي الله عنه إقامة الصلاة حفظ حدودها

وحفظ السر مع الله تعالى لا يختلج بسرك سواه قال الامام ابو
القاسم القشيري رضي الله عنه نحو القيام باركانها وتشنفك ثم الغيبة
عن شهوده فكبر بنفس تجاليه فيجمع عليه احكام الامر بما يجري
عليه منه وجوع على ما حظرته محو فيغيبه منه مستقبلة
الى القبلة وتغيبه مستغرق في حقايق الوصلة وتمثيل المولف
رحمه الله بالصلاة دون ساير العبادات حسن ذلك اكثر ما يقع
فيها ونعد بكثرة لذا استدوا الكلام على الصلاة حسبما يقوله
باشرعه افقال رضي الله عنه **الصلاة طهرة للقلوب** من ادناس
الذنوب كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم
فيه خمس مرات افترون ذلك يبقي من درنه قال رضي الله عنه
واستفتاح لباب الغيوب لان القلوب اذا تطهرت و
تزكت رجع عنها الحجب واستنار من اثارها ما غاب عنها من الا
سرار قال **الصلاة محل المناجات** لان فيها يكون التناو والا
الدعا والمناجات مختلفة ان امرك عنده عيا . الاكدار من الملك
الجبار قال **ومعدن المصافات** وهي زوال الاكدار الكونية
بينك وبين ربك حتى يصفوا قلبك وسرك فيصفوا لك ديننه

شهوده

شهوده ويصفوا ذلك فتشهوده قال **تتسع فيها ميدان**
الاسرار حتى تتكاثر عليه في الشهود قال **وتشرق فيها**
شوارق الانوار فيكون نور على نور وهذه العبارات اتت
معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المولف
رحمه الله من فوايد الصلاة وان المقصود منها انما هو تحصيلها
كان ذكر المولف لها كالدليل على ما قاله من ان اما موريها انما هو
اقامة الصلاة لا وجود الصلاة وان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة
الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد
العلية ولذلك كانت الصلاة اتم العبادات واسنى القربات
قال الله تعالى اقم الصلاة لذكري فاخبر ان الصلاة المراد منها
الذكر وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت
الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر
الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما سمه
سياتي الكلام عليه حيث تعرض المولف له وفي بعض الاخبار ان
العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه
بوجهه وقامت الملايكة من لدن منكبه الى الهواء يصلون بصلاته
ويومنون على دعايه وان المصلي لينتثر عليه البر من عنان السماء

الى عز وجل فرادسه ومناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل
وان ابواب السماء تنفتح للمصلي وان الله يباهي ملائكته بصفوف
المصلين وفي التوراة يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا
فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري فكانوا
يرون ان تلك الرقة والبكاء وتلك الفتوح التي يجدها المصلي في
قلبه من دنو الرب من القلب وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه
دعا الله تعالى الموحدين الى هذه الصلاة الخمس رحمة منه
عليهم وهيأ لهم فيها ألوان الضيافات لينال العبد من كل قول
وفعل شيئا من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة
وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم
خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال ابو طالب
المكي رضي الله عنه حدثت ان المومن اذا توضأ للصلاة تباعدت
الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه تأهب للدخول على
الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق
لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله اكبر اطلع الملك
في قلبه فاذا لم يكن في قلبه اكبر من الله فيقول الملك صدقت الله
في قلبك كما تقول قال فيشعشع في قلبه نور يلحق بملكوت

العرش

١١٧

العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض و
يكتب له حشو ذلك النور حسنات وان الغافل الجاهل اذا قام الى الو
ضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل
فاذا كبر اطلع الملك في قلبه فاذا كان في قلبه اكبر من الله
عز وجل فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور
من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت
فيزيد ذلك الحجاب ظلمة وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال تنفخ
فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا
يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الاخبار والآثار موافقة لما ذكره
المؤلف رحمه الله تعالى وادلة عليه فلذلك اوردتها هنا
والله ولي التوفيق برحمته وقال ابن عطاء رضي الله عنه علم وجود
الضعف منك فقلل اعدادها وعلم احتياجك الى
فضله فكثر امدادها فهذا من فضل الله تعالى الذي عوده
عبده فتقليل اعدادها بان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف
منه لما علم من وجود ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الخمسة
ثواب خمسين وذلك فضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد
والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسراء وقال

علي وجود الطمع فهي منى طلبنا عوضا عن عمل هو
لنا بوجود الصدق وبكيفية المريد ووجدان السلامة

نفعني ان العمل لاجل حصول الجزاء مدخول معلول وطلبنا هنالك
من الاثار والحكايات عن العارفين وارباب القلوب ما فيه مقنع
وقد ذكر المؤلف رحمه الله هذا المعنى في مواضع متفرقة من
هذا الكتاب وما ذكره هاهنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل
ومعنى ما ذكره ان العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لان من اداه
طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق
الوفاء بحقه في العمل واني له بتوفيته ذلك مع كونه طالبا للعوض من
ربه فهو لا محالة مريب في كيفيته ووجدان السلامة من غير مزيد
عليها قال الواسطي رضي الله عنه الطاعات الى طلب العفو عنها
اقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب من هذا ما قاله [illegible]
بادر العبادات الى طلب العفو والصفح عن تقصيرها اقرب الى طلب
الاعواض والجزاء عليها وقال ابو الشماخ رضي الله عنه ميزان
اعمالك ما يليق بافعالك فاطلب مبرات بفضله فانه اتم واحسن
قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون وقال ابو بكر رضي الله عنه لا تطلب عوضا عن عمل

لست

١١٤

لست له فاعلا يكفي من الجزاء على العمل ان كان له قابلا

المنفرد بخلق اعمال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف
يطلب العبد الجزاء على عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون
القبول جزاء قد تقدم وقال ايضا اذا اراد ان يظهر فضله
عليك خلق ونسب اليك فضل الله عظيم فاذا اراد ان يظهر
عليك خلق الطاعة وحلاك بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدي
انت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وسما نبيك على ذلك فاذا شهد
بعقله الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم
والخلق سبحانه في هذا الحال بالدعاء والسؤال وقال يا رب كما
تفضلت علي بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني بصفات
حميدة انا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب
والنجاة من العقاب فتقبل مني عملي واجزني ما وعدتني كان في
ذلك مطابا وان ابى فلا يحق للعبد ان ينسب الى نفسه شيئا من
محامد الصفات ومحاسن الاعمال حقيقة ولا ادبا اذ لا اهلية
فيه لذلك واما مذام الصفات والاعمال والمساوئ فعليه من جهة
الادب ان يضيف ذلك الى نفسه وان يعترف ان ذلك من ظلمه
وجهله فصل قيل لسهل رضي الله عنه اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب

انا بفضلك استعملت وانت اعنت وانت سهلت فاشكر
الله تعالى ذلك له وقال له يا عجمي بل انت اضعت وانت تفرطت واذا
نظر الى نفسه وقال انا عملت وانت اضعت وانا تغيبت اعرض الله
تعالى عنه وقال يا عجمي انا وفقت وانا اعنت وانا سهلت واذا
عمل سيئة وقال يا رب انت قدرتها وانت قضيت وانت حكمت غضب
المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عجمي بل انت اسأت وانت جهلت
وانت جهلت واذا قال العبد انا ظلمت وانا اسأت وانا جهلت
اقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عجمي انا قضيت وانا قدرت
وانا حكمت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترتها وقال ايضا رضي الله عنه لا
لا نهاية لمذامك ان ارجعك اليك ولا تفرغ مدائحك
ان اظهر جوده عليك من رجعه الحق تعالى الى نفسه ووكله
الى عقله وحده بعد طرده عن بابه وابعده عن جنابه وكانت احواله
مدخولة معلولة واعماله مستقبحة مرذولة ومن اواه الله
واظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورجعه الى حضرة قدسه
وكانت احواله حسنة جميلة واعماله كلها ممزوجة مقبولة لما
نقل لما انتسبنا اليك تعرفت ذاته في حق انا دارا مع الله
وقال رضي الله عنه كن داوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف

عبوديتك

عبوديتك متحققا التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد جوده
والوان وجوده كل شيء من جميع ذلك ولا منكرا ما هي عوارض
عندك ولا تقرر وجود كذا الا بوجوده ولا انتفاء كذا الا بفقده ولا عز لك
الا بعزته ولا قدرة لك الا بقدرته ولا غنى لك الا بغناه الى غير ذلك
من الاوصاف ولا يتم لك ذلك الا بان تتحقق باوصاف عبوديتك من
عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان
زمان بل هما شيء واحد لا تتعدد متعلقا على التحقيق وقال ايضا
منعك ان تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين ابيح
لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين وهذا
كالدليل على ما ذكره من انه لا حظ للعبد من صفات مولاه الا
التعلق بها فقط وان ادعاه شيئا منها من كبائر معاصي القلب
ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة الالهية انه يبعدها
واعلمها بشأنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما
من احد اغير من الله تعالى ومن غيرته انه حرم الفواحش ما ظهر
منها وما بطن تحريم ذلك على العبد التصميم باستحقاق الوجود
والبعد ومن اعظم الفواحش عند العارفين وجود شيء مع الشركة
بقلب العبد بادعاء شيء من اوصاف الربوبية لنفسه فقط او

فوالاول ذلك مما زعزله وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وسيدي الشيخ في التارك ومعنى المنازعة
الدعوى فعلا وقولا واما اضمارا فعلا واشارة ومعنى العظمة في حقه
انما يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية فيما
هو حقوله من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى قد نهاك وحرم
عليك ان تدعي ما ليس مما اعطى المخلوقين من الاموال وغيرها
ذلك عدوانا وظلما فكيف يبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب
العالمين لا شريك له لا افتقار يمنح جميعا ذا من اعظم الظلم واشد
العدوان عافانا الله من ذلك فلنعتبر وهذا المعنى الذي ضمنه
المؤلف رحمه الله هو الغرض لا غطا الذي هو من مانع العبودية
وكل ما صنعوه قد ونهوا وامروا به ونهوا عنه من اقوال وافعال
واحوال انما هي وسيلة الى العبد المقصد التقريب واعمال المبنيا
مشائخ الدين الا انما هو العمل على موت نفوسهم واصغائها حتى
كما لا تكلية لما قيل من هذه ومملكة مباح والبصر ذلك هواه
المغمور طلع بالنطاق وانما غرضهم من ذلك ما يلهي عنه من انفراد
الاشتغال عنده بالوجود ولوازم الوجود انفراد لا يشاركه

ثم

١١٦ جنيه ومنحها لعينه كما ذكرناه انما ونعتذا ولو كيمياء السعادة
الذي اعوز اكثر الناس ولم يحظوا منها الا بالاسم اذ بذلك يستحق
العبودية لله عز وجل الذي لا منال للعبد الا شرف منه كما قال
الشاعر: السنة في خلقها فهي كفى شرفا حجاوراً في قصد ومطلوب
ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات
هواجس الدعوى وكلما يقتضيه بقاء النفس وثبوتها من محبة الخفا
يات والتماس [illegible] الكشف والكرامات ذنوبا عظيمة واخلاقا ذميمة
فادحة في صدق العبودية والاخلاص لرب الربوبية فتبرؤوا من جميع
ذلك الى ربهم وتعوذوا به من شره وتجافوا عن مساكنته وملا
حظته غاية البعد ونهاية المطلق والبحث ذلك فصل
اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة • وجودك ذنب لا يقاس به ذنب •
ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على اشكاله واقرانه فشكا
اهل المملكة ما طمع الى الملك فقال الخبر دامر شئتم اولتيه عليكم
فاقتطروا ذلك العبد سارا وامير الملك اليه فقال الملك راجعوني
فان اختار الولاية ولبيته عليكم فيتحب الغلام في الولاية فامر
بكتبها لمنشور وليس باستقبله الملك اذا رأى [illegible] تلولا ينه والمبالغة
في الكلام بانواع الكرامات والحبائر حتى من يرش عليه الملا

ورضي الله عنه ثم أمر من يقول له إذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار
الولاية على خدمة مولاه وفي هذا اعتبار لأولي الأبصار وتنبيه لأرباب
الاعتبار وقال في هذا المعنى الجليل الموفق إلى سواء السبيل تفسير
الحكاية المشهورة المروية عن أبي هريرة رضي الله عنه حدثني حبيب
ابن معاذ رضي الله عنه أنه رأى العبد يعني مشاهداته من بعد صلاة
العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزا على قدميه وقد رفع إحداهما
مع عقبيه عن الأرض ويده في دفعه على صدره شاخصا بعينيه إلى
قال ثم سجد عند السحر فلما كان ثم قعد فقال اللهم إن قوما طلبوك
فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا منك بذلك
وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا
تقلب الدنيا والأسفار فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما
طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فما تقلبت لهم فرضوا منك بذلك
وإني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات
الأولياء ثم التفت فرآني فقال الحبيب قلت نعم يا سيدي قال منذ أنت
هاهنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال
أحدثك بشيء أطلع أدخلني في الفلك الأسفل فجد ورزقني في الملكوت
السفلي فأراني الأرضين وما تحتهن إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك

العلوي

العلوي فطوف بي في السماوات وأراني ما فيهن من الجنان إلى العرش
ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك فقال
يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه فقال أنت
عبدي حقا تعبدني صدقا لأفعلن بك ولأفعلن وذكر أشياء فقال
حبيب بن معاذ فسألته ذلك فامتلأت به وعجبت منه فقلت يا
سيدي لم تسأله المعرفة به إذ قال لك مالك الملوك سلني ما
شئت فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني
لا أحب أن يعرفه غيره سواه قال الشيخ أبو طالب المكي رضي
الله عنه بعد أن ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد في نفسه
ما فقد إذ كان فيه عز وجل له من جود الكمال فقام به المقامات
تفوت عن وصف الصفات وحق له إذ نظر إلى الحسن الذي حسنت
المحاسن كلها عن حسنه وتضاءلت المزينات حين يعرض بعد إلى
النظر إلى زينته وشهد الجمال الذي جمل الجمال والمتجملون جماله
ألا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن ويزين
في عينيه الآباء أم كيف ينظر غير إياه أم كيف يطلب غير ما
أحب أو يبقى مع غير ما طلب بل كيف يبقى بغير ما طلب
فهذا العبد عنده مطلوب بمعنى ما طلب ووصفا شخص

محجوب بغير ما احب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
التنصيص وفي الاثار عن الله سبحانه يا عبدي اعزل نفسك تنعزل
معك الملك والملكوت فتحوي الدارين بالملك وتلحق العلوي
بالملوك فتكون عندي من وراء ما ابدي فلا يستطيعك ما ابدي
لانك عندي واذا كنت عندي كنت عندي واذا كنت عندي كان عليك
نوري فلا يستطيعك ما ابدي وان ارسلته اليك لان نوري عليك
وليس نوري عليه فاذا جاءك لم تطفك فاذ تكيبه فلا دركه
ق العبد رضه هذا المعنى خارجة عن الصحيح فيما سمعناه منه كما
وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى من رتبتنا ولدى
كلام المؤلف رحمه الله تعالى لان من جمع امره الى الله اذا دفع
عنه الحظ ونفي فتلقيه بوجود الغير وكان بالكلية هواه المعفو
المعتبر في كلام الصوفية رضي الله تعالى عنهم لنعلم ما يجد هذا
المجرد لله تعالى ان يجز يسع عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم
وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغاء اليهم ويثبت
محبوبا للاستغشار ما يرد منهم او يبدو واعظمهم بفضله
ومنه وقال ايضا **كيف تخرق لك العوائد وانت لم
تخرق من نفسك العوائد** خرق العوائد بالاظهار على

القدرة

القدرة ثم لا يكرم الحق تعالى به الا من خرق عوائد نفسه وقمعها
عن ارادته وحظوظه ثم لم يصل الى هذا المقام لا ينبغي فيه وان
ظهر له ما صورته الكرامة ينبغي له ان يخاف عنده ذلك من الاستد
راج والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فان احبه او طلبه فهو دليل
على بقائه على سبيل الكرامة وبعد هذا الا محل لا يستطيع فتحقق
الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه جميع الاسرار من الغيوب التي
تليه الحجب ورا تشارع لا يظهر عليها الا مطلوب بعد نفسه
بعينه ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظر له حقيقة فيستر
عليه رحمة له لانه لو كوشف بها هلك في خزانة الهوى وغرق
في بحر الدنيا وبعس جبه وعين كلمه لا ادعاه وحجابه عنها
والاستتار عنه نفعا حتى يكون كارها للظهور كراهيته لظهور
الخلق على معصيته وخائفا منها لخوفه على نفسه وتكاثرها
عليه بهلكته فهنالك حتى يبتلي بها ويحمي ليطهر تبعا يعمل
وكذلك للشيخ ابي عبد الله القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن
كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهيته الخلق
لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمة
واذا من خرق عوائد نفسه لا بد لظهور شيء من الآيات

وخوارق العادة له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا
فنا عن ارادته جملة وكان له تحقق برؤية نفسه بعين الحقارة و
الذلة حصلت له اهلية ورود الالطاف ووجود الامتنان
وسلك الوهن نبذ الصديقية المسمى القائم وصح مع اهل
الارادة بالقدح العالي قال الشيخ ابو العباس بن العريف
رضي الله عنه اصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ ابي القاسم
ابن رويبل حدثني بحكاية عسى ان يفرج ما بي فقال وصف لي رجل
ببعض السواحل يعرف بابن الخباز فقصدته فوجدته على سا
حل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم اكلمه حتى اذا
وقت الصلاة اقبل نفر من بعض الاودية متفرقين فجمعوا
اليه وتقدم منهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يتكلم يتكلم
منهم احد احدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى
اذا كان وقت العصر اقبل النفر وصلوا ثم افترقوا حتى اذا كان
وقت العشاء اجتمعوا وصلوا ثم اجتمعوا بعد ذلك وذكروا
في سبل الخير ومقامات الاولياء الى غياب الثلث من الليل ثم
تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة
ايام وهم على ذلك ثم وقع في نفسي ان اسأله عن مسألة ان

استفيد منها

استفيد منها ثم تفتح منه اليه فقلت له ايها الشيخ مسألة
اسأل عنها فقال قل ثم نظر الجماعة الى كالمنكر بين فقرعت من
فقلت له ايها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد فاعرض عني
كالاول ولم يجاوبني ففهمت وعدت في الثالث وسألته عن
المسألة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا ولكن نريد ان
نسأل عن ان يعرف المريد الارادة فقلت نعم فقال اذا اجتمع
فيك اربع خصال احدها ان تكون على الارض وتكون عندك كفيحة
واحد وان تمشي على الماء وان تأكل من الكون متى اردت ان تزد
له دعوة فعندك ذلك فقع او اقدم في الارادة واما علامة ما يعلم
المريد انه مريد فسقط من حد الارادة قال الشيخ ابو العباس
ابن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب معها
ثم قلت ايئستنا من الارادة يا ابا القاسم وقطعتنا من علو
همة هذا الشيخ انتهى واعلم ان اول ما نحن فيه من عادة
تسميته باسم مريد مع كونه مسلوب الارادة وما احسن ما
قال المشائخ نكون مريدا ثم فقد ارادته اذا لم نرد شيئا فانت مريد
والتحقيق في هذا ان من فقدت ارادته لعبوديته الله عز وجل
بمراعاة حقوقه لاجل ما وجب عليه من ذلك لينوط به الى نيل

ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسع ذلك لأنه متصف بالإرادة
الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب ونهاية الآمال والمآرب
فذلك أمر وجودي يصح أن يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الأمر
لأنه تعمى بذلك لأجل ما سلب منه من الإرادة المجازية المتعلقة
بحظوظه لأنه لما كان سلب أحدهما يقتضي وجود الآخر الا فقد
الواجب في الشرع أن يطلق اسم الإرادة على من سلبت منه وخرج
عن من وجدت فيه رشاقة وملاحة وتعجبه وبعض البشرى
صحة كلام أبي يزيد رضي الله عنه واستقامته حيث قال في القول
واعلم أنه قال بعضهم أن أبا يزيد لما أراد لا يريد فقد أراد وهذا
قول من لا معرفة عنده وذلك أن أبا يزيد رضي الله عنه إنما أراد
لا يريد لأن الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم إرادة مع
مولاه إرادته لا يريد سوى ما أراد الله تعالى ولذلك قال
الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه فكل مختارات الشرع وترتيباته
فهو مختار الله فليس لك منه شيء واسمع وأطع وهذا مواضع
الفقه الرباني والعلم اللدني وهو أرض التنزل لعلم الحقيقة
المأخوذ عن الله فاعلم بأن الشيخ هذا الكلام أن كل مختار
الشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية لما هو مبني على ترك

الاختيار لله لا يخرج عن فقد فاصر عن ذكر الحقيقة فذلك فيطلق
أن الوظائف والأوراد ورواتب السنن لا تخرج بعض
العبد عن حرج العبودية لأنه قد اختار فبين الشيخ أن كل مختارات
الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء فإنما أنت مخاطب أن تخرج
عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها إلى تدبير الله ومصوله لك
بأنه قال بعض علماء أهل الأن أبا يزيد ما أراد لا يريد إلا أن
الله أراد منه ذلك فلم تخرج بعد الإرادة عن العبودية المقتضيات
منه انتهى وقد طال بنا الكلام في هذا المعنى إلا أن بعض
المناسبة بينه وبين المسألة المنبه عليها من الكتاب والحديث
يجوز أن يخرج بعضه إلى بعض لكن لما كان مقصودنا في هذا التقييد
استخراج الفوائد في معاطفها ومكامنها لتتوفر مصالح
هذا الفن الغريب استماع من أراد الله تعالى توفيقه من بنيه
وبه تعدا المقتصر في جميع ذلك وكنا سائرين فيه على أوضح
المسالك وبالله تعالى التوفيق وقال أيضا ما الشأن
وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب
إذا التزم العبد طلب حظوظه وحوائجه من مولاه لم يطلب
ذلك من غيره فلا يظنن أنه وفى بما يجب عليه من حق الربوبية

الربوبية فليعبر ذلك بالفقر المعتبر عند المحققين وانما المثال
ان يقف العبد فليقف بعفو مولاه اذ باحسنا باليوض اي بين يدي
اليه ويرضا بما قسم الله له ولا يطلب منه كما سبقوله المولف رحمه
الله بعد هذا او يطلب منه عبودية لا الغصد حقيقة هذين
الوجهين حين ذهب وبيع سواله وطلبه وذلك هوا لوقوف
على التحقيق وقال الشيخ رضي الله عنه ما طلب لك شيء مثل الا
ضطرار ولا اسرع لك بالمواهب مثل الذلة والافتقار
اضطرار العبد هو اخص وصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من
العبد شيء اجل منه قال ابو محمد عبد الله سهل رضي الله عنه
العبودية الرجوع في كل شيء الى الله عز وجل على حد الاضطرار
وفيه ايضا خاصية اجابة الدعاء قال الله تعالى امن يجيب المضطر
المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه الا يتوهم العبد من
نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه شيئا من الاسباب
يعتمد عليها ويستند اليها ويكون بمنزلة الغريق في البحر
او الضال في التيه والفقير لا يرى غيثا الا مولاه ولا يرجو النجاة
من هلكته احد سواه وقال بعض العارفين المضطر الذي يقف
بين يدي مولاه فيرفع به اليه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله

حقيقة

حقيقة يستحق به شيئا بيفول يقبلها مولاي بالتي والذلة والا
فتقار اسرار الا زمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى ١٢١
الى العبد المتصف بهما والى هذا اشار بقوله عز من قائل ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة فذلتهم اوجبت عزتهم ونصرتهم كما قيل
واذا تذللت الرقاب تقربا منها اليك فعزها في ذلها خ ذلها
وقيل حب اسلمني الى الذل والالام تطعيني بعين وزاد
فاني تكاليف المنى والطالب التوفيق وعلامته صدق الرجعى
الى الله في قول وكل فعل وترك تحقيق الفقر والفاقة اليه وانما
نغاير في الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى
الموافع ومن ذلك ابدا وقد قال الله عز وجل ولقد نصركم الله
ببدر وانتم اذلة وقال سبحانه وتعالى انما الصدقات للفقراء
والمساكين فلا تدخل حضرته بعملك وعلمك وما اعطيت من نور
وفتح فتعول كما قال من دخل على الله بعمله وحظ حضرتك وهو
كالم لنفسه فلا اما الفوز بين هذه الحال ولا كرا دخلها كما
بين لك وقال لما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء
الله لا قوة الا بالله واجمع ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول
ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية اخرى كنز من كنوز

تحقق العز في الترجمة كذا هو في الكنز والكنوز فيتبين صدق في الغنى
من الحول والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته وقال أنفا
لولا انك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو
دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اردت ان يوصلك
اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك
اليه بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله تعالى
لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علائق القلب وشيء من
ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو
لم يكن الا ارادته وعمله بتحصيل هذا الغرض بنفسه وهي وجملة
المساوي والدعاوي لاحتاج الى معونة قال الشيخ ابو العباس
رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول
الى الله يعني انقطاع ادب لا انقطاع ملال وقال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه ولن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته
وتدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته فلو خلق الله تعالى
عبده ومع ذلك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله ان يوصل عبده
اليه تولى ذلك له بان يخلصه من صفاته العلية ونعوته القدسية
ما يغطي به ذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة

على

على محبته له كما اشار اليه بقوله في الحديث الصحيح فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش
بها ورجله التي يمشي عليها ومعنى ذلك لا تكون له ارادة ولا
اختيار الا ما اختاره مولاه واراده فيكون حينئذ واصلا الى
الله بما منّ الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاجـ
ـتهاده والعمل فسبحان المتفضل على من يشاء بما يشاء وقال
لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا للقبول العبد مبتلى بنكود
النفس ورؤيته لعمله من حيث نسبته اليه وشهوده حوله
وقوته عليه وهذا الا يصح له عمل الا بما شاء ربه وقد يكشف
حجابه فيرى ان به ويطلب جزاء انا له وهذا كله من الترك لانه
القادح في الاخلاص شرط في قبول الاعمال كما تقدم قال يحيى
ابن معاذ رضي الله عنه مضحك ابن آدم جسم معيب وقلب معيب
يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد كان بهذه
المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله
تعالى وحفيظ حلمه وبركه فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه
لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي
الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت اعمالهم واذا تلاشت

اعمالهم زاد مقتهم وما فتحهم فتنبه واعرف كل شيء ومن كل شيء الى
ونسيهم وقال ايضا انت الى حلمه اذا اطعته احوج
منه الى حلمه اذا عصيته تترفع العبد ورفعة قدره انما
يكون بذكره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده
وثقته وخشيته وسقوطه من عين الله تعالى انما يكون بنظره
لنفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عن عمله با
الطاعة يتعرض لعقده الاتكال من نظره لنفسه واستعظام عمله
وعجبه بطاعته وسكونه الى ما عمله وليته يسلم فيه من دقائق
الرياء والتصنع بخلاف المعصية فيتبع لعقده الاشياء فانها
تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع
والشفقة له فيفتقر اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا اطاعه
احوج منه الى حلمه اذا الطاعه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اوحى الله الى نبي من الانبياء قل لعبادي الصديقين
لا يغتروا فاني ان اقيم عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم
لهم وقل لعبادي الخطائين لا تيأسوا من رحمتي فانه لا يكبر علي
ذنب اغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد توبة المعصية واحدة
وتوبة الطاعة الف توبة وقال ايضا الستر على قسمين

ستر

١٢٧

ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر
من الله فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة
يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك
العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم و
محبة حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون
بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها في حال كونهم عاملين
بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من اعينهم وفي مثالهم قال
الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم
اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الشيخ ابو القاسم القشيري رضي
الله عنه في هذه الاية انه الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا
يشعرون ان الحق مطلع عليهم اولئك الذين وسم الله قلوبهم
بوسم الحرمان روي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة
حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا رائحتها وما
اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها فيرجعون
بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا
النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها

ولعلنا يك كان اهون علينا فاذا ذكر اردت بكم كنتم اذا خلوتم بالنوق
بالعكاف واذا لقيتم الناس لقيتموهم متجملين تراءون الناس تجلاون
ما تعطون من قلوبكم هيبة الناس فلم تهابونه اجللتم الناس ولم
تجلونه وتركتم العناس ولم تتركوا لي والبيوم اذ يقيكم اليم العذاب
مع ما حرمتم من الثواب وفي بعض الكتب اما تعلموا انه اراكم
فالخلوة ايمانكم وان علمتم انه اراكم فلم جعلتموه اهون الناظرين
اليكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور هو الرجل تمر به المراة فيرى القوم انه يغض بصره
فاذا غفلوا نظر اليها ويرى بهم انه يغض بصره ويود لو انه
يطلع على عورتها ويقدر عليها وقال النخاعي رواية اخرى هو
الرجل يكون مع القوم فتمر بهم المراة فيراهم انه يغض بصره
عنها فاذا راى من القوم غفلة لحظ اليها وينظر فاذا خاف
ان يفطنوا غض بصره فقد اطلع الله عز وجل من قلبه يود انه لو
نظر الى عورتها وهذا كله شان الموسوس الذين يستخفون بنظر
الجبار ويهابون الناس ان يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من
الاوزار والخاصة من اهل الابرار اليقين برءاء من هذه الوجوه
الذميمة لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم معروفة

٤

في النظر اليهم ولا اعتماد في نفع او دفع وحالهم انما هو القناعة
بعلم الله تعالى ومراقبة نظره جهم يطلبون الستر من الله عنهم
ان يغيبهم عن نظرهم ولا يخرجها بقلوبهم فتميل اليها نفوسهم
فيعملون بها فيقعوا في غالبة ربهم والتعرض لسخطه والعفو
من عينه وفتنتان ما بين الحالين والى هذا المعنى اشار سيدي ابو
الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه بقوله اللهم انا نسالك
التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية واسبابها وذكرنا بالخوف
منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها والتفكر
في طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها
لها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها وقال ايضا رضي الله عنه
من اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك
ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك العبد محل الافات والعيوب
وستر الله الجميل هو الذي يحبب الناس الى الناس فاذا اكرمك
احد فلا يذهبن ذلك بك الى ان ترى لنفسك وصفا محمودا ان
تستحق به ذلك الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا تجهلنه ايضا
رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على ان تحمدهم
عليه وينبغي لك اذا فطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك

والفهم لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا لنعمة ربك كما يوضع الحمد
في غير موضعه وقال أيضا ما أحبك إلا من عيبك وهو يعلم
عليك وليس ذلك إلا مولاك خير من تعب من يطلبك لا
لشيء يعود منك إليه الطالب على الحقيقة هو من يريد الإحسان
لك وأسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك
التي يكرهها منك وليس ذلك إلا مولاك وخير صاحب لك
من اعتنى بك واشترك وأرادك من غير منفعة تنالها منك وليس
ذلك أيضا إلا مولاك فاتخذه صاحبا ودع عنك الناس جانبا وقال
لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها
ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها
نور اليقين تتراءى به حقائق الأمور على ما هي عليه فيحق به الحق
ويبطل الباطل والآخرة حق والدنيا باطل فإذا أشرق نور اليقين
في قلب العبد أبصر به الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه
حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب إليه من أن يرحل إليها فحينئذ
عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع
إليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد أن كانت حاضرة
فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر

اليقين

اليقين الزهادة في الدنيا والانجلاء بعد زهرتها والإقبال
على الآخرة والتزود لنزول حفرتها ووجدان الغيبة هذا علامة
انشراح صدره بذلك النور قال النبي صلى الله عليه وسلم إن النور
إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله
هل لذلك علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة
إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله أو كما قال
صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهوته وتذهب دواعي
نفسه فلا تأمره بسوء ولا تطالبه بشيء وتنقلب منه ولا تكون
له همة إلا المسارعة في الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات
والأوقات وذلك لاستشعاره طول الأجل ومعاينة طالع العمل
وإلى هذا المعنى الإشارة بحديث حارثة ومعاذ رضي الله عنهما
روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذ استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
كيف أصبحت يا حارث قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر
ما تقول فإن لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسي عن
الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني بعرش ربي بارزا
وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل
النار يتعاوون فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد نور الله الإيمان في قلبه

في خليه قال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان
اول فارس ركب وكان اول فارس استشهد فبلغ امه ذلك فجاءت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اخبرني عن
ابني حارثة ان يك في الجنة فلن ابكي ولن اجزع وان يك غير ذلك بكيت
ما عشت في الدنيا فقال يا ام حارثة انها ليست بجنة ولكنها
جنات في جنان والحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك
وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان
معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فقال كيف اصبحت يا معاذ فقال اصبحت بالله مؤمنا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة
فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما اصبحت صباحا قط
الا ظننت اني لا امسي وما امسيت مساء قط الا ظننت اني لا
اصبح ولا خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكأني
انظر الى كل امة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها واوثانها
التي كانت تعبد من دون الله وكأني انظر الى عقوبة اهل
النار وثواب اهل الجنة فالزم بعضهما ان رجال الافاضل يا
الحارثة ومعاذ بن جبل لما نظر زيد رضي الله تعالى عنهما

لما

لما اشرف عليهم انوار اليقين وتمكن من قلوبهم أي تمكن صدر
ينشق ما صح رسما ذكرناه من فنون الغيوب شاهدوا امر الاخرة
بمنزلة رأي العين فسلموا اعمالهم من العيوب والآفات واوجد ١٢٦
دعوات من الحسنات والسيئات وكشف منهم الانسان للقلوب
وصار في كل امر محبوب وكان واحدهم اشتياقا الى لقاء
الواحد المعبود وكانت انفسهم حتى طارت عند قتلها على من
الشهد حبيب جاءت على فاقة لا افلح من ندم وكذلك غيرهم
من الصحابة وكبار التابعين والائمة العاملين رضي الله عنهم اجمعين
ولقد جاءت معجزا عن حال النبي ما نسمع منه الا اخذا مقبولا
ان ولحما تواعلى دين الحق اوجد والسنة منهما معسولا
وروي انس بن مالك رضي الله عنه ان حرام بن ملحان رضي الله عنه
وهو خال انس طعن يوم بئر معونة في راسه فتلقى دمه
بكفه ثم نضحه على راسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة و
كان جبار بن سلمى فيمن حضر بئر معونة مع عامر بن الطفيل
ثم اسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام اني طعنت
رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله فقلت في نفسي والله
ما فاز الرجل فسألت حتى بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة
فقلت فاز لعمر الله والمطعون هنا هو عامر بن فهيرة

رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الأمراء الثلاثة
يوم مؤتة أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد من
غير إمارة ففتح الله عليه أخبر فقال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرهم
أنهم عندنا وقال لما بينهم وهم عنده وعندنا قد رجال ولهم
درجهم للخدمة وزوال مرتبة شريعة ومنزلة عالية منيعة وقبل
لا مثال لها الغير عجيبة بخطيرهم ولكلف من أكبرهم محجوبة عما
شموس المعارف ونعماء وبه المحالك واستلاف والغر
بعبرة الدار الغرورة العقلانية العبارة فيتشبثون بحبال الهوى
بمشيئتهما والتلبث بمطامعهم وإنها أكبر من غير شعور منها
بحالها وتزويد محاسن بكلام فصد لها البقاء وتعول عليها
منزلة لما كان لا حاجة لهم بها حسبه ماء فلما جاءه لم يجد هناك
ولا عندكم معه هذا كله تنبيه إلى العبرة وتحقيق كمال معرفة
والتيقن والحصول في غمار الموت إلا أنه متعين مع أن الدنيا
لو خيرت بين حلول الخير والبقاء في الدنيا معلقا باشتغال العبد
للأخيار البقاء فيها على يقين الأخرى مع كونها محجوبة بنفسه في
كل عنه بأن جاد ولا عن معصية بالاشتغال وبعدها كلف إخلاف
بعبودية لا تليق بمن ينتسب إلى الدين والملة المحمدية فالله
الله عز وجل مختار عن حال الشهود وكان شبه الأمر إليهم وفقدانه

لاستتارهم

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

لاستتارهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا
يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر
والله بصير بما يعملون وهو لم ينبه العاقل على محبة البقاء في هذه
الدار وما أمره بالتذاكر دار النعم إلا تنبيها بالشهود النافع
للمعهود لمتبعها وتبريا من المعبود لكان ذلك أبلغ لهاوهم
بعطاء عن ما ورد في ذا الأمر مواعظ وزواجر عن الله عن قلوب
حجاب الغفلة والغرور حماها عن مشاهدة كل الظهور وكبعور
وحبب البقاء الفاني ورزقنا ما رزقنا فيه وأحبابه بمنه
وكرمه وقال أيضا رضي الله عنه ما حجبك عن الله وجود
موجود معه إذ لا شيء معه موجود ولكن
حجبك عنه توهم وجود معه تقدم أن لا موجود
سوى الله تعالى على التحقيق إن وجد ما سواه إنما هو وهم مجرد
بلا حاجب لك عن الله تعالى إلا توهم وجود ما سوى الله لا غير
والتوهمات باطلة بلا حجاب لك عن الله إذا وقد استوفى المؤلف
جميع اعتبارات هذا المعنى قبل هذا في الطائفة المتقدمة
أشير فيه بوجود الكائنات إذ أنت ترى الحق بعين البصيرة
وجود الخلائق والكل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود
ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم وإذا ثبت

الا بثاره لم تنسخ احدية الموثر اذ لا شيء. انما ينتفع بمثله ويجتمع الى
شكله كذلك ايضا من شهد ظلمة الاثار لا تعوقه عن الله جار ظلال
الاشجار في الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن بعد هذا تبين
لك ايضا ان الحجاب ليس امرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك
وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب اليك منه وانه شيء اقرب
من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما يحجبك عن
الله وجود موجود معه وذلك كرجل بات في مكان فجاء اليه البراز
فسمع صوت الريح مركوزة هناك فظنه ان ذاك اسد فمنعه ذلك
عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك اسدا وانما هو الريح القفصة
في تلك الكوة فما حجبه لوجود البراز اسد وانما حجبه توهم
الاسد وقال ايضا لولا ظهوره في المكونات ما وقع
عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت
مكوناته ظهر الحق تعالى من وراء حجاب المكونات وهو
الذي اوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود
حجاب بينها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلي له
الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته لاضمحلت كما جاء في الحديث حجابه النار
وفي رواية النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه
كل شيء ادركه بصره وقال ايضا اظهر كل شيء بانه الباطن

وطوى

وطوى وجود كل شيء بانه الظاهر فان من اسمائه تعالى الظاهر
الباطن فباسمه الظاهر ظهر كل شيء حتى لا يكاد ينظر معه فيحجب
حسبه وجود كل شيء، واسمه الباطن يقتضي خفاء كل شيء حتى لا
يلاحظه فيطوي بذلك وجود كل شيء. فالحق تعالى يقتضي الوجود
لكل الاشياء والحجب وقال ايضا اباح لك ان تنظر ما في المكونات
وما اذن لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا
ماذا في السموات ولم يقل انظروا السموات يفتح لك
باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك
على وجود الاجرام امر الله بالنظر في المكونات ليس لذاتها
لان في ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يبح هذا وانما
امر به لتستدلوا بالنظر فيها الى الموجد لظهوره فيها وانما
نبه الى هذا المعنى في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض
المعنى المقصود في وجود الربوبية ومنه ما بالاستعداد وهو
معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو لم يستقصها وقال انظروا الى
السموات لكان فيه دلالة على وجود الاجرام وهو اعتبار له وفيها
البعد عنه فكيفما يدل على ذلك وقوله ماذا فيه فيه قال في الكائنات
المعنى فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها
فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره

حبيبا ولا تراها من حيث كونهن فان ولتلاح هذا المعنى
ما اثبت لك العوالم ان تراها بعين من لا يراها
جاز عنهن رقي من لم يزل ذا حالة في وراء بروز مولاها
وقال في الاكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته
الاكوان من ذاتها العدم المحض لا تقدح وانما حصل لها وصف
الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها اكوانا فالثبوت لها امر
عرضي والحق اللازم هو وجود احدية الله ولا احدية مبالغة
في الوحدة ولا تحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان يكون
اشد ولا اكمل منها ومن مقتضاها حقيقتها محو الاكوان وبطلانها
لا توجد اذ لو وجدت لم تكن احدية ولكان في ذلك تعدد و
اثنينية كما قيل: رب عبد ونفي ضد قلت له ليس ذاك عندي
فقال ما عندكم فقلتا ، وجود فقد وفقد وجد ،
توحيد حق بترك حق ، وليس حق سواه وحدي ،
وأنشدوا : سر سري في جانب القدس اضحى لا كون ذاك الفناء فقد احاط
وكم تاه في ملكوت من تجليه لم الو غير وجود ماله شان
ورفت للفناء حتى عين عن جمال فخرته لكل همسان
وأنشد المؤلف رحمه الله لنفسه في خطابه لمن يوهم رجلا
من اخوانه اسمه حسن قف ـــــــ آل ٨

حسن

١٢٩

، حسن بان تدع الوجود باسره ، حسن ولا يشغلك منه شاغل
، والبس وجيهك لتعلمن بانه ، لا ترك الا للذي هو حاصل
، ومتى اشهدت سواه فاعلم انه ، من وهمك الا دنا ولبيك ذاهل
، احسب للاله شهوده لوجوده ، والله يعلم ما يقول الغافل
، ولقد انتهت الى الصريح من الهدى ، دلت عليه البراهين دلائل
، وحديث كان ولم يكن شيء غيره ، يقضي به العاقل
، لا غير والنسبة مثبوتة ليذوقه ذو ترك وبجهد جاهل
وقال الشيخ رضي الله عنه الناس يمدحونك لما يظنونه فيك
فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها ذم العبد لنفسه
واحتقاره لها لعلمه وتحققه من عيوبها وآفاتها مطلوب
منه لانه يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بسبب
ذلك اعماله وتصح احواله وان قصد ما عليه واعتقد له حولا
بات عليها ولا يصده عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه
يعلم من نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم
من المدح له وحسن الظن به ينبغي ان يقوم هو بحق ما يجب
عليه من اتهام وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح
بمدح فقد امكن الشيطان ان يدخل بطنه وقال آخر اذا قيل لك
نعم الرجل انت وكان احب اليك من ان يقول لك بئس الرجل انت

وانت والله يعلم ان جل وقيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم لم يزل
الناس بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب وقال اني لا احسبك عراقيا
وقال بعضهم لما مُدح اللهم ان عبدك تقرب بمقتك فاشهدك
على مقته وقال ع اخر القوم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تواخذنا
بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام ابو حامد الغزالي
رضي الله عنه وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق
وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله
تعالى يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى
والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار
مع الاشرار وهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل النار
فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي
ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق
ومهما علم ان الارزاق والاجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم
وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه
انتهى كلام ابي حامد رضي الله عنه ثم قال ايضا رضي الله عنه
المؤمن اذا مدح استحيا من الله ان يثنى عليه بوصف
لا يشهده من نفسه المؤمن الحقيقي هو الذي لا يشهد من
نفسه صفة محمودة يستحق بها ان يمدح او يثنى عليه دائما

لنفسه

يستحمد من ربه عز وجل في اذا اثنى الناس عليه وذكروا محاسنه
استحيا من الله تعالى ان يستحق تعظيم واجلال ان يثنى عليه بوصف
ليس فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها ونفورا
عنها ويقوى عنده روية احسان الله تعالى وشهود فضله في ان
اظهر المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع
سلامة من الركون الى ثناء الخلق ثم قال ايضا رضي الله عنه
اجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس الاغترار
بمدح الناس وثنائهم غاية الجهل والغباوة وذلك من علامة
الحمق لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو عن
كان اعلم بنفسه وقد تكلم الحارث المحاسبي رضي الله عنه
ان الفرح بالمدح بمثابة من يستهزئ به وبمثاله ان العذرة
التي تخرج من جوفه لو انها فاحت كرائحة المسك وهو يفرح بذلك
ورضى بالسخرية به قلت ولا شك ان الذنوب والعيوب التي
يعلمها العبد من نفسه انتن واقذر من العذرة التي تخرج من
جوفه ولا فرق بين الحالين الا ان جاهل المدح يعلم ان المادح
لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ
للمستهزأ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله و
غباوته قد رضي بأن يكون له في قلوب الخلق الجاهلين بحاله قدر

وجاه من غير مبالاته بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا
يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يفِ باداء
الاباء والكراهية لها اذ كان المادح من اهل العلم والدين
واما ان كان جاهلا او من السفهاء فلا عبرة به اعظم من ان نظر من مدحهم
قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه تزكية الاشرار هجنة بك و
حبهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك
فالحقني الوحشة من ذلك وقال لعلهم راوا مني شيئا اعجبهم ولا اعجب
بعني بعجبهم وبمدحهم وروي عن بعض الحكماء انه مدحه بعض
الحكماء فبكى فقال له تلميذه اتبكي وقد مدحك فقال انه لم يمدحني
حتى وافق بعض خلقه خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبه بعد وامِن
هذا الحكيم على العلة في ذلك وقال ايضا رضي الله عنه **اذا اطلق**
الثناء عليك ولست باهل فاثن عليه بما هو اهله
المومن هو الذي لا يرى لنفسه اهلا لان يمدح او يثنى عليه لان
موجبات ذلك ليس له منها شيء كما تقدم فاذا اطلق الله تعالى
الالسنة الناس بالثناء عليه ولا اهلية فيه لذلك فينبغي ان يعرف
الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله بما هو اهله ليكون
ذلك شكر النعمة اطلاق الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق
لذلك ولا ثبوت اهلية وقال ايضا **الزهاد اذا مدحوا انقبضوا**

للشهود هم

لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا
انبسطوا لشهودهم ذلك من الحق الملك تقدم ان الزهاد
في غيبة عن الله تعالى فهم لا يشهدون الا الخلق فاذا مدحوا او اثني
عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون
من فوت نصيبهم من ربهم اجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك و
العارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون غيره فاذا مدحوا
شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا في
حالهم وحفظا لهم لغيبتهم عن انفسهم قال بعضهم يمدح ويهو
سالت فقيل له في ذلك فقال وما علي من ذلك ولست اعرف في نفسي
بل الصنعة في الشيء والمجرى والمنشأ هو الله عز وجل وقيل هذا
المعنى في الخبر المروي اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه قال
ابو طالب المكي رضي الله عنه وفيه طريق لطيف ان يعلوا الايمان
العلي الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه الى صنيع
الذي تولاه فيرد الصنعة الى الصانع ويشهد من الصنعة فيه
طرفا فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للباطن الا بنفي الوصف
والعجب بنفسه انتهى قلت وللمولف رحمه الله فصل في
مدح شيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه وكان ينشد هذا
بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعجم منه

بعضها ويقول في بعضها أيدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت بعد أن جب
عنده من أن ذا يلته تشبه الحظايل في عظا النكح والشعود
الجميع استغناؤهم من مدحهم لأنفسهم وثنائهم عليها
يستغنيم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد رأوا في ذلك عن سيد
عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهم وغيرهم وغير واحد منهم مع أن ذلك
معدود عندهم من الصدق الفيح وما ذلك إلا لما ذكرنا وبيانه أن
ما وقع لهم من ذلك بما ذكرنا وإن علماء الظاهر مدح في [illegible]
السالك لنفسه وثنائه عليها بغاية الحمق والعلم لعدم إطلاعه
إليه في هذا المقام والله تعالى أعلم وعلامة العارف في صاحب
المدح وإن كان طالبا فإن صاحب هذا المقام لا يحتاج إلى علامة إلا [illegible]
دعوى النار من حيث نسبة ذلك الفيح لأنهم معروفون فيه فقط
القدرة فيسلم لهم ويقع منهم ولا يجد في قلبه عليهم ولا يبطل
شيئا من ذلك الفيح كما قيل

رب راع لي بالجلاد إذا لم أجد يدا من العطف عليه
محسنا يطلع الله على جرح القوم فيجري نية إليه

وقال الثوري رحمه الله منا كنت إذا أعطيت فمسكك العطاء
وإذا منعت فمسكك المنع فاستدل بذلك على

ثبوت

ثبوت طفوليتك وعدم الصدق في عبوديتك القبض
عند المنع والبسط عند العطاء من علامة بقاء الحظ والعمل على
الشهود [illegible] وهو سائغ للعبودية من عند العارف بن عمر وجد ذلك في
[illegible] ما به عند [illegible] فهو عبودية [illegible] فعلى [illegible] أهل الله تعالى إدعائه
[illegible] مقاماتهم وقولهم [illegible] والفضل الذي بأن الولاية و[illegible]
القيامات فيدخل مع أهلها من غير دعوى وهو منسوب إلى
رجل من أهل الكوفة [illegible] ويقال إنه [illegible]
الإمام [illegible] وكان بأن الولاية من غير [illegible]
فنسبه صاحب الكتاب هذا إليه. قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي
رضي الله عنه أكثر الخلق مع الله تعالى في أحوالهم وإرادتهم على
الظنون ما تحقق منهم إلا قليل لأن الله تعالى يقول وما يتبع
أكثرهم إلا ظنا [illegible] تحقق مع الله تعالى في طالب [illegible] ما عنه ولي
من الأفعال والأحوال لكن ما إلى الله من رعاية الحق [illegible] وتولاه
وكان المحقق من حيث الحق له [illegible] من حيث [illegible] أكثر [illegible]
يستبشرون إليه [illegible] وحالة الصحبة [illegible]
وإن [illegible] خلاف مراد [illegible] الوجد [illegible]
عليه ولا اهتمام به ونسوا ما ادعوه وما أشاروا إليه
جميع الموارد [illegible] من [illegible] الوصول لا يعترض

عليه عارفة خلاف ودّ هله حالة عما سواه وقال رضي الله عنه
اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يوئسك من حصول
الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك
الاستقامة على العبودية لا ينافيها فضلا عن الذنب على سبيل الغلبة
والشهوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما ينافيها فضلا عن الاصرار عليه
فاذا وقع من العبد ذنب فينبغي له ان يبادر الى التوبة منه ولا
ييأس بسببه وقوعه فيه من دوام استقامة مع ربه فيرد الى
حدّه والعرج بتوبة توجب القنوط من رحمة الله تعالى ولا ييأس
من روح الله لانه قد يكون ذلك الذنب اخر ذنب قدر عليه
وقد يكون ذلك ووقع منه وقال رضي الله عنه اذا اردت ان ينفتح لك
باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا اردت ان ينفتح
لك باب الحزن فاشهد ما منك اليه الاداء والحق حالان
من مشاهدتين فمن اراد ان يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من
الله اليه من الفضل والاكرام والاسعاف فيستغلب فينفتح
حال الرجاء ومن اراد ان ينفتح له باب الحزن فليشهد ما منه الى
الله من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فيستغلب
عليه فينفتح حال الحزن وقال رضي الله عنه ربما افادك
في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط

لاتدرون

لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا تقدم ان القبض يوثر دونه العا
رفون على البسط لما فيه من عدم خوف النفس ووجود فعرتهم
على الوفاء باداب دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من ابواب
المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد ان يرى نعمة
الله تعالى عليه في ليل القبض كما يرى في اشراق نهار البسط كما
يعلم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار فليكن على ذلك الحزن
ويحسن ظنه به فانه لا يدري ايهم اقرب نفعا كما اشار اليه في الاية
الكريمة وتشبيهه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع
وقد تقدم نحوه في كلام سيدي ابي الحسن رضي الله عنه وقال رضي الله عنه
مطالع الانوار القلوب والاسرار نجوم العلم واقمار المعرفة
وشموس التوحيد مطالعها ومواضع شروقها قلوب العا
رفين واسرارهم وهذه هي الانوار على الحقيقة من المطالع
الروحانية بخلاف الانوار المحسوسة قال في لطائف المنن
واعلم ان الله سبحانه اذا تولى وليا حاط قلبه من الاغيار وحرسه
دوائر الانوار حتى تعرف بعض العارفين اذا كان الله سبحانه
قد حرس السماء بالكواكب والشهب كي لا يسترقوا السمع
منها فقلب المومن اولى بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني

قلب عبد المؤمن فإذا كان حكم الله تعالى بهذا الأمر الأكبر الذي اعتبر
بهذا القلب حتى صار بهذه الزينة أهلا ولهذا قال الشيخ أبو
الحسن رضي الله عنه لو كشف نور المؤمن العاصي لطبق ما بين
السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع قال ولقد سمعت
شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف عن حقيقة الولي
لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته قال ولقد أخبرني
بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما أبهر
عقلي وذلك أني شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت
الأنوار من وجوده حتى إني لم أستطع النظر إليه قال فلو كشف
الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس
والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر
من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار
قلوب أولياء الله تعالى لا كسوف ولا غروب لها ولذلك قال قائلهم
إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب
وقال رضي الله عنه نور مستودع في القلوب مدده
النور الوارد من خزائن الغيوب نور اليقين المستودع
يستمد ويتزايد من النور الوارد من خزائن الغيوب ونعم
نور الأوصاف الأزلية كما ذكرناه عن الشيخ أبي العباس رضي

رضي

رضي الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى
أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه وقال
نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن ١٢٧
أوصافه النور الذي يكشف لك به عن آثاره وهي
الأكوان المحدثة وليس إلى ذلك كبير حاجة إلا من حيث الاستدلال
به على المؤثر والنور المستودع في القلوب ويكشف لك به عن أو
صافه الأزلية حتى تراها عيانا وبه تعلو همتك وبه تعرف
قدرك ومنزلتك إذ بذلك تتحقق في المعرفة وتترقى في المشاهدة
ولا تحتاج إلى دليل يدلك وهذا هو الفرق بين النورين حسب ما يليق
المثل نور الشمس يشهد به الآثار ونور اليقين يشهد به المؤثر
ذا الجلال ولنا في هذا المعنى هذه الشمس قابلتها بنور ولشمس
اليقين نور أجلى من هذا النور كن بها تنبك قد رأيتها النهار
وقال أيضا رضي الله عنه ربما وقفت القلوب مع الأنوار
كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار القلوب نورانية فقد
تحجب بوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية من العلوم
والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بحجب كثائف الأغيار
الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة
بالأنوار كما النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله

قال ابو الحسن الششتري رحمة الله عليه في قصيدته النونية
تغيبت عن الاكوان لما تداخلت عليك ونور العقل اورثك السجنا
وهمت بانوار فهمنا اصولها ومنبعها من اين كان فما همنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثلما تبعد من اجل انطباق لجفنا
وقال ايضا رضي الله عنه ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر
اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها
بلسان الاشتهار انوار السرائر انما خفيت عن العيان بما استرها به
من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي ان يكون الا لها
لانها رفيعة القدر جليلة القدر فجلالها عن ان تبتذل اي بوجود
الاظهار لها به وصونها من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار
بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا
المعنى في قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وقال
سبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه الا من حيث الدليل عليه
ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه الدليل على الله سواه
ولا وصول اليه بغيره وكذلك اولياؤه ولما كان الوصول الى الله
تعالى لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل ان يكون بطلب
او سبب كان اولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك لما خلع
عليهم الخلع العلية وخولهم نعمه الجسيمة واصطفاهم
لنفسه

لنفسه واختصهم لمحبته وانسه وكتم اسرارهم من ان يظهر للا
غيار وصان قلوبهم بما اودع فيها من الانوار والاسرار وجعلهم لذلك
ضنائنه في عباده وخباياه في بلاده كما قال في بعض الاشارات
١٢٥ عنه سبحانه اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته
عليهم لان الحق تعالى اغير على اوليائه من ان يطلع غيره عليهم
فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل
اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس عن
الانام ويظهر ما يخفيهم في اعين الخواص والعوام فاين يكون لاحد
دليل عليهم ووصول بسبب اليهم قال في لطائف المنن واولياء
الله اهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته
يعني شيخه ابا العباس رضي الله عنه يقول معرفة الولي اصعب
من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف
مخلوقا مثلك ياكل كما تاكل ويشرب كما تشرب واذا اراد الله
ان يعرفك بولي من اوليائه طوى عنك وجود بشريته واشهدك
وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب انوار القلوب لله سبحانه
عباد كتمهم عن العامة وعباد اظهرهم للخاصة والعامة ولله
عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ولله عباد
يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله عباد لا يظهرهم

حقيقة ما بينه وبينهم الى الحقيقة من سواهم حتى يلقونه ابدا او
ذلك منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والصفيح
الاعلى من العرش الذي يتولى الله قبض ارواحهم بيده فتصيب
اجسادهم به فلا تعدو عليهم الثرى حتى يبعثوا ابدانا مشرقة
بنور البقاء اجمعوا فيهم بنعماء الابد مع البقاء الا هو عز وجل
انتهى وقال ابو يزيد رضي الله عنه اولياء الله تعالى عرايس ولا يرى
العرايس الا من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده
في حجاب الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الآخرة وقال
الجوزجاني رضي الله عنه الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة
الحق تولى الله سياسته فتوالت عليه انوار التولي
يكن له عن نفسه اختيار ولا مع الله غير الله عز وجل قرار وفي
انما شاء رضي الله عنه عز وجل انما سميت الاولياء اولياء لانه يليه دون
ما سواه جمع هم مترددون يشترب الحق تعالى لهم من ان يوصل اليهم
بغيره ولذلك صدر المؤلف رحمه الله كلامه بالتنبيه وقال
ربما اطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف
على اسرار العباد من لطف الله تعالى اخفاء اسرار الناس
بعضهم عن بعض لا سيما سر يقتضي وجود عيب وسوى ذلك هي
ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هنا بدليل الكلام الذي عقبه

١٢٦
به وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من اسرار الملكوتية
ووجه الحق في تخصيص ما قاله المؤلف ان وقد يحتمل ان يريد ما
هو اعم مما ذكرناه ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذا اخفى
الحق تعالى بها بعض عباده ويكون في ذلك تنبيه على العلة
الموجبة لخفاء الولي حسبما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى
في المسألة التي تقدمت قبلها حتى يمتنع الوصول اليه بطلب
او بسبب واخفاء ذلك الخافي عن عامة المؤمنين من النعم الـ
العظيمة اذ لو ظهرت اسرار الولاية على احد لاوجبنا على
من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فلو ضيع ذلك
وترك القيام بتلك الحقوق اساء وحرج بسبب ذلك في محذور
وانه لا يقوم لله حق فقد وجهنا هذا المعنى ومن كلام سهل
ابن عبد الله رضي الله عنه سأل الله بعض ملائكته كيف تعرف
اولياء الله تعالى فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا بشكلهم
او من اراد الله ان ينفعه بهم ولو ظهرهم حتى يعرفهم الناس
لكان حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم
حرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية امورهم رحمة منه
لخلقه ورافة ولكن الله قد اخبركم بصفته فقال عز وجل الله
ولي الذين آمنوا والله ولي المؤمنين فادخلهم به ولو حتى

يبرزهم لكان في التكلم البدع حجة وكان الاستماع لحد بتهم جرحا
انتهى كلام سحنون رضي الله عنه والمعنى الذي ذكرته في تعدد المسالة
وحقيقته من كلام الشيخ ابي طالب المكي رضي الله عنه في كتاب الشكر
قال فيه ثم بعد ذا من تكاليف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض
وستره عند العلماء والطائعين منهم لولا ذلك ما نظروا اليهم ثم
حجب الطائعين عنهم ولو اطلعوا عليهم لرأيتهم يمقتونهم حتى يكونوا
ايضا دعون على بغضهم وكراهة الله تعالى لهم وقربه منهم لتعطل ثواب
المحسنين اليهم ولحرموا قبول احسانهم اليهم ولحبطت اعمال
المسيئين اليهم فيحجب ذلك وستره ما عمل العاملون في الخفي
ودائم على الرجاء وحصول الظن من وراء حجاب الغيب وتاخير عقوبات
المذنبين لهم على المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند الله
عز وجل وجليل قدرهم في ستر هذا النعم عليهم على الطاهرين بعوضهم
من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المستخفين منهم
المصغين لستر الله تعالى من اجلهم اذ كانوا اصفياء والبهم
من وراء حجاب فهذا الصولة فهي من لطف المنعم الوهاب
كما جاء في الخبر من اذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر
لوليي فقد يكون فمن ذلك من اذى نبيا فهو لا يعلم بنبوته قبل ان
يخبر انه نبي الله وان الله عز وجل نباه فلا اثم ولا وزر من انتهك

حرمة

حرمة من كان علمه الله انه نبي له عز وجل لعظم حرمة النبوءة
انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب والوجه الاول او لوجه نفي بعض معنا
١٢٧ ما ذكره المولف والله تعالى اعلم وقال ايضا رضي الله عنه من اطلع
على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالاهية كان اطلاعه
فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه المطلع على اسرار الخلق
تفتيح وجود العيب اذ لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالاهية فيرحم
المذنبين ويحلم على الخطائين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين
ويرأف بعباد الله اجمعين فانه يكون في ذلك الاطلاع فتنة عليه
لانه يوجد به الكبر في نفسه واستعظام امره والعجب بعمله
والتكبر على غيره وهذا من اعظم الفتنة وكون ذلك سببا الى جر
الوبال اليه من اجل ما به لصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته
وهذا من اعظم الوبال وغاية الخزي والنكال وفي بعض الاخبار
المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزعت الرحمة الا من
قلب شقي وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وفي الاشارة عن الله
سبحانه عبدي ان استعطفتك شفقتك من الرحمانية فتمعنا
بلقائها رحم بالحق من بعده وهذا في الله سبحانه خليله ابراهيم

عليه السلام في بعض مواطنه العظيمة المقدار وعلمه كيف يتخلق
بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الارض وعن قسامة بن
زهير رضي الله عنه انه قال بلغني ان ابراهيم عليه السلام حين رفع
بصره اذا رأى الخلق فرفعه الله تعالى حتى اشرف على اهل الارض
فابصر اعمالهم وما يعملون فقال يا رب دمر عليهم فقال الله
تعالى انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون
وعن عطاء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لما ارى الله ابراهيم
ملكوت السموات والارض اشرف على رجل يعمل معصية من معاصي
الله عز وجل فدعا عليه فهلك وكذلك على اخر واخر فاوحى الله
اليه ان يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعوا على عبادي
فانهم مني على ثلاثة خصال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما
ان اخرج منه نسمة تسبح واما ان يبعث الي فان شئت عفوت
عنه وان شئت عاقبته وقيل ان سبب امر الله تعالى بذبح ولده
هو هذا المعنى الذي ظهر منه من غلظته على العصاة ورحمته
لهم ذكره في بعض التفاسير انه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة
الى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض فعرج به ليلة ذات فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم
اهلكه يا كل رزقه ويمشي على ارضك ويخالف امرك فاهلكه الله

تعالى

تعالى فاطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودي كف عن عبادي
رويدا رويدا فانه طال ما رايتهم عاصين فلما اعجبك ان ترى المنظر
ما ذكر الله تعالى عنه بقوله اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى
فلما قضى لذلك واخذ السكين قال اللهم هذا ولدي وثمرة فوادي
واحب الناس الي فسمع فلا يا ابراهيم اما ذكرت الليلة التي سالت في
اهلاك عبدي اما علمت انهم عبادي كما انت تشفق بولدك
فاذا سالتني اهلاك عبيدي سالتك ذبح ولدك واحدا بواحد
والبادي اظلم وقال ايضا حظ النفس في المعصية ظاهر
جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى
صعب علاجه النفس من شانها طلب الحظوظ والهرب من الحقوق
فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها بالطاعة فضلا عن المعاصي
ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا فهي
تجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا تجد في نوع
اخر وان كان هذا النوع الاخر افضل منه وما ذلك الا لاجل
ان حظها فيه اكثر من الاخر فاهل الخبرة والبصيرة يتخاصمون انفسهم
اذا انفتح لها باب من ابواب العبادة لم يتقدم لها عهد ومكنها
بذلك فيتشوشون لذلك عليها ويتغافلون عنها وقد حكي عن
ابي محمد المرتعش رضي الله عنه حججت كذا وكذا حجة على التجريد

فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سالتني يوما
ان استقي جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي
بالحجات كانت بحظ وشوب من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم
يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين ان حظ ان
النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل فلذلك تعين
هذا والله لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك ليستطلع بذلك
ادوات نفسه وكمائنها وخدعها وخفاياها وحظوظها ليعمل
على تصفية اعماله من ذلك فلا جرم اذا كان ذلك متعذرا وجب
عليه اتهام نفسه والتثبت في كل ما تدعوا اليه كما بينا من كان
قال الشيخ ابو بكر الخفاف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخنا
يقول ابن اجه زار قال المرتعش حدثتني نفسي بالخروج الى ضيعات الغزو
فقلت سبحان الله ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير
فلا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقي الناس
فتستروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها
بالبر والتعظيم والبر والاكرام فقلت لها لا انزلك العمران
ولا تنزلي على معرفة فاجابت فاسات الظن بها وقلت الله اصدق
قولا فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتكونين اول قتيل فاجابت
وعددت اشياء مما اراد دفعه فاجابت الا كان ذلك قال فقلت يا رب

نبهني

نبهني لها فاني لها متهم ولقولها غير مصدق فاحسست كانها تقول
لي انك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا
يشعر بي احد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت
منك ويتسامع الناس فيقال استشهد فلان فيكون لي جاه وذكر
في الناس قال فقعدت ولم اخرج ذلك العام فهكذا خدع النفس
وغرورها اعاذنا الله من شرها وسيئاتها من كلام المؤلف رحمه الله
اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا
يثقل عليها الا ما كان حقا وقال المؤلف رضي الله عنه ربما دخل الرياء
حيث لا ينظر الخلق ريا العبد بالعمل حيث يكون بمراى من الناس
كالظاهر لا يحتاج للامارة عليه ورياؤه بعمله حيث لا يراه احد
امر خفي لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو اخفى من دبيب
النمل ومن اماراته ان يلتمس بقلبه توقير الناس وتعظيمهم وتقديمه
في المحافل والمجالس ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر
احد في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره
ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة سواه حتى
ربما يفضي ببعض سخفاء العقول الى التشنيع والتوعد ومن
قصر في حقه بمعاجلة الله له بالعقوبة وان الله تعالى لا يدعهم
حتى ينتقم لهم وياخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه العلامات

في نفسه فليعلم انه مرآئي بعمله وان اخفاه عن اعين الناس وقد روي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان الله يقول للقرآء يوم القيامة
الم تكونوا يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدأون بالسلام الم تكونوا
تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال
عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا من
العباد قال لاصحابه انا فارقنا الناس والاموال والاولاد مخافة من الطغيان فنخاف
ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على
اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان
دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا
احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه
من الناس واذا السهل والجبل قد امتلا من الناس فقال السائح
ما هذا قيل له هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ايتني بطعام فاتى
ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا
عنيفا فقال الملك اين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف انت قال كالناس
[illegible] فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف
عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام ومن هذا
النوع من رياء خواص الكبار يروعه وانصبهم بسببه من الاخيار
لما روي عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه انه قال من اراد ان ينظر

الى

الى مرآئي فلينظر الي وتبع مالك بن دينار رضي الله عنه امراته وهي
تقول يا مرآئي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ودخل
رجل على داود الطائي رضي الله عنه فقال له ما حاجتك قال زيارتك
فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ما ينزل بي انا اذا
قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا
والله امن الصالحين لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الـ
الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله للمرائي اشر من الفاسق
الا ترى هذا انما يروى عنهم في نفي الرعونة ولا يسلم من الرياء الجلي والخفي
الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك
وغيبهم عن نفوسهم رؤية الخلق بما شرف الله قلوبهم من انوار اليقين والـ
المعرفة فلم يبق فيهم حظوظ نفوسهم ولم يتاثروا من مدحهم وجود
مضرة فاما الهؤلاء خاصة وان عملوا بين اظهر الناس ومرأى
منهم ومسمع فحفظ بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول
المنافع ورد فيه المكان فهو مرآء وان عبد الله في قنة جبل
بحيث لا يراه احد ولا يسمع به وقد تقدم قول يوسف بن الحسين
الرازي رضي الله عنه اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في
اسقاطه الرياء عن قلبه فكانه ينبت فيه على لون آخر وقال ابن
استشراحك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم

صدقك في عبوديتك الخصوصية ما اختص الحق تعالى
به بعض عباده من علم نافع وعمل صالح وحفظ الخصوصية فيه أن
يصنع بعلم الله تعالى بحاله ولا يتطلع إلى أن يعرف بذلك أحد
من الخلق فيشتغل حينئذ الخلق من ربه والشفقة عن الاستشراف
إلى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية الأغيار له ولهذا
فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر
عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه السلام إذا كان
صوم يوم أحدكم فليدهن رأسه وليمسح شفتيه فإذا خرج
إلى الناس رأوا أنه لم يصم وإذا أعطى أحدكم فليعط بيمينه و
ليخف عن شماله وإذا صلى أحدكم فليرخ عليه ستره فإن الله
تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء
عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال أحمد بن الحواري
رضي الله عنه من أحب أن يعرف بشيء من الخير ويذكر به فقد أشرك
في عبادته لأن من عبد الله على المحبة لا يحب أن يرى خدمته
سوى مخدومه وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه كل
من لم يقنع في أقواله وأفعاله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء
لا محالة وقال بعضهم ما أخلص أحد قط إلا أحب أن يكون في
جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه من

أحب

أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال أبو الخير
الأقطع رضي الله عنه من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء
ومن أحب أن يطلع الناس على أحواله فهو كذاب وقال بعضهم
لمن استوصاه لا تحب أن تعرف ولا تحب أن يعرف أنك ممن لا يحب أن يعرف
فعلى العبد إخفاء حاله جهده وأن يبلغ في كتمانه أقصى ما عنده
قال الحسن رضي الله عنه أدركت أقواما ما من أحد منهم يستطيع
أن يسر شيئا من عمله إلا أسره ولقد كان الرجل ليجلس مع القوم وإنه
ليفقه وما يعلم به حتى يقوم ولقد أدركت أقواما بات أحدهم
الزور فيقوم فيصلي وما يشعر به الزور ولقد أدركنا أقواما وما
من عمل يقدرون أن يعملوه لله سرا فيكون علانية أبدا ولقد
أدركت أقواما يجمع أحدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد
أدركت أقواما يجتهدون في الدعاء وما يسمعهم أحد وقال
محمد بن واسع رضي الله عنه أدركت رجالا كان الرجل رأسه مع رأس
امرأته على وسادة واحدة فدله ما تحت خده من دموعه ولا تشعر
به امرأته ولقد أدركت رجالا يقوم أحدهم في الصف فتسيل
دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جانبه وفي رواية
عنه أن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم حال وقع
معهم القلادة وقت ما فليشتغل بمراقبة قلبه و

صونه عن أن يعمل حب الفرح باطلاع الناس على حاله وليتذكر ذلك على
نفسه وليتكرر ذلك ولا يرضاه منها وليجاهد نفسه في ذلك أشد
المجاهدة فإن غالب هذا واستشرف إلى غير معرفة الله بحاله وغفل
عن مجاهدة نفسه في قصور ذلك منه ولو في لحظة خيفا عليه أن
يحبط عمله فيقع عند الله في المقت وإن كان ضعيف الإرادة لم
يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي لأن يقينه قد استتب له
وإن كان قوي الإرادة وسالك سبيل المعرفة لم يسلم من السكون
والركون فيضعف حينئذ الغيرة على الحال وينحط به ذلك عن رتبة الكمال
ولهذا كان أصحابها بمنزلة عند الناس من ضرر ورياء [illegible]
هذه الطريقة كما تقدم عنه قوله إذ من وجود كسب إظهار الخمول فإن
تحقق العبد بالمعرفة وصفا له الوجد إليه الطريقة جاز له
الإخبار بأعماله والإظهار لمحاسن أحواله بناء منه على نفي الغير
وأداء لواجب الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت
البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له
أما تخشى من الرياء فيقول ويحك وهل رأيت من يرائي بفعل غيره وكان
آخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم تذكر ذلك فيقول ألم يقل الله
سبحانه وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث فإن قصد
من هذا حالة الرهد به عباد الله تعالى ودعايتهم إلى الله جل

لخص

فأظهر أعماله وأفعاله للاقتداء به ولا اقتداء بقصد به فهو
خارج عن النمط الأول وكله داخل في المنزع الثالث وعلانية
هذا الفضل من صحح لأنه سلم من الآفات التي تعرض للعاملين وحصلت
له منه الفوائد التي تضمنها إظهاره وجهره وقد جاء
في الخبر السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء
وهذا الرجاء الموجود عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل
الذي سأله عن فرحه باطلاع الناس على بعض أعماله لك أجران أجر
السر وأجر العلانية وقد فعل ما ذكرناه من الإظهار جماعة من
الصحابة والتابعين بعد من بعدهم من ذلك ولم يعجز خشية الإطالة وكان
ذلك منهم لأجل هذه الأغراض وصاحب هذا الغير مقام النصحاء
لعباد الله والدعاة لهم إلى الله فله حظ كامل الدرجات العلى
عند الله لأنه من أئمة المتقين لهم وقد أخبر الله تعالى عن أئمتهم وذكر
عقيب دعائهم بذلك فقال عز من قائل أولئك يجزون الغرفة بما
صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما وقال الجنيد نكاية في المنزلة أن منتهى أمر الولي على الاكتفاء
بالله والقناعة بعلمه والاكتفاء بشهوده قال الله سبحانه
ومن يتوكل على الله فهو حسبه أليس الله بكاف عبده وقال ألم
يعلم بأن الله يرى وقال أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد

حسبي امر نفعه به فابتدع على الفقرا من الخلق الا زهد بالملامة الخلق
واخفا الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لصفائهم وتثبيتا لزهدهم و
عملا على سلامة قلوبهم وحبا لاخلاص اعمالهم لسيرهم حتى اذا
تمكن اليقين وابدوا بالرسوخ والتمكين وتحقق بحقيقة الفنا
ورد الى وجود البقا جعلوا ان شا الحق اظهرهم وان شا
سترهم فا فقطعهم عن كل شي الطلبه وظهور الولي ليس بارادته
لنفسه لاكن بارادة الله تعالى له بل مطلبه اركان مطلب الخفا
لا الجلا كما قد منا فلا يكن الظهور مطلبهم واراد الله
سبحانه اظهارهم فا ظهرهم نولاهم في ذلك بتولية وواردات
مزيدة ~~فلا يكن الظهور مطلبهم~~ لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد
الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسألة
اعنت عليها وان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها ومن تحقق
بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفا بل ارادته وقفا على
اختيار سيده له وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه من احب الظهور
فهو عبد الظهور ومن اراد الخفا فهو عبد الخفا ومن كان عبد
الله فسواء عليه اظهره او اخفاه انتهى وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه
تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب
علمك فهذا المعنى هو صدق عبودية العبد الذي اشار اليه في المسألة

المسألة

في المسألة التي قبل هذه وهو الا يكون لهم شعور بما من الخلق اليه
من نظر او اقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون شعورهم وتشوفهم
وطلبهم ما من الله تعالى اليه من نظره اليه واقباله فيغيب ادنى الحا
لين بأعلاها وذلك بان يعلم ان ما من الخلق اليه امر وهمي باطل
ينقاد اليه كل شي عقل فاصر يوجب له هذا انما ينقاد انواعا من
التكبر واذا ابل من لا خلاق له في اهوا النفس وتحسين مواضع
يخرج منه بالتصنع والتزين لهم وتربية الجاه والحشمة لديهم
تكبرا وتعظيما عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان ومخالفة الا
سرار والاعلان وهذا عذاب اليم استعجله في دنياه ان لا يعوضه
يزيل راحة قلبه وكان عيشته ويسلبه ثواب الغنا والعزة
ويلبسه ثياب الطمع والذلة فيتردى بذلك همته وتقل قيمته
ولعذاب الاخرة اكبر وفي ذلك قال الشاعر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وروي ان سهل بن عبد الله رضي الله عنه رأى رجلا من الفقرا بمكة فقال له
شيئا فقال يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل الناس فالتفت
سهل الى اصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى
لا يكون باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في
الدار ين الا هو وخالقه فان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه

أو تسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه انتقص ثم من له
بحصول ما أراده منهم وأغراضهم مختلفة وطبعا يعجم سببا
بينه فربما استنقص من نفسه شيئا لم يستحسنه غيره وربما رضي
فسخط ما لا يرضاه أحد منهم ويعمل بزعمه ما ينفعه عند الناس وهو
ساع فيما يزري عنده وعند الله تعالى مع مقاساة التعب وبي
أن نصب في نفسه وفي الحكاية المذكورة عن لقمان رضي الله عنه تنبيه على
هذا المعنى ذكر أن لقمان دخل ذات يوم هو وابنه السوق راكبين حمارا وابنه
يسوقه فقال الناس جبار أو شيخ لم يشفق على صبي فاركبه
خلفه فقالوا اثنان على حمار هزيل زاد ثالثة فنزل لقمان وبقي الولد
فقالوا شيخ ماش وصبي راكب فنزل يمشي مع ولده وساقا
جميعا الحمار فقالوا الحمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض
لقمان بهذا أن يري ابنه مقدار اختلاف الناس [illegible] وأنه
لا يسلم منهم على أي حالة يكون فرضى الناس غاية لا تدرك وأحمق
الناس من يطلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد إلى الأوهام من ضعفاء
العقول وسخفاء الأحلام وأما من كان له عقل وافر وعلم باهر
فلا يميل إلا إلى ما هو حق ووجوده صحة فهو يتوهم ما من الله تعالى
إليه من تكون إقبال عز جزيل عطاء وعظيم نوال فهو يعمل فيما
يؤديه إلى هذه المطالب من غير التفات لذم ذام ولا عتب

عائب

عائب ولقول لقمان [illegible] النبي [illegible] ذلك الذي يستصحبه
قلبي [illegible] قال [illegible] رضي الله عنه [illegible] والحذر الخلق
كنت في طلب وحدي ثم [illegible] وحدي [illegible] الدنيا
وحدي ثم [illegible] وحدي [illegible] وحدي [illegible]
[illegible] وحدي [illegible] وحدي [illegible]
إلى [illegible] وحدي ثم [illegible] الله تعالى وحدي ثم يقع عملي
وذنوبي في الميزان وحدي [illegible] الجنة [illegible] وحدي وإن
[illegible] إلى النار [illegible] وحدي [illegible] والناس وقد سئل الحارث
ابن أسد المحاسبي رضي الله عنه عن علامة الصادق فقال الصادق
هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل
إصلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من حسن
عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله فإن كراهته
لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من حال
الصادق [illegible] قال [illegible] رضي الله عنه من عرف الحق شاهده في كل
شيء فلا يستوحش من شيء ويستأنس به كل شيء كما تقدم من
نعت العارفين [illegible] قال [illegible] ومن [illegible] عن [illegible] فلا يكون
منه على إلا شيئا [illegible] أو لا له عليه [illegible] قال [illegible]
من [illegible] شيئا من مراداته وشهواته وهذه

الامور التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى علامة بلوغ تعدد المقامات
العلية وبها انتج ذلك لمن لم يتحقق بها في نفسه فلا ينبغي ان يدعي
تلك المقامات العلية وليعمل على تحقيقها في نفسه فيما يستقبله
ويكمل ما هو. قال ايضا: انما حجبك عن الحق شدة قربه منك
شدة القرب حجاب كما ان شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك موجبة
لاضمحلالك وذهابك واضمحلالك اذا ذهب لا مناسبة بينه وبين
التائب الموجود وكيف تراه فقال بعض [illegible] القرب
هو الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
حقيقة القرب ان تغيب بالقرب عن القرب لعظم القرب كمن يشم
رائحة المسك فلا يزال يدنو منها وكلما دنا منها يزيد ريحها
فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته منه وانشد
بعض العارفين: [illegible] اذا تنسمكم الشعير والعلم
ولا [illegible] من نار على علم
ان كنت تسأل عن [illegible] فهذا اصل منتهج
وقال ايضا: انما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الابصار
لعظم نوره هذه عبارة قد ولو لكل الناس من وضع بوا لمعناها
مثلا الا بالشمس وذلك ان الشمس نورها اقوى من سائر الانوار
المحسوسة وقوة نورها اقتضى ان حجبت الابصار الضعيفة عن
ادراكه

ادراكها فهي مختفية عنها لشدة ظهورها فهو الذي حجب وجود نورها
١٤٥ عن ابصارها وكشف الحجاب عن الحقيقة منعها فان الخفاء في ذاته
من ذاته وانما الخفاء عليها من غيرها والحجاب ههنا
ضعف البصر عن مقاومة بيضاء النور فما كذلك تعالى احتجب عن الخلق
بشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره وانشد بعضهم
لقد ظهرت فما تخفى على احد ... الا على اكمه لا يعرف القمرا
لقد بطنت بما اظهرت محتجبا ... وكيف يعرف من بالعزة استترا
وانشد بعض المشايخ في هذا المعنى
يا النور يخفى ما ترى من حالته ... وبه وجود الكائنات ابان مسترا
لا كنه يخفى الا به لظهوره ... حسنا ويبدو بذلك المبسم من الورا
فاذا انطوت بعين عقلك لم تجد ... شيئا سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره ... فبعيد بل جهلك لا تزال معنيا
وقال ايضا: لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك
عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية
لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب والسؤال منه الا ليظهر
افتقارهم اليه وشغلهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون
ذلك اظهار العبودية منهم وقياما بحقوق ربوبية ربهم لا لان
يتسببوا بها الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه من مطالبهم

صنيعة وحظ فهذا ادب العارفين على الله ويدل [illegible] مشتغلين بذكره
الموقف الا عن الله تعالى فلا [illegible] السراج [illegible]
بعض المشايخ عن الدعاء [illegible] وجه لا دعاء التسليم والتفويض [illegible]
فتح الدعاء وجعل احد الهم نريد بذلك تزيين الجوارح [illegible]
بالدعاء لان الدعاء ضرب من الخدمة يريد ان يزين جوارحه بشيء من
الخدمة والوجه الثالث ايتمارا لما امر الله تعالى به من الدعاء انتهى
لو فتح فيه باب الدعاء [illegible] العافية بين يديه وانا فاني لا يفعل
ما يشاء ومقتضى هذا الا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان اعطاه
كل مطلب وانا له كل سؤال عن مارب [illegible] فصبر العدم والوجود
والمنع والعطاء فيما يرجع الى الاحوال العاجلة والعفو فيكون ابدا
له في الاحوال كلها [illegible] في الاحوال كلها وفتح بالعبر
ان يجوب ويجتهد في باب مولاه [illegible] وهو ادعى فقال
سيدي ابو الحسن رضي الله عنه لا يكن همك [illegible] الطلب [illegible]
هو اليك فتكون محجوبا وليكن همك مناجات مولاك فقال
ربما مل ابو القاسم القشيري رضي الله عنه [illegible] من ينتقل الى الله
تعالى عند هجوم البلاء بخفض الدعاء والتضرع والبكاء فاذا
زالت شكايته [illegible] ضيع الوجد ونسي البلاء
وقال ابن [illegible] العقد [illegible] الوداد ولكن

الذين

الذين يعبدون الله في [illegible] الحكم وخرطهم في سلك اهل الرد
وقد قيل [illegible] الا انتصاب بين يدي معبودك خير من
عطاء [illegible] اياه و[illegible] عنه وقال انظر رضي الله عنه
كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق فهذا
دليل في نفي السببية المذكورة لان ما طلبه العبد امر سابق في الازل
تقديره وطلبه امر لاحق فيمتنع [illegible] ان يكون اللاحق سببا
في وجود السابق ونفي السببية اذا لا يتقدم [illegible] المسبب وقال
جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل هذا دليل [illegible]
ذكر [illegible] حصول ما طلبه الداعي من الله تعالى في الازل
[illegible] بسبب الدعاء [illegible] احكام الله تعالى [illegible]
الرعاية او بسبب من قبل له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة
[illegible] والعلة [illegible] لما قال العارفون المحققون
وقال ايضا عنايته فيك لا لشيء منك واين كنت
حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم
يكن في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل
لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال
عناية الله بك في الازل لم تكن [illegible] معللة بشيء
كان منك من اخلاص اعمال ووجود احوال تتوسل بجميع

في ذلك اليه وان كنت اذ ذاك وانت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض
كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير قال الواسطي رضي الله عنه
اخلاق فسميت ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال الا
بسعايات وقال ايضا علم ان العباد يتشوفون الى كشف
العناية فقال تعالى يختص برحمته من يشاء وعلم انه
لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل
فقال ان رحمت الله قريب من المحسنين فهو اسم العنا
ية التي مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشيئة في قوله عز وجل يختص
برحمته من يشاء ولا علة له من العبد والاحسان المنسوب اليه
في قوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين لعله وعلامة على
تلك العناية وليس بعلة موجبة وانما اسند الرحمة اليه وعلقه
به لئلا يتكل العبد على السابقة ويترك العمل الذي هو مقتضى
العبودية الواجبة له عليهم وقال ايضا رضي الله عنه الحسنة
يستحق كل شيء لا رفوع ما لم يشا الحق تعالى محال وقال ايضا
ولا تستند في الى شيء لاستحالة وجود النفع فيما يحاله
ان كمال هو هذه العبارات التي ذكرها المؤلف رحمه الله من اول
الفصل الى هنا بلغت الغاية في الحسن استغنيت بتركا اذ دها
وذكرتها على العبارة الشرح وفيها اشارة الى الاحكام الاول

جود

وفقد الاسباب والعلل يجب على العبد ان يبني عليه اعماله و
احواله فيلتزم العبودية ولا يفتقر ويدع التدبير والاختيار
لمن بيده ذلك وهو الواحد المتوحد جعلنا الله من اهله بمنه وفضله
قال ابو بكر بن موسى الواسطي رضي الله عنه ان الله لا يقرب فقيرا
لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاغراض عنده خطر
حتى يصل بها ويقطع ولو بذلت له الدنيا والاخرة ما اوصلك
اليه بها ولو اخذتهما كلها ما قطعك بها قرب من قرب من غير
علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور وقال ايضا رضي الله عنه ما خالفهم احد ولا وافقهم
فيما احد وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته ان يكون الموافق
والخلاف وهو يقلب الليل والنهار بما فيهما وهو القادر على ان
مثبتا وباقيا شيئا في تقاديرها وهنا ينكل لا يونسهم وجد ولا يوحشهم
فقد بل لا وجد ولا فقد انما هي رسوم تحت الرسوم وقال ايضا
ربما دل على الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته
واشتغالا بذكره عن مسألته قد يكون من الادب ترك السؤال
والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار راض بما جرى عليه من نعم
ربه بلا فكر وهو احد مذاهب القوم قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه واختلف الناس في اي شيء افضل الدعاء او

السكوت والرضا فحجتهم من قال الدعاء عبادة بقوله صلى الله
عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالإتيان بما هو عبادة أولى من تركها
ثم هو حق الله سبحانه وتعالى فإن لم يستجب العبد ولم يصل إلى حظ
نفسه فلقد قام بحق ربه لأن الدعاء إظهار الفاقة العبودية وقد
قال أبو حازم الأعرج لأن أحرم الدعاء أشد علي من أن أحرم الإجابة
وطائفة قالوا السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق
من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى لك في الأزل
خير لك من معارضة الوقت وقد قال صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله تعالى
من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وقوم قالوا
يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضى بقلبه
ليأتي بالأمرين جميعا قال الإمام أبو القاسم والأولى أن يقال إن الأ
وقات مختلفة ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب
وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب وإنما
يعرف ذلك في الوقت لأن علم الوقت يحصل في الوقت فإذا وجد
في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به وإذا وجد إشارة
إلى السكوت فالسكوت أولى ويصح أن يقال ينبغي للعبد أن لا يكون
ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب أن يراعي حاله
فإن وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له أولى وإن

عاد

عاد إلى قلبه في وقت الدعاء وارد يشبه زجرا ومثل قبض فالأولى
ترك الدعاء في هذا الوقت وإن لم يجد في قلبه لا زيادة بسط
١٤٢٩ ولا حصول زجر فالدعاء وتركه هاهنا سيان فإن كان الغالب عليه
في هذا الوقت المعرفة فالحال السكوت والسكون ولهذا يصح أن
يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحق سبحانه فيه مدخل
فالدعاء أولى وما كان لنفسه فيه حظ فالسكوت أتم وفي الخبر
المروي أن العبد والله يحبه فيقول يا جبريل أخر حاجة عبدي
فإني أحب أن أسمع صوته وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه و
فيقول يا جبريل اقض لعبدي حاجته فإني أكره أن أسمع صوته
انتهى كلام الإمام أبي القاسم القشيري وهو حسن بديع وهو
أوضح مما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى فلذلك أوردته هاهنا
بكماله وقال بعضهم إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال وإنما
ينبه من يمكن منه الإهمال ورد هذا لكان الدليل على ما ذكر
من أن ترك الطلب قد يكون من الأدب وذلك لأن الطلب يشعر
بتجويز الإغفال عليه فيقع عليه ذلك التذكير له وتلويحا
احتمال وجود الإهمال منه فيكون في ذلك تنبيه له وجميع
ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلأجل هذه العلل
كان ترك الطلب على هؤلاء أدبا وقد قال الواسطي رضي الله عنه

لم يدعوا فقال أخشى أن دعوت أن يقال لي إن سألتنا ما لك عندي
فقد اتهمتنا وإن سألتنا ما ليس لك عندي فقد أسأت الثناء
علينا وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور وقد
روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ما دعوت منذ خمسين
سنة وما أريد أن يدعو لي أحد لأنه ماض على ما سبق وقال أبو
وورود الفاقات أعياد المريدين الأعياد عبارة عن الأوقات
العائدة على الناس بالمسرات والفرح وهم مختلفون فمنهم من
سرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهوته وغرضه وهذا حال عامة
المسلمين ومنهم من سرته وفرحه بفقدان حظوظه وإعواز أمانيه
وأغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين بأن مدار أمرهم
إنما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدرات الأ
غيار والأكدار ولا يتأتى لهم ذلك إلا بوجدان ما يقهرهم من
ضروب الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فمن أجل هذا يؤثرون
الفقر على الغناء والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة
إذ تحصل لهم بذلك رقة ولطافة لا يعرف قدرها إلا هم لأنها من
وجود حظهم في ربهم ورب نبههم في حال فقدانها وجد أن حظهم
وكلما ازداد فاقة وبلاء ازداد هو مولاهم قربة ودنوا كما قال
بعضهم يطوف حول الكعبة وهو يقول:

موتزر

موتزر بشملة كما ترا ❁ وصبيته باكية كما ترا
وامرأته عريانة كما ترا ❁ يا من يرى الذي بنا ولا يرا
أما ترى ما حل بي أما ترى ❁ فسمعه بعضهم فجمع له كيسا ود
فعه إليه فقال الشيخ لو كان معي شيء لما أمكنني أن أقول
هذا القول فحاصل التنويه بورود البلايا والفاقات من أجل أن
الكاملين ما لا يعجبهم إلا ورود المصائب لأن البلايا تحمل
النفس وتذللها وتذهب شدتها من طلب حظوظها وينفع مع
البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة قال تعالى ولقد
نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال أبو إسحاق إبراهيم الهروي رضي
الله عنه من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على
سبع فإن الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير اختيار
الفقر على الغناء والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل
على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على
الحياة وقد تقدم عنه قول المؤلف رحمه الله من ظن انفكاك
لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره فإذا تقرر هذا المعنى فواجب
أن لا يكون ورود الفاقات أعيادا للمريدين لما ذكرناه إلا أن
يفقدوا ذلك بمواتاة أسباب استشعروا وجود الحجاب
وبعدهم عن محل الاقتراب في مواتاتك فإذا استشعروا وجود الحجب

أعياد المريدين الحال الأول ومن هذا المعنى ما حكي عن خير النساج
رضي الله عنه قال دخلت بعض المساجد فإذا فيه فقير فلما رآني
تعلق بي وقال يا أيها الشيخ تعطف علي فإن محنتي عظيمة فقلت
وما هي فقال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فإذا هو قد
فتح عليه بشيء من الدنيا وقال بعضهم إن الفقير الصادق ليحترز
من الغنا حذرا أن يدخله فيفسد عليه غناه وقد تقدم من حكايات
الحكيم عطاء السلمي وفتح الموصلي والفضيل بن عياض والربيع بن
خثيم رضي الله عنهم ما يوافق ما ذكرناه وأنشدوا في ذكر أعياد التي
يديرن وقيل إنها لأبي علي الروذباري رضي الله عنه أربعة أبيات
قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم إن غبت يا أملي والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا
وقال رضي الله عنه ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لم تجده
في الصوم والصلاة ورود الفاقات يحصل للمريد فيها من مزيد
من صفاء القلب وطهارة السر وهذا لا يحصل له ذلك بالصوم و
الصلاة قد تكون له فيهما شهوة نفس وحظوظ كما تقدم ومن كان هذه
سبيله وهو لا يبرح من دخول الآفات في العبادة فحليته
ولا تزكيته

ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فإنها مباينة للدعوى والـ
الشهوة على كل حال وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله إذا فتح
لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك وقال رضي الله عنه
الفاقات بسط المواهب الفاقات تحضره مع الحق وتجلسه تحضره
على بساط الصدق ونواهيك بما يكون بتلك الحضرة والمجالسة
من المواهب الربانية والنفحات الروحانية وقال رضي الله عنه
إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك
إنما الصدقات للفقراء هذا مثل ما ذكر من ذكر الآية فيه
إشارة إلى بعض تصحيح الفاقات والفقر هو التحقق بأوصاف
العبودية وقد تكلمنا في المسألة التي تليها بأشد هذه ومما يتعلق
بظاهر الآية التي استشهد بها المؤلف رحمه الله تعالى على
كريمة الفقر ما قال بعضهم صدق الفقير أخذ الصدقات ممن
يعطيها ممن تقبل إليه على يديه ما الحق تعالى هو المعطي على
الحقيقة لأنه جعلها لهم فإن قبلها من الحق بهم الصادق في فقره
تعالوا همته ومن قبلها من الوسائط بهم المترسم بالفقر
مع دناءة همته وقال رضي الله عنه تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه
تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك
بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته هذا

مناسب لما ذكره المؤلف من الفاقات والمواهب وقد تقدم التنبيه
على هذا المعنى عند قوله تكن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف
عبوديتك متحققا قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف
والذل لله تعالى وأضدادها أوصاف الربوبية فما لك ولها
فلازم فقرك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي
يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف
غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط
الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الإجابة كأنها طوع
يدك واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين انتهى
كلام الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه ونفعنا به وقال رضي الله عنه
ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة الكرامة
الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ومرجعها
إلى أمرين صحة الإيمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد ألا يحرص إلا
عليهما ولا تكون له همة إلا في الوصول إليهما وأما الكرامة
بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين إذ قد يرزق
ذلك من لم تكمل له الاستقامة قال سيدي أبو الحسن الشاذلي

رضي الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان
بمزيد الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء
والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن أعطيهما ثم
جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في
العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا
ثم جعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة
لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص
هالك مثبور. قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه ليس
الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو غيرها من البلاد إنما
الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربه. وذكر
عند سهل بن عبد الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الآيات
وما الكرامات هي أشياء تنقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن
تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود. وقال
بعض المشايخ لا تتعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئا فيدخل
يده في جيبه فيخرج ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه
شيئا فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا يتغير. وقيل لأبي محمد
المرتعش رضي الله عنه إن فلانا يمشي على الماء فقال عندي إن من مكنه
الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء وفي

بيان تنظروا كيف تجدونه

الهواء. وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو ان رجلا بسط مصلاه
على الماء، وتربع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه
في الامر والنهي وقيل لفلان يقولون انه يمر في ليلة فقال الشيطان
يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وغضبه
وقيل له فلان يقال انه يمشي على الماء. فقال الحيتان في الماء والطير
في الهواء اعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه حجب قلوب
الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء، والسكون
الى الكرامة وقد تقدم مثل هذا عند قوله ليعظم كل من تثبت في
تخصيصه كمل تخليصه وقال انما من علامة اقامة الحق لك
في الشيء، مداومته اياك فيه مع حصول النتائج اراد
اعتبارها بما يقوم العبد فيه بنفسه من عمل او حال او اقامة العبد
بما يقيمه فيه ربه من علامة اقامة الله تعالى عبده في الشيء،
ان يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته ويبني على هذا اداب
ومعاملات وقد اشرنا الى نحو من هذا عند قول المؤلف رحمه
الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب الى اخره
وقال ايضا رضي الله عنه من عبر من بساط احسانه اصمتته
الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت
اذا اساء. من شاهد احسان نفسه وعمله وطاعته لربه انبسط

لسانه

لسانه بالنصيحة والمواعظة لعباد الله فاذا وقعت منه اساءة
ومخالفة انقمع عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء.
وهذه طريقة اهل التكليف الذين يرون ما منهم الى الله من
عمل صالح وكلام ومن شاهد احسان الله اليه وغلب عليه شهود
احسانه لم ينقبض لسانه في الخير من غير فرق ولا مقت هذه
لوجود المنة وقيوم منته اوجبت جرأته على ذلك وقد قيل جرأة
الحبان ينطق الفصاحة وتطلق العقول وهذه طريقة اهل التعريف
الذين يرون الاعمال من الله تعالى اليهم قلت وما ذكره هنا
من طريقة التعريف والتكليف وما يختص به كل منهما من الكلام
اللطيف اشرنا به الى مسألة عظيمة مهمة ينبني عليها اداب
واخلاق جمة وهي مسألة اختلاف احوال الناس في معاملتهم
ربهم بحسب تباين حجب مراتب قربهم منه وكذا مسألة
التعرف التي افتتح المؤلف عليها في هذا الفصل ولم يذكر معرفتها
سواها هاهنا ينبني عليه ذكرناها وقد نبه عليها في لطائف المنن
واتى فيه بكلام مستوعب حسن واردنا ان ننقله هاهنا بكماله
لتيسير مقصدنا في تفصيله واجماله قال فيه وقال رضي الله عنه
بعض المشايخ ابو العباس الناس على ثلاثة اقسام عبد يشهود
ما منه الى الله وعبد هو يشهود ما من الله اليه وعبد يشهود

ما من الله اليه فقال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من يكون
الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذر
بين يدي الله وتلازمه الاحزان فتغلب عليه الانكسار ويستولي عليه
الكمد كلما ذكرت له سيئة او كشفت له عن اوطانها ومن
داخل الغالب عليه شهود ما من الله اليه من الفضل والاحسان
والجود والامتنان فهذا يلزمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله
قال الله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون فالاول حال العباد والزهاد والثاني حال
اهل العناية والوداد الاول شأن اهل التكليف والثاني شأن
اهل التعريف الاول حال اهل القبض والثاني حال اهل المعرفة
وفي ذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه العارف من عرف
شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساءته
في احسان الله اليه فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون وقال رضي
الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثير العمل
مع رؤية التقصير من النفس وقال اهل المعرفة الغالب عليهم
التفويض من الترك في التدبير وقال الشيخ ابو الحسن رضي
الله عنه قرأت ليلة من الليالي قل اعوذ برب الناس الى ان
انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس

في صدور الناس من الجنة والناس فقيل لي شر الوسواس وسواس
يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك الطافه الحسنة ويذكرك
افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات
الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله
ورسوله فليحذر من هذا الباب فقد اخذ منه كثير من العباد والزهاد
واهل الجد والاجتهاد وكذلك قل ان تجد العباد والزهاد الا مكمودا
حزينا لانه علم ان الله كلفه بالعبودية وحمله اعباء تكاليفها والزمه
ما استعفت السموات والارض والجبال ان يحملنه واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل
ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الله من الاثقال عن عباده
المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن واهل
المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا
ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى انفسهم قال الله عز وجل
وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم
ما حملهم قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
فرجعوا اليه بصدق فاقتهم فحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله محمولين
بمحفات المنن مروحا عليهم بنفحات اللطف والاخرون ساروا
الى الله حاملين لاثقال التكاليف مقاسين المشقات وقطوف

منهم المسابقات فان هؤلاء ادركهم اللطف واخذ بايديهم من شهود
معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فكانت لهم الاوقات
واشرقت عليهم العنايات واما القسم الثالث وهم الخيرهم
مع الله تعالى يشهدون ما من الله الى الله وهؤلاء هم اهل التوحيد
والداخلون في ميادين التجريد واهل القسم الاول هم الذين
غلب عليهم شهود ما منهم الى الله ولم يخرجوا عن باطن الشرك وان
خرجوا عن ظاهره لانهم اقبلوا على انفسهم من حيث انها مصدر
لتقصيرهم واسائتهم فلولم يشهدوا الفعل لها اومنها ما
توجهوا لها بالتوبيخ اذا فرطت ولذلك قال العارف الذي سبق
قوله لا تخلو ان شهود التقصير من الشرك الخفي فان قلت
اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم ذلك الشرك فكيف
نصنع والله تعالى قد ذم النفس وامرنا بتوبيخها اذا فرطت
اذا كان ثم فالجواب ان ذمها لان الله امرك بذمها من
غير ان تشهد لها قوة او تضيف الفعل اليها فحقا تراها هي الفعالة
له واما القسم الثاني وهو الذي يشهد ما من الله اليه فهو وان كان
خيرا من القسم الاول الا انه ما سلم من اثبات فعل لنفسه اذ اراد
نفسه منقطعا عن البقية بعد ما يلحق عليه الاثبات لنفسه ما شهد
ذلك فلاجل هذا تبرأ منه فمن اثبت الله القسم الثالث وهو ان

يكون

١٥٦

ان يكون يشهدون ما من الله الى الله فافهم انتهى كلامه رحمه الله و
لاجل ما تضمنته من الفوائد الجليلة والمقاصد الفضيلة ذكرناه لقرب
المناسبة الى ذكره على ما هو عليه في هذا الموضع والله الموفق
لا رب غيره وقال رضي الله عنه تسبق انوار الحكماء اقوالهم
فحيث صار التنوير وصل التعبير الحكماء هم العارفون بالله
تعالى العالمون به والانوار المنسوبة اليهم هي انوار معرفتهم وهي
قوة يقينهم بان الامور كلها بيد الله تعالى الامر كله فيه فاذا
اراد الانتفاع عباد الله تعالى بهم وتعليمهم باذن من الله تعالى لهم
تلونت عبادتهم سبقت انوار قلوبهم الى الله تعالى بالعباد وارا
فتنظر اليهم ان تنور احجام من قلوب عباده بان تحصل فيها اهلية
واستعداد القبول لما يريدون ايراده عليهم من كلام الحكمة ثم
يتحيرهم الى ذلك فاذا اذكروا به بلغته قلوبهم الى وصل السبق
الانوار انوار الحكماء فهي تلقي الارض المهيئة والبذر الموضوع فيستعدونه
بذلك اتم انتفاع وفي قلوب لقمان الحكيم ابنه فقال ما بلغت من
حكمتك فقال لا اتكلف ما لا يعنيني فقال يا بني انه قد بقي شيء
اخر زاحم العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة
بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء وانما قلنا
ان الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به لانهم الذين عرفوا

من الله وفي اثار راس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات العلم
بالله فقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والعلم الموجب
للخشية هو العلم بالله تعالى فقط فالعلماء بعد العالم العلوي بالله
تعالى وان كانوا صعفا في سائر العلوم الى سببية كاملة المنتهى
عنيته في البيان قال ابنا لكل كلام نبز وعلية كسوة
القلب الذي منه نبز اللسان ترجمان القلب فاذا صفا من الاكدار
وتزكى عن الاغيار وانشرفت فيه الانوار وكانت ترجمانية لسانه
على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج في اذان السامعين
فتنفتح به اقفال قلوبهم ويستجيبون لنداء حبيبهم وقد حكى
الشيخ ابو نعيم رحمه الله عن سعيد بن عامر قال كان قائم يجلس في
مسجد محمد بن واسع يا عبد الله ما ارى القلوب تقبل وقبلك
ان الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد حاز
المولف رحمه الله قصب السبق في هذا المعنى الذي ذكره ومن تامل
كلامه في هذا الكتاب وفي غيره وحصل له التاثير المحمود يسلم لما
قلناه وكفى بشهادة شيخه ابي العباس المرسي لولده الى الشيخ برهانه
وحيلته في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ رضي
الله عنه قال لا تطالبوا الشيخ ان تكونوا في خاطره بل طالبوا انفسكم
ان يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونوا عنده

ع

ابن العالم الموي

ثم قال ارني ترجو ان تكون في الله لتكونن لك شان عظيم والله ليكونن لك
كذا والله ليكونن لك كذا لم انس الا قوله ليكونن لك شان عظيم مكان
من فضل الله سبحانه ما لا انكره قال واخبرني سيدي جمال الدين ولد الشيخ
قال قلت للشيخ هم يريدون ان يجعلوا ابن عطاء الله في الفقه
فقال الشيخ هم يجعلونه في الفقه وانا اجعله في التصوف قال
ودخلت فقال اذا جاءك الفقيه ناصر الدين يجلسك في موضع جده
ويجلس الفقيه من ناحية وتتكلم ان شاء الله في العالمين مكان
ما اخبر به رضي الله عنه قال وسمعته يقول اريد ان انسخ كتاب
التهذيب لولدي جمال الدين فذهبت انا ما استحسنته من غير
ان اعلم الشيخ واتيته بالجزء الاول فقال ما هذا قلت كتاب التهذيب
استحسنته لكم فاخذه فلما نهض ليقوم قال اجعل بالك الولي
لا ينقص عليه احد تجد هذا ان شاء الله في ميزانك فلما اتيته
بالجزء الثالث لقيني بعض اصحابه عند نزوله من عنده قال قال الشيخ
والله لا جعلته عينا من عيون الله يقتدى به في علم الظاهر والباطن
فلما اتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض اصحابه وقال
كلمته عن الشيخ فيه حين نزل عنه بمجلسه جزاك فقال هذا الذي
الكتاب استنسخه لابن عطاء الله والله ما ارضى له بجلسة
جده ولكن بزيادة في التصوف قال واخبرني بعض اصحابه قال

قال الشيخ يوما اذا جاء ان فقيه الاسكندرية علموني به فلما
اتيت اعلمنا الشيخ به فقال تقدم فقدم مكبين يديه ثم قال جاء
جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك
الجبال حين كذبته قريش فسلم عليه ملك الجبال وقال ان شئت
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ولكن ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يوحده
ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجاء ان يخرج الله من اصلابهم من يوحد الله كذلك صبرت على
جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال وخرجت يوما وعند ان
الفقيه المكين الاسمر وخرج معه ابو الحسن الحريري وكان من اصحاب
الشيخ ابو الحسن فسلمت عليه وسلم علي فقيها شيئا وقال
فعلت من اين تعرفه فقال وكيف لا اعرفه وكنت يوما جالسا عند
الشيخ ابي العباس وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي
انه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان وفلان لازمني وهذا
الشاب ملازم قال فقال يا ابا الحسن ليكونن هذا الشاب ممن
يكون داعيا يدعو الى الله فكان ما قال الشيخ رحمه الله تعالى
قال وكنت كثيرا ما جرا علي الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك
الشيخ فقال بلغني ان بك وسواسا في الوضوء فقلت نعم قال

رضي

١٥٦

رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب
بهم ثم مكثت اياما ودخلت عليه فقال اما زال ذلك الوسواس
فقلت على حاله فقال ان كنت لا تترك الوسوسة لا تعد تاتينا
فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني وكان رضي الله عنه
يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد وما ذلك على الله بعزيز قال وعملت قصيدة امدحه بها
فقال جبريل سندك اي ايدك الله بروح القدس ثم عملت قصيدة اخرى
جوابا القصيدة مدحه بها انسان من بلاد العجم فلما قرأتها عليه
قال رضي الله عنه دخل الفقيه مكين وبه مرض ادعو فدعا عافاه الله
منه ولا بد ان يجلس ويجد شيخ العالمين بشير الشيخ الى مرض
الوسوسة قال والفقيه انقطع عن بركة الشيخ حتى صرت اخاف
ان اكون لشدة الوسوسة التي اجدها قد تساهلت في بعض
الامر بين والبرص الاخر كان في الم مرامي فشكوت ذلك اليه فدعا
لي الله بحصول الله وشفا قال وبت ليلة من الليالي مهموما فرأيت
الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا فيه فقال اسكت والله
لا علمتك علما عقليا فلما انتبهت اتيت الى الشيخ رضي
الله عنه فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون رشدا الله تعالى
قال وجاء يوما من الصبح وخرجنا للقاهرة فلما سرت عليه

قال يا هجم كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل اوليائه ويدلك
بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لا يمكن
الانقطاع عن الخلق وانه مراده بدعائه لقوله ويدلك بين خلقه قال وكنت
انا الامر من المنكرين وعليه من المعترضين للشيخ فسمعته مني ولم
يلتفت ولم ينقل عنه حتى جرت مفاوضة بيني وبين بعض اصحابه وذلك
قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل لم يبق الا اهل العلم الظاهر وهؤلاء
القوم يدعون امورا عظاما وكان الذي يتنازع بابا بها فقال ذلك الرجل
بعد ان صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ يوما اخذا منا قلت
لا قال دخلت عليه فاول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما احطك منهم
ممالاتك فعلمت ان الشيخ كوشف بامرنا ولعمري لقد صحبت
الشيخ اثنا عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره ظاهر العلم
من الذي كان ينقل عنه من يقصد الاذى قال وكان سبب اجتماعي معه
ان قلت في نفسي بعد ان جرت المفاوضة بيني وبين ذلك الرجل دعني
اذهب انظر ذلك الرجل صاحب القول اما ان يكون محقا فتبعته
قال فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم في الاوامر الثلاث امر الشيخ
بها فقال الاول الاسلام والثاني الايمان والثالث الاحسان وان شئت
قلت الاول العبادة والثاني العبودية والثالث العبودة وان شئت
قلت الاول الشريعة والثاني الحقيقة والثالث التحقق فجز هذا

فما زال يقول وان شئت قلت الى ان بهر عقلي وعلمت ان الرجل انما
يغرف من فيض بحر الهي ومدد رباني فاذهب الله ما كان عندي
ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد شيئا يقبل الاجتماع بالاهل
على عادتي ووجدت معنى غريبا لا ادري ما هو فانفردت في مكان
انظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله من عجائب قدرته فبينما
ذلك على العود اليه من الغد اتيته فاستوذنت لي عليه فلما دخلت
عليه تلقاني بمشاشة واقبال حتى دهشت خجلا مما استصغرت
نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت له انا والله احبك فقال
احبك الله كما احببتني ثم شكوت اليه ما اجد من هموم واحزان
فقال احوال العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة
والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق الشكر منك وان كنت
بالبلية فمقتضى الحق الصبر منك وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق
منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق
منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده وكانما كانت
الهموم والاحزان ثوبا نزع عنه قال ثم سالته بعد ذلك بمدة
كيف حالك فقال ابيت على الهم فلا اجده فقال

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

الزمع فوالله ان لزمت الشاذلية بعنايته المنتصبين يريد مذهب
اهل الاثر يعني اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل
العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وحيث ذكر الشيخ قوله
ليعرف به قدر المولى وليدفع بواضح برهانه كعوائد الحسد و
تعسف المتعسف والتعرض بذلك لنزول الرحمة من الله عليه
ونوال الثناء الجميل الذي نطق وقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة
مع ما في ذلك من تحقيق المناسبة بينه وبين ما اورد المؤلف
رحمه الله من الكلام الحائز به قصب السبق بين من عاصره من
ائمة الاعلام وامام شيخه ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن
فما ادراك لعمري من ولي على علم وقد طرزت بحلا مدحه الكلام وا
الدفاتر وزينت بمآثر علومه اهل السنة والاعلام والعجم
والمحاجر ولولا خشية الاطالة وكراهة الملالة لذكرنا منه ما
ما يبهر عقول السامعين من عظائم العبر ويرغم انف الجاحد من
والمعاند بما يستكفيك من ذلك المسمى اشارة ودعوة مقو
بالجمال محبب وقال رضي الله عنه من اذن له في التعبير فهمت
في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته
المراد والله اعلم ان التعبير هو الذي يتكلم به من بالله وفي الله ولذلك كان
كلامه صوابا قال الجنيد رحمه الله احسن كل نطق اذن

اشار

اشار بهذا والله اعلم الى قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان ١٥٨
واذا فرع في مسامع السامعين كلامه فهمت في مسامعهم عبارته
فلم يتعب ولا معلومة ولا تكرار وجليت لهم اشارته فلم
تحتاج معه الى اطناب ولا اكثار فلا غرو انه جاد ويدني في ذلك
فبت الحمد ومن امر عمارة المعهود رضي الله عنهما بالاجلال الطائف
انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعزة الاسلام ونجاة النفس
النفوس ورضى الرحمن ونحن نتكلم لعزة النفوس وطلب الدنيا و
قبول الخلق قال رضي الله عنه ربما برزت الحقائق مكسوفة
الانوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار وهو لمن يستكمل
الاوصاف المذكورة لم يوجد له نعت من الحقائق الربانية وان
اظهرها برزت مكسوفة الانوار وربما غشيتها من ظلمة رينه الا
غبار يحجبها عن ابصار السامعين وانكرتها قلوبهم وعلامة ان
استكمال الاوصاف المذكورة ان يعطى لوجه التعبير مع وجود
السلامة من آفات النطق قال في لطائف المنن ان من اجل
مواهب الله عز وجل لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت
شيخنا ابا العباس يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف
والحقائق لديه مشهودة حتى اذا اعطي العبارة كان كالاذن
من الله في الكلام قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول كلام

الماذون له يخرج عليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يوذن له يخرج
مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل
من واحد منهما وترد على الاخر وقال ابن عطاء رضي الله عنه عبارتهم اما
لفيضان وجد او لقصد هداية مريد فالاول حال السا
لكين والثاني حال ارباب المكنة والتحقيق اما ينبع النعيم
منهم عما فاض عن ربهم من الامور الغيبية والعلوم الالاهية لاجل
محقيقين لما حال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون
في ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من اهل البداية
واما القصد هداية مريد فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الارشاد
والهداية وهذا حال اهل التمكين والتحقيق من اهل النهاية
فان عبر السالك الا عن غلبة وجد كان في تورع ذلك نوع من الدعوى
وان عبر المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان فيه اجتراء من
لم يوذن له فيه وايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق
لانه في حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمعه وقلبه من عجائب
العلوم وغرائب الفهوم فكيف يجد منه نطقا وتعبيرا على غير
الوجه المذكور والصمت من اداب الحضرة قال الله عز وجل وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وقال ابن عطاء رضي الله عنه
العبارة قوت لعائلة المستمعين وليس لك الا ما انت

له

له ان كل المستمعين موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما
يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء
ارواحهم كما ان المستطعمين موسومون بالفقر والحاجة الى اقوات
ابدانهم وكما ان اقوات هولاء مختلفة فلا يصلح لهولاء ما يصلح
للاخرين لاختلاف امزجتهم لاختلاف طبايعهم وامزجتهم وكذلك
اقوات الاخرين مختلفة فلا يصلح لاحد منهم من العبارات التي تتغير
وجود القوت المعنوي ما يصلح للاخر لاختلاف مذاهبهم وتباين
مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم وعارف او واحد من اهل
هذه الطريقة ولم تحظ منها بشيء فاعلم انها لا تصلح لقوتك وغ
غذائك وهي صالحة لقوم اخرين ومما ينخرط في هذا السلك ان
يقع استماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها
معنى لم يقصده المتكلم ويتبادر بالضرورة ذلك تنافرا عجيبا وقد يتفق
ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الاخر
ويحصل لهم بذلك التاثير مع ان المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما
كان مضادا له وقد يسمع ارباب القلوب من الجمادات ويستعدون
به لسر الحالات خطابا لقادرها الممتن بوارد فيهم والفقه في
ما قصد واضع كما اخبر الشيخ الامام ابو القاسم القشيري
محمد بن علي القشيري رضي الله عنه قال كان ببغداد فقيه يقال له الجوزي

يقول الله اعني علما يخرج يوما فاصحا الوجه رسنه فسمع منشدا
يقول يا ذا العشر دون من تتعب ارولت جواطل شرع لبلا بالبعوار
ولا تنحرب بافداح منحدار بنحها والزمان بعلى الصغار
يخرج هائما على وجهه حتى اتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات
وقرء على الشيخ مكين الدين الاسمر قوافا ابيات
لو كان في مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح اصحا
الراح شي شريف انت شاربه فاشرب ولو حملتك الشعر اوزارا
يا من يلوم على صهبا صافية خذ الجنان ودعني اسكن النارا
فقال انصاري هنا رى لا يجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ
مكين الدين الاسمر للقارئ اقرا هذا رجل محجوب والشيخ مكين
الدين هذا هو الذي يعتقد له الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله
عنهم بانه من الصدعة الابدال قال وحكيت في هذا ان ثلاثة
سمعوا منادا ينادي يا سعتر بري فتواجد كل واحد منهم
بخاطبة عن الله تعالى هو كما يليق به فسمع الواحد اسع
ترى بري وسمع الاخر الساعة ترى بري وسمع الاخر ما اوسع
بري فالمسموع واحد واختلف اجهاد السامعين كما قال سبحانه
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال سبحانه
قد علم كل اناس مشربهم فاما الذي سمع اسع ترى بري فهو
يدخل

يدخل على النهوض بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له
اسمع البنا بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصلة و ١٦٠
اما الثاني فكان سالكا الى الله تعالى لكنه لا وقفت همته ان
تعوقه الوصلة فقيل له ترو جدا على قلبه لما احرقه نار الشغف
الساعة ترى بري واما الاخر فعارف كشف له عن وسع الكرم
نحو طب من حيث شهوده فسمع ما اوسع بري قال وقال الشيخ
محي الدين ابن العربي رحمه الله ما استعوا الفقرا الى دعوة بن فلان
الفناء بين بمصر فاجتمعت بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام
وعمر الاوعية وهناك وعاء زجاج وقد اتخذ للبول ولم يستعمل
فبقي فيه رب المنزل الطعام فالجماعة ياكلون واذا الوعاء
يقول منذ اكرمني الله تعالى باكل هولاء السادة مني لا ارضى لنفسي
ان اكون بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين قال الشيخ محي
الدين فقلت للجميع سمعتم ما قال الوعاء قالوا نعم قلت سمعتم
ما عاد والقول الذي تسمع قال فقلت نعم قال قولا غير ذلك
قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد اكرمها الله تعالى بالا
يمان فلا ترضوا بعد ذلك ان تكونوا محلا لنجاسة المعصية
وحب الدنيا جعلنا الله واياكم من اهل العصمة عنه والتلفظ
منه قلت وهذه المنازع كلها مما يستملح ويستحسن

وتتباهى بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة
وقد جرت عادة ايمة هذه الطريق باستعمالها وايرادها
في محالها فلا حرج علينا اذا ذكرنا بعضها لك اذا كانت له
مناسبة تامة ووجدت فيها فايدة خاصة او عامة وبالله
التوفيق لا رب غيره ثم قال ايضا رضي الله عنه ربما عبر عن المقام
من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك
ملتبس الا على صاحب البصيرة كما ان الواصل الى مقام من
مقامات اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه
ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول والمباشرة لكن على من ليس
له بصيرة كاذبة واما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى
في الكلام صورة المتكلم وما هو عليه من كمال ونقص وقد قيل
تكلموا تعرفوا ثم قال ايضا رضي الله عنه لا ينبغي للسالك ان
يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه
من وجود الصدق مع ربه الواردات الالاهية لا ينبغي
للسالكين ان يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها
ولا يطلع عليها احدا الا شيخا من شهد الله بنصيحته لان في ذلك
لذة وانتفاخا تتقوى به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل
الواردات في قلبه من التاثير المحمود ولاجل غلبة احكام

نفسه

نفسه واتباع حظه فيمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد
١٦١ تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك
دليل على عدم صدقك في عبوديتك ثم قال ايضا رضي الله عنه لا
تمدن يدك الى الاخذ من الخلايق الا ان ترى ان المعطي
فيهم مولاك فاذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم
هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون ليبنوا
عليها احوالهم فيما يصل اليهم من الرفق على ايدي الخلق وقد ذكرها
المؤلف رحمه الله بعبارة كاملة بديعة محدودة من جزالة جمع فيها
جملة المعاني التي يحتاج اليه من ذكرناه فلنبسط الكلام في
ذلك على حسب عادتنا معه في الوجه الذي ذكرناه في مقدمات
هذا التنبيه وهذا فصل في جميع ما تكلمنا عليه من مسايل
كتابه ونقول على حسب ارزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى
قسمين احدهما رزق يصلون اليه بالاسباب والاعمال والتصرفات
كالتجارة والصناعات وغيرها وهذا حال اهل الاسباب والثاني
رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا حال
اهل التجريد ولكل واحد من القسمين له اداب واحكام تخصه
فاحكام القسم الاول واداابه لم يتعرض له المؤلف رحمه الله
تعالى وهي مذكورة في كتب الفقه وغيره وهو واجب على كل من

دخل في شيء من الاسباب تحصيل علمه ومطالبه من حيث هو واهكذا
القسم الثاني وهو اذا ابه دعوا الى تعرض لها المواهب واجمل معه
جميع ذلك في مراعات شرط صبر وجعلها من شروطه صحة لا اخذ
الاشرعا الا من الاشرف الحقائق ارا من مولاه عز وجل وبعدا هو الاول
وانما اشترطه على الاخذ المتعفف طاله من تحقيق التوحيد
وتخصيص التجريد وبه يصح له فعل القناعة والتنزه او يسقط
عن قلبه هم الرزق فحق وابه علا قطعات الخلق وادلم يكن على هذا
الوجه كان عبد الناس بسوا دهلك القلب فيهم فيكثر طمعه فيهم
ورغبته فيما بايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك
في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح ومثل المداهنة
والنفاق والرياء والتصنع والتلبس والغش وعدم النصيحة
وقلة الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المنافية
العبودية لله عز وجل قال الجيلاني معاذ رضي الله عنه من استغنى
بابا المعاش بغير معاش ما افدا وكل الى المخلوقين والتكع
تلك الرتبة المذكورة ان تكون علما وايمانا فقط بل لا بد منها
ان تكون حالا ووجدا وقد ساء بعض الناس من شقيقا البلخي رضي
الله عنه وكان في طبقة من اصحابه نحو خمسين رجلا فجوع
الرجل طعاما والبعض نفقة كثيرة فلما قعدوا قال

لهم

لهم شقيق ارحبوا الرجل يقول من لم يرى انه صنعت هذا الطعام
وانه اقدمه اليه قطعا فاكله عليه حرام فما اقبل منهم احد كلهم
الاشباب كان فيهم قد نقصت منها هو ته عنهم فقال صاحب
المنزل لشقيق رحمك الله ما اوردت بهذا قال اردت ان اختبر
توحيدا صحيب كلهم لا يرونه فيما صنع ولا منح ورأيته فيما
قدم الا اذ ذلك الرجل وحده وانما اشترطها في رتبة الحكماء مع
الله تعالى ان يكون حالا ووجدا وقلالا ان ذلك هو الذي يوجد الا المتجرد
كما ذكرناه لان التجريد يختص بكلية خل فيه الاختيار والتصرف لان ذلك
من اتباع هوى النفس وطلب الخف والراحة وانما يقيم الحق تعالى
فيه من اراده به من اهل التقوى والمراقبة بعد كمال اشتغاله
بالله تعالى ووجد في الهرب من كل ما يقطعه عن الله تعالى فيحجبه
بطلبه الحق تعالى من تدبيره واختياره ويكمل تشبعه بوحدانيته
في ارادته واصداره ويكون كذلك سيما بحكم الوقف واشتغاله
الحال كما روى ان ابا حفص النيسابوري رضي الله عنه كان حدادا
وكان غلامه يوما ينفخ عليه الكير فادخل يده في النار واخرج
الحديدة من النار فغشي على غلامه وترك ابو حفص الحانوت
واقبل على امره وكان يقول رضي الله عنه تركت العمل ورجعت اليه
وتركني العمل فلم ارجع اليه وقال ابراهيم الخواص لا ينبغي للفقير

ان يتعرض للقعود عن التسبب الا ان يكون رجلا مشغولا قد اغتنى
الحال عن المكاسب واما من كانت الحاجة به قائمة ولم يقع الحجز
بينه وبين التكلف فالعمل اولى به والكسب بسعي اجمل
وابلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه ما دامت الاسباب قائمة على
الفقير فالاكتساب اولى قال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة
جليلة فاريد مني تركها فجاذبني صدري من اين المعاش فهتف
بي هاتف لا اراك تنقطع الينا وتتهمنا في رزقك على ان اخدمك
ولياما اوليائي فقيرا من اعدائي وقد اشتهر عنه صلى الله عليه وسلم
في صحة قبول العطاء عند عدم الاستشراف الى الناس ولا يكاد يحصل
هذا الشرط لمن يكون من اهل التجريد الا بعد كمال التزكية المذ
كورة روى زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من اخيه من غير مسالة ولا
استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله اليه و
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وجه الله شيئا
من هذا الرزق من غير مسالة ولا اشراف فليأخذه وليوسع
به رزقه فان كان عنه غنيا فليدفعه الى من هو احوج منه و
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعطي

يعطي العطاء فاقول اعطه يا رسول الله افقر اليه مني فقال
صلى الله عليه وسلم خذه فتموله او تصدق به وما جاءك
من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه
نفسك قال سالم فمن اجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا
شيئا ولا يرد شيئا اعطاه فالاستشراف الى الناس مذموم
قادح في التوحيد فلا ينبغي ان ياخذ المريد عطاء على هذا
الوجه وروي ان احمد بن حنبل رضي الله عنه خرج ذات يوم الى
شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في الموضع من
يحمله فجاء ابو ايوب الحمال فحمله ودفع اليه احمد اجرته
فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق ان اهل الدار قد خبزوا ما
كان عندهم من الدقيق ووضعوا الخبز على التنور يبرد فرآه ابو ايوب
وكان يقوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ابي ايوب من الخبز
فدفع اليه رغيفين فردهما فقال احمد ضعهما ثم صاح فلما
ثم قال خذ هذا والحقه بهما فلحقه فاخذهما فرجع صالح
متعجبا فقال له احمد تعجبت من رده واخذه قال نعم قال الرجل
صالح لما رأى الخبز فاستشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه مع
الاستشراف رده ثم ايس فرد ذلك اليه بعد الاياس فقبله
وابل الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق فلا يبقى

ذلك لانه خلق ضعيفا ذا فاقة ورزقه معلوم لا يحصيه فاسه
يستقل به الى الرزق وفي الحقيقة استشرافه الى الرزق لا ينافي
ذلك حقيقة العبودية ولكن ان كثرة الاستشراف الى الرزق وقد
شغلت صاحبها عنده وان العبد حرج والمناجات لمن
عليهم فوق ذلك ما جميلا ولينهج لها من التعلق والتوكل
بالله سبيلا قال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي
الله عنه كنت في بدايتي واقفا بين العشاء بين الصلاتين وانا فارغ البال
بسبب حتى جاءتني النفس فقالت لي السلام عليك قلت لها
وعليك السلام فقالت لي العشاء فان جئت بدا تعينه عنوقيت
فالعشاء الله تعالى الان فقلت لها ان ندر له موضعا فقالت لا قلت
اي شيء هو او متى هو فقالت لا قلت لها انا رب او عبد فقالت
عبد قلت لها فالعبد يقدر على شيء مما تعذر الحكم والتبرك الخ
التفت به النفس الى خالقك فاطلب منه العشاء لانه خالقك
والقادر على كل شيء فيعطيك ويجيبك ما طلبت فقطعتني والقادر
وطالع جمالك وابان وما هذا الخير قال فمضيت الى الحالة
جاء العشاء متمكن ... ما كلنا فان كان ... عليها ومن
هنا تثبت ان ... مسألة عظيمة معتبرة تنتهي ب
كيف يكون حال الفقير بالنسبة وما يحتاج اليه من الرزق يكون

ومن جعلها

ومن جعلها من قواعد الفقر والارادة وابتداء في نهاية هذه المواضع
من الواجب المتعين لمن يتخوف العمل بها كل من يقف عليها ممن
١٦٤ مريد منه حر قال رضي الله عنه اعلم ان الفقير لا يخلو اما ان يكون
جالسا او ماشيا اما قاعدا فكالس جاء اجلسته موضعه من
البيت وهو مكانه وزمانه لم يعتد انه لا ينتقل عنها ولا
يكون التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم لانه لا يدري الا
وفات ولا يجدها ولا يدري متى هو ولا وقتها ان جميع
الاشياء تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من اجله وهو
خليفة فيها وقد فرغ من جميعها من الالتفات وربما حصل
فيهذا ان يكون ... ما لا قدر ان يجده عليه ولا كسب له ولا سبب
في التفصيل قال واما الماشي من الفقراء الخ ويكون في
سفر او غيره فلا يجد ويرجو ... مثاله ان يكون
ماشيا فيخرج له الغير ولا التفات اليه من بلد او شخص
او مطعم او مشرب وهذه القواطع والشواغل ومثل
الى شيء مشغولا وحده وملت ملك فان ... وذلك لانه
يكون في يوم طايف ... وقد اصابه العطش الشديد فيعرض
خيال ماء في ... ويروح عليه ان اسرع ...
فيشرب منه فيزول عطشه فان ... الخاطر ابعد

للموضع فيحركه سرابا فيهلك بكفره ويقول الان نموت فيقتله
من ساعته فيموت فان نفسه اذا كان جاهلا بربه وبآياته
ولم يعتقد وادية من آية ولا تعلم العلم لاسال العلماء البقايا
مع نفسه بحكمه اذا جاءه هذا الخاطر بالتزويج من العدد
وانه العالم والكون الى الاجل من هذا زال او امتحان وغير ذلك
ان يعرض على العدو وان الله تعالى الذي يتولى يتوفاه قبل حضوره
فما النخرة بكفيه عذلك ويسلمه ويقول له ايضا قول
النبي صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا
وقال من تانى اصاب او كاد ومن عجل اخطا او كاد والعجلة
من الشيطان وهو من هذا الكثير فلا يشك شاك لم يحتج لنه
لنفسه والشيطان بهذه القواعد من العلم انهم يتعلمون
ولا حتى لهم بعد الا استعانة بالله تعالى والتعلق به ثم يقول
ايضا انتظر اجلا ان الله تعالى ... ان يطعمه ويسقيه له
فما نسبع في عيننا الساعة قبل وصول الزكاة انما فيقول
له الشيطان ها الخزنة نعم فاذا كان هذا الزكا جاء سبحانه
اعلم بما لهم ومنافعهم من كل مخلوق فاذا حصل بهذا العلم
رجع يمينه منا ... همته مع ضعفه ... الا يرد عليه
من ربه فا ... الى ما خطره اولا او ... من بعد ولم يجد ما

ولم

ولم يجد ما تعلق به خاطره اولا من طاحبا او طعاما بقي على
اصله لا تغير عنده ولا تردد فيقع بالعدو وقتله كما فعل
ايضا الشيطان بغيره والنفس وصل انتهى ما اردنا ذكره
من كلام هذا الامام وهو عندي من نفيس الكلام المغرب
عن ابة المرام لما تضمنه من المعاني البديعة والانعام الرائعة
ولما فيه من تجريد التوحيد لا ذاب المرضية والحكم
فهو جدير بان يكتب ويرسم ويعمل به الغرض الذي تقدم والله
تعالى اعلم واحكم الغرض الثالث الا ياخذ الا ما وافق العلم
وهذا الشرط لازم للمتجرد ايضا قال الشيخ ابو طالب المكي رضي
الله عنه وينبغي لم لا معلوم به من الاسباب ان يتورع في اخذها
ويتحفظ المعطين لها كما يتحفظ اهل المكاسب في الاكتساب
لان الله تعالى في كل شيء حكمه والقعود عن المكاسب لا يسقط
احكام المكاسب ولان ترك العمل عمل يحتاج الى علم ومن تكن سيرته
الفقراء الصادقين ان ياخذوا من كل ... واحد ولا في كل وقت ولا
ياخذوا كل ما يعطون مما يزيد على كفايتهم الا ان يكون همه
في جوده للغير انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المؤلف
رحمه الله تعالى على قسمين موافقة العلم الظاهر وموافقة
العلم الباطن فاما موافقة العلم الظاهر فالا ياخذ الا ممن

جلا
بلا

يد بالغ عاقل تقي وقد جاء في الخبر لا تأكلوا إلا من طعام تقي
ولا يأكل طعامكم إلا تقي فلا يأخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا
جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب ولا يأخذ من يد صبي ولا عبد
بغير ما اذن وليه ولا معتوه واما موافقة علم الباطن فلا يأخذ
الا ما كان من وجه الحق والمعونة فلا يأخذ الا ما هو متيقن انه
الحلال ولا يتشكك عنده من ضرورة وحاجة من غير استشراف ولا
افتقار ولا يأخذ الا بقدر ما يزيد على ان كان في خلقه سخاء وبذل و
ايثار وتخلق باحسن الاخلاق ولا يتوسل به الى هلاك جاه
او رئاسة او قبول عند الناس ولا يأخذ ما يحملها على جهة الابتلاء
والاختبار واما الابتلاء بان ياتيه قبل وقته او زايد على حاجته
بلا احد هو فليخرجه في السر ليأخذ من ذلك واتبه الاظهار او ا
الاختبار ولا يأخذ شيئا كان فيه زينة لغيره تعالى من شهوة كان
مبتلى بذلك فيه ملكته وامرته وهيئته الخيال هو
فليوقع بعد فيه الله تعالى وليجد مع ذلك في نفسه ارتخاء انحلال
عزمه وفساد نيته وان لم يجد ذلك فليأخذه وليخرجه الى غيره
وهذه الشديدة على النفس وهو من اعظم درجات الزهد ولا
يأخذ من منان ولا مخبر ولا يكشف لعصبية ولا يأخذ ممن يثقل
على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تأكل الا طعام من يرى لك

الفضل

الفضل في أكله ولا تتركل الطعام من بيوته وديعة عندك ولا تأكل
الا طعام زاهد لانه يبصر باكلك ولا تأكل الا طعاما يرى لك ما
فيه افضل من الطعام وقد روي انه اهدي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش
وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض الناس وقال لقد
هممت الا اقبل الا من قرشي او انصاري او ثقفي او دوسي وفعل
ابو طالب المكي رضي الله عنه وفعل هذا جماعة من التابعين جاء
الى فتح الموصلي رضي الله عنه صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا
عطاء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله عز وجل رزقا
من غير مسألة فرده فانما يرد على الله عز وجل ثم فتح الصرة
فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه ان رجلا
اهدى اليه كيسا فيه الورق ورزمة فيها من رقيق ثياب خراسان
فرد ذلك فقال له بعض اصحابه فقال من جلس مثل مجلسي هذا
وقبل من الناس شيئا مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وماله
عند الله من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه يقبل من اصحابه و
كان ابراهيم التيمي رضي الله عنه يسأل اصحابه الدرهم والدرهمين
ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذ وكان بعضهم اذا

دفع اليه بعض اهل الدنيا شيئا فقال ضعه عندك واعرض على قلبك
حالك كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون ذلك واصدقني
قال فقال له انت عندي الان افضل منك قبل ذلك فقال له انت علي
مثل ما كنت قبلت منه وان اخرى تسقطه من قلبي لم يقبل منه وكان
بعضهم يرد على الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال انا ارد عليهم
الا اشفاقا لهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب
اموالهم وتحبط اجورهم ويروى عن ابي عمران انه قال جاء شاب
الى ابراهيم النخعي بالكوفة رحمه فقال يا ابا عمران خذ هذه الدراهم
والله ما هي من سلطان ولا من كذا ولا من كذا فقال له ابراهيم
بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى قلت يا ابا عمران ما منعك ان
تاخذها والله ما الا من انك فيهم فقال صدقت يا سليمان ولا
كن هذا شاب لم يحنكه الدهر ولم تحنكه الآداب فكرهت ان يجلس
بحضيه فيقول اعطيت لابراهيم النخعي رحمه فيحبط الله اجره
وتذهب دراهمه وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري
رضي الله عنه كان يشترط على بعض من يأخذ منه الا يذكره لا
فيبطل عليه الامر اجله بل من ذهاب اجره لانه قال في معنى قوله
تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان يذكره والاذى
ان يخبر به وقال الجنيد رضي الله عنه للرجل الخراساني الذي جاءه

بالمال

بالمال وسأله ان يأكله فقال الجنيد بل افرقه على الفقراء فقال الرجل
انا اعلم بالفقراء منك ولم اختر هذا فقال الجنيد وانا اومل ان
اعيش حتى اكل هذا فقال انا لم اقل لك انفقه في الخل والبقل انما
قلت لك انفقه في الطيبات والوان الحلاوات فقبله فقال ما احد امن
احب الي فقال له الجنيد وشكر له الحال من يرد عليه فقال الرجل ما
ببغداد احد اعز منه علي منك وما ببغداد احد ينبغي
ان يقبل منه شيء الا من كان مثلك وكان السري السقطي رضي الله عنه
يوصل الى احمد بن حنبل رضي الله عنه في المحنة شيئا فيرده فقال له سري
يا احمد على ما قلت فعادة فقال له احمد ما رددته عليك
الا وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر
فانفذه الي ومع الجملة فلا ينبغي للمريد ان يأخذ الا من يد
زاهد عارف فبذلك يسلم من الآفات ويكفي جميع المؤ
نات قال ابو بكر الدقاق رضي الله عنه صحبت اربعين سنة اصحاب
هؤلاء الجماعة فما رأيت رفقا لاصحابنا الا من بعضهم لبعض او ممن
يحبهم ومن لم يصحب التقى والورع منهم اداه الى اكل الحرام
النص وان اراد ان يفعل اشكال هؤلاء فليفعل قال ابو
طالب رضي الله عنه كان بشر بن الحارث رضي الله عنه لا يقبل
من الناس شيئا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم من اين يأكل

فقال للذي يعجبه امره الا ترى ان يأكل كان له صديق عاقل
يعني زهده في العقل والورع لان بعضهم كان يفعل الاهم
الشدائد ولا يفعل الاتباع ومنها الصديق العاقل الذي كان
يقوم بحقوقه ولم يكن يعظم امره عما يليق معه بقول السري
بن مغلس السقطي لانه فرح عنه زمن في الدنيا فهو يفرح
بخروج الشيء من يده ونبي يبقى به عنده فلا يكون قد اعتنه
عند ما يجب وكان السري يوجه الى احمد ابن حنبل في حال
حبسه فيقبل منه وكان اذا ذكر عنده احمد بن حنبل رضي الله
عنه يقول ذلك الفتى المعروف يصيب الغرائب يعجبني
امره وانا يقتات الحلال كل مبلغ واشره على الضعف
وتحققه الضرورة وسال مولاه ان يغفر لذنبه • ووقته
بصيه عن النسب لشغله بحاله فعند ذلك يخرج باب
النسب ويسال ودونا مولاه من جهة حلال حلالا في الاول
من جاع ولم يسال ثم مات دخل النار ومن سال الناس عند
الفاقة والحاجة فهو من الموحدين والحق به ليست السؤال
لقوله تعالى استطعما اهلها وهو موسى والخضر ولا
شيخ المنير رضي الله عنه يسال من باب او يطلب الغفلة
به ويكون ذلك مضطرا حتى ان يعرض حالته يعلو ويحيا
وكل

وكان لا يتعلق في الزهد والتوكل قال ابو طالب المكي يجب
من اعتقد عموم واخصوصه ونقل عن ابي سعيد الخراز رضي الله
عنه انه كان يجد بدعه عند الفاقة ويقول ثم فتح عليه
ونقل عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه يتجلد جوعا
الايام مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة
افطاره يكف من الابواب وكان الثوري يشتغل في البوادي
والحجاز الى صنعاء اليمن وقال حننت اذ ذكرتهم حريا
في الضيعة وقال جعفر جوع الى طعام ما تناول حلالا
حتى وان كان ما يبقى وتجتنب المريد الاكل بالدين ويقول
ازواق المتصوفين فان قيل كيف ان دخل بعضهم
في الوجود لك حكمه عليه بعض الاحرف فيه وسواء يوجد
من الدين كما تقدم وكل ابراد كف لك الارادة على النعم
تعلق حيث يستقيم ذلك فالجواب ان العالم
يحمل الشرع والدين عند الدين والتوحيد ايضا في
ذلك ومنهم فضل الكامل من لا يقع في معرفته وتوكل
ورعه وكل بالله من العلم على الظاهر او الحكم مهور ووو
وجه الاحتراز للعطاء عند مشاهدة التوحيد
فلاسر اذ لا فرق حتى في ذلك بين ابي المعطي ومن الاخذ
وكما يتصور الاخذ من الله تعالى في العطاء عند رؤية المعطي

فيما خفي ما يعطاه من مواهب العلم اتباعا لأدب الشرع
تعالى وأمره فيشهد من الله تعالى في الشرع من فيض نفسي
بأن حصول ثمرة العلم مما يدخره ولا يطلب اتباعا لنهي
الله عز وجل عن ذلك وعموم اندراجه فيه كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي أمر أن يذبح بعد
ثلاث وكما فعل في الوصي والحسن البصري رضي الله
عنه مع ... في الحديث التي ذكر فيها في ...
المشير رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكره بعضهم مبهرا
فيرفع ذلك الاحتمال والله الموفق لصالح الأعمال وإنما
أطلت الكلام في هذه المسألة لأن الحاجة ماسة
إليها وليعلم من ذلك أن جميع تعاريفها ومسائلها
داخلة في كلام المؤلف رحمه الله تعالى على حال إيجازه وإ...
واختصاره وكلامه فيما من بديع الكلام ومستحسنه
وكشفه أبو العباس المرسي رضي الله عنه في معنى
ما ذكره المؤلف كلام بديع مختص نقله عنه الفقيه
الثقة فقال رضي الله عنه للناس أسباب
وسببنا نحن الإيمان والتقوى قال الله سبحانه ولو أن
أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات الآية وما
عود المؤلف رحمه الله هنا اختصر واحسن سياقته مع عمر لأن الله
والمراتب فيما تتعلق العارف أن يدعو ما عنده إلى مولاه الشدائد

بمشيئته فكيف لا يستحي أن يدعو الحاجة في شيء تقدم
أن من الأدب ترك الطلب والسؤال من الله تعالى اكتفاء بـ
مشيئته ورضى بما تقدم به وأن العارفين المحققين يستحيون من ١٦٩٥
الله تعالى في ذلك فكيف لا يستحيون من مواجهة عبيد
بسؤالهم للمخلوقين وحصل لديهم في ذلك واستغناؤهم
من ربهم إلا واجب عليهم فلا يسألون [illegible] ولا يرجعون
إليهم حاجة لأنهم فقراء محتاجون ومولاهم الغني الحميد
وقد تقدم من هذا المعنى عند قوله لا تتعدى نية همتك [illegible]
إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه ما قلب ولا بصر إلا والله تعالى مطلع عليه في
ساعات الليل والنهار فأيما نفس أو قلب رأى فيه حاجة
إلى سواه سلط عليه إبليس وقال الأستاذ أبو علي الدقاق
رضي الله عنه من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلت أو
كثرت إلا من الله سبحانه مثل موسى عليه السلام اشتاق
إلى الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك واحتاج مرة إلى رغيف فقال
إني لما أنزلت إلي من خير فقير وذكر الإمام أبو القاسم
القشيري رضي الله عنه أن بعض الفقراء كان يأتي كل يوم ويقف
بحذاء الكعبة بعدما يطوف ما شاء الله تعالى ويخرج

مرجيبه رفعة ينظر فيها فلما كان بعد ايام وجعل مثل ذلك ثم تناول
وطات بجل بعض من مرضه وقرب اليه الرقعة واذا فيها واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا قال فعاد الى حال العافية وصبر ولم يشكو الى
لمخلوق حتى مات وقال ابو بكر الجوهري رحمه الله كنت بعسقلان
على برج السور فمر بي رجل عليه جبة صوف منخرقة فوقفت اليه فسلمت
وعانقته واجلسته وجاريته معه في فنون من العلم وكان قد طاف
فينبغي فقلت له لم لا تشتغل بحال تلبس اعلى يقيك من البرد فقال الرد(?)
ا مسر بالحبال وجيمس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال
اهون من موقف السؤال لا اوقفني من المخلوق فيا الشؤال ثم اخرج
من باب المدينة فانتهى الى حجرة منفوحة فاذا عليها مكتوب
كن مركد مينك وعرف جينك فان ضعف يقينك فاسئل الموا(?)
بعينك قال في التنوير واعلم رحمك الله ان سالكي طريقة الله
عن الخلق وعدم التعرض لهم ان ير من الحلى لعين وسر وحهم احوج الي
من الماء لحياة النفوس ومن خلعها عليه خلعة الملك فهل
ويخلعها(?) وطرحها محروبان تداس ولا تستلب بحفه والمد بن خلع
المواهب محرى بالا تتركه له فلا تجعلن ايها الاخ املاك بطمعك
في المخلوق فيما لم تجعلوا اعتمادكم الا على رب العالمين وكن ابدا الاخ
ابراهيم فيما قعد قال ابو كما ابراهيم صلوات الله عليه وسلام لانبياء

يا بني

الاولين وما سوى الله في اجل اما وجودا واما امكانا وقد قال سبحانه
ملة ابيكم ابراهيم ان اتبعوا ملته فواجب على المومن ان يتبع ملة ابراهيم
ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض
له جبريل فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى
قال فسئله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع همته
عن الخلق ووجهها الى الملك الحق ولم يستغث بجبريل ولا احتال
على السؤال من الله بل راى ان ربه اقرب اليه من جبريل ومن سؤاله
فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله وخصه
فخصه بوجود افضاله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ما اشتغل عن
الله وصرف الهمة ما لا الى الله لقوله تعالى فانهم عدو لي الا رب
العالمين والناس ان اردت الدلالة عليه جمعوا ايضا من سر(?)
الناس ولقد قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ابيت من تبع
نفسي لنفسي فكيف لا ابني من تبع غيري لنفسه ورجوت الله لغيري
فكيف لا ارجوه لنفسي وهذا هو الكيميا والا كسير الذي من
حصله حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاقا لا نفاذ له
وهو كيميا لا اهل الفهم عن الله قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
صحبني انسان وكان ثقيلا علي فبسطته يوما فانبسط وقلت
يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني فقال يا سيدي انك تعلم الكيمياء

فحيثيتك لا تعلم منك ذلك فعلقت له صدقت وصدق من وجد ذلك
ولا كن اذا ذكرنا ان تقبل مقالا بلا قبل فقلت له تخرجت الى الخلق فوجد
تهم على قسمين اعداء واحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت ان الا
عداء لا يستطيعون ان يشيكني بشوكة لم ياذن في الله فيه فقطع
نظري عنهم ثم تعلقت بالاحباء فوجدتهم لا يستطيعون ان
ينفعون ما لم يرد الله به فقطعت ياسي منهم وتعلقت بالله
تعالى فقيل لي انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع ياسك
منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك في الازل
وقال فقير الى الله سئل عن الكيمياء فقال اخرج الخلق من قلبك
واقطع ياسك من ربك ان يعطيك غير ما قسم لك قال الشيخ
يدل على جميع العبيد كثرة عمله ولا مدد له منه على وروده انما يدل
على نوره وصحة غناه بربه وانحياشه الى الله بقلبه وتحرره من رق
الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الا
حوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا فحسن الاعمال عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الا
بالله تعالى والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج الى الله
بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما يتعلق بترك
من كلام صاحب التنوير بخصوص من الكلام المنتقى وانت رحمك

الله

الله اذا انا ملقنه بعين بعض ترك الاختيار لك في علائقه ومن بوزنك
علمت هذه ان ما ذكرناه عظيم الموقع وانه مستخص منها ابراهيم
في هذا الموضع اذ هو منوط بالاغيار والتوجه محتاج اليه
كل سالك ومريد فمن اعطاه حقه بطانة وخرج الى العمل بمقتضاه
عاش غنيا فقيه فقد تخلص عن الاغيار وكان من اولياء الله بمكان
ومن اهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه خشي من الوقوع بعد
التزود الخير والحج واستغنوا الورد عن باب مولاه العبد ببصر وطمع
في الخلق ونقصوا عليه متسعات ابواب الرزق كما قال بعض العا
رفين لمكاشفي رضي الله عنه قبل الله في تركك المخلوق يعطيك الفتوح
لا بد ترجع فيه الى غير حافظ عنهما عليك مكافات بعمره اذ يحكي
زر وجهك من قدرك يعمر دينك انما ابتليتك بالفاقة لتفزع
الي منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقة
لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة
وحكمت لنفسي بالغنى فان وصلتها بي وصلتك بالغنى وان وصلتها
بغيري قطعت عنك مواد معونتي وحسمت اسبابك من اسبابي طردا
لك عن بابي فمن وكلته الى ملكه ومن وكلته الى غيري تعلمك انتهى
ومنع من يبلغ من قبول الرجوع على اخي الخلق في نفع حصصته عن ذلك
ولو لم يكن فيه الا طلب يحكي عن احمد بن مسلمة رضي الله عنه انه قال

بشارع جوار لمراة ارملة لها ايتام وكانت ليلة ذات مطر
سمعت صوتها تقول يا رب ضعف الحال بجهد بسبب انقطاع نبتها
جافة فصبرت حتى احتبس المطر فجعلت معي عشرة دنانير ودققت
الباب فقالت اخرج بسلمة فقلت نعم فقلت كيف الحال فقالت نحن
وعافية احتبس المطر وجف الحيطان فجعلت خجلي بعدة الدنانير
واطلع بها بعض شانك قال فطاطت بنية لها خماسية اتريد
يا ام ان يكون بيننا وبين معبودنا واسطة ثم قالت لا تفعل لما
رفعت صوتك بالاظهار الستر علمت بان الله يوخذنا باظهار الستر
على يد مخلوق وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن عباس بن دهقان
قال كنت عند بشر بن الحارث رضي الله عنه وهو يتكلم في الرضا والتسليم
فاذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا ابا نصر انقبضت عن اخذ
البر من الخلق لاقامة الجاه فان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن
الدنيا فخذ من ايديهم ليفنى جاهك عندهم واخرج ما يعطونك
الى الفقراء وكن بعد التوكل تاخذ قوتك من الغيب فانشد ذلك
على اصحاب بشر فقال بشر اسمع ايها الرجل الفقراء ثلاثة
فقير لا يسال وان اعطي ~~فذلك من اوسط القوم~~ لا ياخذ
فذلك من الروحانيين اذا سال الله تعالى اعطاه وان اقسم على
الله ابره وفقير لا يسال وان اعطي قبل فذاك من اوسط القوم

عقده التوكل والسكون الى الله تعالى وهو ممن توضع له الموائد
في حظيرة القدس وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت فاذا
طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله بالسؤال فكفارة
سواله صدقه فيه فقال الرجل رضيت رضي الله عنك وقال ايضا رضي الله عنه
اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس فاتبعه فانه
لا يثقل عليها الا ما كان حقا هذا ميزان صحيح باعتبار الغالب
على النفس لانها مجبولة على الجهل والعزة وشان النفس انما هو
طلب الحظوظ والنفور من الحق كما تقدم عند قوله حظ النفس في
المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد
من نفسه ميلا وخفة في الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما
مالت اليه وخف عليها وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين
منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكونا فقلب الى
النفس هو اننا عن لا خف عليها ح وربما ثقل وهو معدود
عندهم من نعل القلب ومن نفا عليه شيء من دواعي الهوى وان
قل لا يومن عليه مثل هذا فاذا تحققت العمل على النفس انما تكون لاجل
موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليك
امران واجبان او مندوبان ولم يعلم ايهما الواجب او الافضل لتقدمه
على الاخر فانظر اثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا ذلك

باعتبار غالب الانفس وان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره فقد يجب عليها العمل ولا بد اذ ذاك على انه باكل فليس يكون العبد حينئذ اغلاطوا اكثر جائزة واحكم مزيد فليقعد منه على خبرة
وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه حكاية في شره النفس وكونها لا تميل الا الى الاكل قال حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشتريت له من سوق حلوا ء مشويا ودعوت اليه جماعة من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعل يلقيه فيه ثم لبعضها ثم اشترى وقال كلوا انتم فانه قد عارض عارض يمنعني من الاكل فقلنا الا تاكل اذن تاكل وقال اني اعلم ما اذا تجبره اكل ثم انصرف عنا قال ولم يمكنا ان نأكل ونحن فقلنا لو دعونا صاحب الشواء فسالناه عن حال هذا الجمل فلعله يسيا مكروها بدعوته فلم نزل به نساله حتى اقر انه كان ميتة وان نفس شرهه الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه وراعيه لكم اشتريتموه فرددناه للكلاب فكل ثم ان لقيت الرجل بعد وقت فسالته لاي معنى اكله وبه عارض فقال اخبرك ما لي منذ نفسي الى طعام منذ عشر سنين للرياضة التي رضتها به فلما قدمتم الي هذا اشتهت نفسي شرها لما عهدته قبل ذلك فعلمت ان الطعام علة فتركت الاكل لاجل ميل النفس اليه فقال الشيخ ابو طالب فانظر رحمك الله

الفقرا

١٧٢

انجذبت شره النفس عن شهوة اخوانه ثم اختلفا في التوقي والخلاف بعض العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل بالشره والحرص وترك المراقبة يعني البائع ليعمل وعصى الآخر ورب المتوقي بحسن الادب وهو فمع شره النفس عن الاكل بغلط صحبهم ثم تدورك البائع بعد وقوعه بعد في المنشي وحصن نيته انتهى ثم ميزان اخراج واكثر تحقيقا من الاول يعني ان يقع نزول الموت به فاي عمل امرء ان يكون مشغولا به اذ ذاك فهو هو وما عدا ذلك فلا اعتبار به لان المنى والموت ميزان على الاعمال والاحوال كما هو ميزان دابرتها الى تبة اما الترتيبة فكما تقدم يعني انه علا منه جهة من تنبه الاولية واما الاعمال والاحوال فاذا التبس عليك امر لا تدري هل يرضى الله تعالى تركه او فعله او حالة انت بها لا تدري هل ينبغي فيها او فيها فيها بهوى فانظر ورود الموت على حالة انت فيه من اعمال او احوال وكل حالة وعمل ينبغي مع تقديم ورود الموت عليك ولم تستحي فيه فهي حق وكل حالة وعمل هو مدعى الموت فهي باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قال ربي يقذف بالحق علام الغيوب وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما كشف فيه فانما تخرج لم يجد منه الموت اذ هو حق والموت حق والحق لا يدفعهم الحق فما ا

ولقد جاريت الكلام انا وبعض من يشتغل بالعلم في انه ينبغي الاخلاص
النية فيه ولا يشتغل به الا لله فقلت للذي يقرا العلم لله سبحانه الخ اذا
قلت له عند الموت لا ينفع الكتاب ولو اشتهي قلت وهذا
وهذا حصل الخلطة ونهاية الهوا فان الهدى في هذه الحالة الا
بقصد منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الريا و ممازجة
حظ النفس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا يسنت
له ذلك الا ان يتحقق بما يتدرج من حلول الموت وحصول الفوت وهذا
هو معنى قصر الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو الا يقدر لنفسه و فتا
ثانيا يكون فيه حيا وعند هذا يخلص عمله من الافات ويتخلص من
انواع الرعونات اذ توقع الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع
ذلك كما ذكره المولف رحمه الله تعالى وكل عمل استرسل فيه صاحبه
غافلا عن تفقد نيته وقوع ذلك اذ لم يكن متحققا به لا يسلم من ما ذكرناه
جاذا بعيد من الاخلاص من يا فن في علم غير متقين عليه الا خذ فيه لا
يحقق ثمرته الا في ثلاث حالات ويكون في حالة الهوا حقيقة متمكنا في الفكاع
كاعة تزيد في مطلعتها على مطالعة ما هو اخذ فيه من العلم فيعود
بثوابها وينحل حصول النفع بجهتها لا يرى ذلك فوق نفسه و
جارية صفقة وان ذلك الله فذي من طرائق حال اخذه فيه بغرض وبار
فيكون منكلا على نفسه به اكثر فيعقد منه على ما كان واخذا فيه ويتمنا
غل

ويشتغل به وغير مبالات بما يفوته من ذلك وانما يبدر بلمعني
الاخر ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الامر فيهما واحد
وكل عمل لا اخلاص فيه لا يبين فيه فهو باطل والله مردود على صاحبه مضروب
به وجهه وبهذا يتبين لك غرور اكثر الخلق في علومهم واعمالهم
الا من رحم الله تعالى قد اصبحنا انما هذا اكثر الناس عند نزول الموت
بم يندمون على ما سبق لهم من عمل و يودون لو انهم لم يرجعوا للعاجل
والحصلات هيهات فنعوذ بالله من الغفلة في زمان المهلة
فاذن فيه اكل عمل عامد ومنشا وجود الغرة والجهالة لكل
عالم وجاهل وعابد وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات الصالح
ليفتح ابواب منها على المعصوم لا يعرف الا من اراد الله بنور اليقين
وجبله على النصيحة له في الله ورسوله حظ وافر من الخوف والحذر
و مراقبة مولاه في كل ورد وصدر ولا شك ان هذه المرتبة عزيزة
المنال متعذر ادراكها على الاحاد من الرجال وسبيل من لم يصل
اليها ممن ذكرنا فاذا كان متنصبا ان يستعين بشئ من بعض ما فيه
منه حالا واصوب مقالا وفعالا والعبوس جميع امور البر ويعني
اشارته في كل ما يشير به اليه وعلا من انتفاعه وجود انتهاء بما
لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحده بعد ومن لم يكن منصفا
بالكلام معه بالصدق وخرج بقصده بدا بارد وسماع مزيد النفس

على غير وان اقتدى بالعلم في موضع التوفير هذا والله ولي التوفيق في ان
من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل
عن القيام بالواجبات وهذه من الصور التي ينبغي فيها خفية
الباطن وتفل الخوض في التفصيل وما ذكره هو حال اكثر الناس فترى الواحد
منهم اذا اعتقد التوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام
وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا من النوافل وهو
مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل مما
في ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا انهم لم
يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يطلبوا المجاهدة
ادعوا انهم التي استرقتهم وملكتهم ولو اخذوا في ذلك لكان لهم
فيه اعظم شغل بحيث لا فسحة لشيء من الطاعات والنفل قال بعض
العلماء من كانت الفضائل اهم اليه من الاداب في العمل فهو مخدوع
وقال محمد بن ابي الورد رضي الله عنه هلاك الناس في حرفين اشتغال
بنافلة وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطات القلب عليه
وانما منعوا الوصول لتضييعهم الاصول وقال الخواص رضي الله عنه الخلق
عن الله محجوبون احدها انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض وثانيها
انهم عملوا الاعمال الظاهرة ولم ياخذوا انفسهم بالصدق فيها
والنصح لله وابوا ان يقبل من عاملها الا الصدق وموافقة الحق

قال

قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه فافضل شيء للعبد معرفته
بنفسه ووقوفه على حده واحكامه حاله التي اقيم فيها والبداية
بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهى عنه بعلم بحدود جميع
ذلك وورع يحجزه عن الهوى في ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى
يفرغ من فرض فان الفضل لا يرجى الا بعد حوز السلامة كما لا يطلب
الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال فمن تعذرت عليه السلامة
كان من الفضل ابعد والى الاغترار اقرب انتهى وقال رضي الله عنه در
فيدا الطاعات باعتبار الاوقات كي لا ينعدم عنده وجود
التسويف ووقع عليك الوقت في نفسه حظ الاختيار
انما عليك فيما امرك به من الطاعات اموقتة بالاوقات بتعيين
عليك من حيث لحد ادها تقييدا لك باعتبار الاوقات لتوقعها
فيها فتعذر باقوا بها ولو لم يقيد ذلك لمسوفت بها ولم تعملها
حتى تفوتك فيفوت لك ثوابها والنعمة الثانية توسيع اوقاتها
تعالى عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تاتي بالطاعات في حال
سكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق فله الحمد على نعمه وقال رحمه الله
علم قلة نهوض العباد الى معاملته فاوجب عليهم
وجود طاعته فسيقهم اليه بسلاسل الايجاب عجب
ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم الله

الله تعالى فلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة عليهم واقامة
العبودية لمشاهدتهم الربوبية في حال طواعية منهم اذ في ذلك
قرة اعينهم وغاية نعيمهم اوجب عليهم طاعته على حال كراهية
منهم لا على ما فوجئهم به ان لم يعقلوا فساقهم بسلاسل الجابر و
تهديد الله واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به
ويفعل بهم ما يفعل بالصبي الا تراه كيف يؤدب على المسير لما على
مقتضى طبعه وجبلته ويلزم امورا شاقة عليه فيفعلها
وهو كاره لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التي هو جاهل
بها فاذا اكبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
هكذا عجب الله من اقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت ونعم
المؤلف رحمه الله بالسلاسل والصوغ بها والستعمال ذلك
الواجبة التي الزم القيام بها من يدعي الاستعارات كما قال الشاعر
وليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة به الى منعهم
في غاية الحسن قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب انه
المنسوب الى الله فيه الاظهار يعجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان
وهو ان الجنة التي اخبر الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش

فيه

فيه والخلود فيه الذي من حكمه ان يسمع به من في العقول ان
يسارع اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل المكاره
والمشاقات لينالها وهم لا يتمنعون عن ذلك ويرغبون عنها
ويزهدون فيها حتى يقادوا اليها بالسلاسل لينقادوا الى
المكروه العظيم التي تتبع منها الطباع وتتالم منه الابدان وذكرهم
النعيم وقد قرا جماعة من القراء بل عجبت ويسخرون بضم التاء وفي
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة
في قصة الانصاري الذي قال لامراته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور فالعجب منسوب الى الله تعالى
قد ورد في الكتاب والسنة اذا من الصفات السمعية قوله
اوجب عليك وجود خدمته وما اوجب عليك الا دخول
جنته هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما تقدم والمقصود من
هذا الكلام الاعلام بان الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا
تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما وجبت عليهم لما يرجع
اليهم من مصالحهم لا غير قلت وما ذكره المؤلف رحمه الله هو حال
عامة الناس الذين هم من شانهم التثاقل وعدم الانقياد للاوامر
والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتهديد والمواعيد
للخوف والمبالغة في التكليف واما الخاصة فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك

من الله تعالى من شرح صدورهم ونوّر بصائرهم وكتب في قلوبهم الإيمان
وحبب إليهم الطاعة وبغض إليهم العصيان فلم يقتصروا على ما
افترض عليهم المذكورون من فعل الواجبات واجتناب المحظورات
فقط بل ناهضوا إلى ذلك المبادرة إلى أعمال الطاعات والمسارعة
في نوافل الخيرات وبالجملة فما ردوا أعمالهم قربات وذلك لما هم فيه
وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه قال
في التنوير إنما جعل الله سبحانه الإيجاب على العباد علما منه بما هم
عليه من وجود الضعف وبما فيهم من ضعف بدل من وجود الكسل
فأوجب عليهم ما أوجب لأنه لو خيرهم فيما أوجب عليهم لم يقوموا
به فالتخيير إلا قليل وقليل ما هم فأوجبه عليهم وجودا منه وبا
التحقيق ما وجب عليهم إلا دخول جنته فساقهم إلى الجنة بسلا
سل الإيجاب عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل فـ
اعلم رحمك الله أنه لما علم الواجبات من إيثار الحق سبحانه جعل [illegible]
ما أوجب تطوعا من جنسه أي أنواع أن يكون في ذلك التطوع
من ذلك الجنس جابر لما عساه أن يقع من الخلل في قيام العبد با
لواجبات ولذلك جاء في الحديث أنه ينظر إلى مفروض صلاة العبد
فإن نقص منها شيء كمل من النوافل فافهم رحمك الله هذا وإن
مقتصرا على ما جرى الله عليك بل التكبر [illegible]

الكبار

الباكي عن معاملة الله فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا
يجدون في الموازين إلا ثواب الأعمال الواجبات وثواب ترك المحرمات
١٧٧ لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصى خاصر والخير [illegible] رجحان
الفاتح للعبد باب المعاملة والامهل لهم أسباب المواصلة قال
واعلم أن الحق سبحانه علم أن في عباده ضعفاء وأقوياء فأوجب
الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على القيام بما أوجب
والترك لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشوق
ما ينبعث بما يحملهم من المعاملة من غير إيجاب فمثلهم كمثل
العبد يعلم السيد منه أنه إن لم يجازه لم يعد إليه شيئا فلذلك
وقف معها [illegible] وظائف العبودية [illegible]
بالطاعم والغلا [illegible] والوصب [illegible] فمثلهم في الصلاة
وبالحوائج إلى [illegible] الناهية العبر والماشية ويوقت حصول
المنفعة في الزرع وأنوا حقه يوم حصاده وبعضهم في الحجة في
الحج وبشهر رمضان في الصيام موظف الوظائف ووقتها ومن
جعل للنفوس فيه سواها فسحة الخطوة والسعي في الأ
سباب وأهل الله أهل الفهم عنه جعل الله الأوقات كلها
وقتا واحدا والعمر كله نهجا إلى الله قاصدا فعلموا أن الوقت
كله لله فلم يجعلوا الشيء منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن

رضي الله عنه عليك بورد واحد ودعوا اسقاط الدعوى وصحبة
المولى ابت الهمة ان تستعمل جهدا الا فيما يوفق محبوبه ر
علموا ان الا ... امانة الحق عندهم وواجبه لديهم فعلموا ان
ملك المعبود من عبادته بوجودهم لذلك وكذا ان لم تكن الربوبية الدائمة
كذلك حقوق العبودية عليك دائمة والعبودية غير موقتة الا
فاته حقوق العبودية ينبغي ان تكون لم ابدا كذلك ولذلك قال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ان كل وقت سوء على العبودية
يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى وقال رضي الله عنه
من استغرب ان ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود
غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله على كل
شيء مقتدرا من استغرقته الشهوة واستولت عليه
الغفلة فلا ان يستغرب ان ينقذه الله من اسر شهوته
وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام ذلك
فيه فان في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله تعالى
متصف بالاقتدار على كل شيء وهذا من ... وليعلم العبد
ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا يأس وليقف
باب مولاه بالذلة والافتقار ويعصى ... يسهل عليه ما استصعب
ويقضي فيه ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز ولتعتبر

بهذا

١٧٨

بهذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تغربت لهم
في بدايتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الدعوات ثم
تداركهم الله بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح
اعمالهم وحسن احوالهم وابدل سيئاتهم حسنات ورفعهم
من اسفل سافلين الى اعلى درجات كل ذلك في اقرب وقت وزمان
واقصى مدة واوان وقد الحكايات في هذا المعنى عن الفضيل بن عياض
وعبد الله بن المبارك وابي عقيل وغيرهم رضي الله عنهم معروفة
مشهورة ومن اغرب ما رايت في هذا المعنى ما رواه عبد الصمد
ابن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا فتق نفسه
فجاء الى سائح من سياح بني اسرائيل فساله عن ذلك فقال من هو
له السائح ... قد ... طويلا ثم قال له اذا اخضر هذا
العرجون قبلت توبتك واراد السائح بذلك ان يوبسه من
التوبة لعظم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة
ويعزم فتاب ... بعبد الله زمانا وبيده عرجونه فاخضر ذلك
العرجون باذن الله تعالى وقدرته وامن هذا واعجب ما
خرجه مسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة
وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب

فاتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على
رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم من
يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا
يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها
ارض سوء فانطلق حتى اذا انتصف الطريق اتاه الموت
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت
ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت
ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة
آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا بين الارضين فالى ايتهما
ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد
فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة فقال الحسن ذكر لنا انه
لما اتاه الموت نأى بصدره وقال عيسى بن دينار كان يقول ما
من الله على عبد العمل الا وهو يريد ان يقبله منه ولا وفق الله عبدا
لنزوع عن ذنب الا وهو يريد ان يغفر له وذكر الفقيه يونس
ابن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبيب
والتسبيب لصالح العمل انه اخبره ثقة عن اهل العلم قال كان
رجلا من اهل الاندلس له اصحاب يجمعهم في مجالس مكرمة

بعد عوده

بعد عوده ذات يوم فلم يجتمع فقال لوالده ما يمنعك من اجابتنا
فقال قد خلقت البارحة في الدار بغير وانا استحيي من سفهي ثم لزم الخير
والعبادة فصل وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه قال عجبت
١٧٩ لحمة الله على ابن آدم بغير ذكر فيه اسقاط معقبت ابن سمعان قال كان
موفقا ابن ابي يعمل الخطايا فبينما هو يمشي ذات يوم ذكر
ما سلف من عمله فقال اللهم غفرانك فمات من تلك الحال فغفر
له وذكر فيه اسقاط عن رجل من العلماء انه راى في منامه شيخا وجماعة
من الشعراء فذاكر هو اياه بيتا لم يعرفه فقال له ايها الشيخ اخبرني
بالحكم فيه قالت العرب فانشد: صبا ما صبا حتى علا الشيب
راسه: فلما علاه قال للباطل ابعد: قال فوالله عز وجل لقد
نفعني بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك عند شهوة او خطيئة
الا ارتد عنها عقلي وارجو الا يعدم في الانتفاع به ما بقيت
ان شاء الله تعالى وفي الكتاب المذكور حكايات مستحسنة
بهذا المعنى فطالع ذلك فيه والله الموفق لا رب غيره وقال
فيما ورد من الكلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك
الكلم اضداد للانوار فما من نور الا وفي مقابلته ظلمة وكل ظلمة
بقدر نورها والشيء يعرف بضده كما قيل وبضدها تتبين
الاشياء فما اورده عليك من الظلمات المحنة والعقبة في لباس

الدعو والجرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك من انوار التجلي
والحضور في نهار القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابغة من غير
علم منك بذلك وقال بعضهم رضي الله عنه من لم يعرف قدر النعم بو
جدانها عرفها بوجود فقدانها اكثر الناس لا يعرفون قدر
النعم الا بالفقد ونعا وذلك لاجل غلبة الغفلة عليهم حين وجودها
عندهم قال السري السقطي رضي الله عنه من لم يعرف قدر النعم سلبها
من حيث لا يعلم وقال الفضيل رضي الله عنه عليكم بمداومة الشكر
على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض البلغاء
اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال اخر
شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفي معنى هذا قيل انما يعرف
قدر العافية من بلي بعطفة البادية لا من كان على مثالها او دينه
الجارية كالولد العاق يقصر على ابيه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة
ابيه وقيل نعم الله تعالى مجهولة وتعرف اذا فقدت ومر رجل على
بعض العلماء فقال العالم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفناها بزوالها
قلت ولاجل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها
من العبد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل
منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والاستعين من انعطف بغيرهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه

انه

انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر
ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وروي ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل
منه ممن فضل عليه قال ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وكان بعض ١٨١
الصوفية وقف على نفسه ان يحضر الى المرستان فيشاهدهم ويشاهد هو
عللهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنتهم
في التعزيرات واقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد عذاب الغراء
وتاسفهم على ما ضيعوا مع اشتغال الموتى بحاجتهم فيه وكان يعود
الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه في تخليصه
من تلك البلايا انتهى وكان الربيع بن خثيم جعل في داره قبرا وكان يضع
في عنقه غلا وينام فيه ويحركه ويقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسأل
الرجوع فلا ترد وهذا كله من امتثال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذا الشان المذكور ومن لطيف المعنى ان العاقل لا تعرف النعم المو
جودة لديه ابلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى اشتغل بالشكر
عليها فلا تزال عنه ولا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من
كلام المؤلف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن
شكرها فقد قيدها بعقالها وقال ايضا رضي الله عنه

وجود الاقبال تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تطالب
ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر ادبك والعبا
رتان متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا وقال رضي الله عنه حـ
حقوق في الاوقات يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد
الا ولله عليك حق جديد وامر اكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وانت فيه
لم تقض حق الله فيه الحقوق التي تكون في ازمان معينة
كاعيان العبادات ذات الاوقات من صلاة وصيام ونحوهما
هي التي يستدرك فوتها المعبر له امكنه قضاؤها ومع وقت
ادائها ان جعل له بعد ذلك مجال يستدرك فيه فوته
من تلك الحقوق وهي الحقوق المضافة الى الاوقات التي هي المعا
ملات الباطنة التي تقتضيها احوال العبد وارادات قلبه
المتلونة عليه ووقت كل عبد ما هو عليه من ذلك فالعبد
مطالب بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى
على كل عبد عند كل حال يحل به ووارد يرد عليه حق جديد
وامر اكيد ولا يتسع الا الرجوع فيه اذ ذاك فان فاته لم يجد
مجالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد ان يكون مراقبا
لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكنه قضا
ؤها ان فاتته ذا التصحيح امور اعماله رضي الله عنه

اوقات

اوقات العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والمعصية
والطاعة فلله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يق
١٣٣٢ تضيه الحق منك بحكم الربوبية ومن كان وقته الطاعة ف
سبيله شهود المنة من الله عليه ان هداه لها ووفقه
للقيام بها ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو
فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالـ
قضاء والصبر والرضا رضى النفس عن الله والصبر مشتق من
الاصبار وهو الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب
نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر و
الصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم
فاستغفر ثم سكت صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا له يا
رسول الله فقال اولئك الذين لهم الامن وهم مهتدون و
اي لهم الامن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا وقال
ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له
عمر العبد هو ايام اعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى
والموجبة له جزيل الثواب في الدار الآخرة وهو ذلك هي
السعادة التي لها يكدح العبد وبسعيها مواجهته

ولبس له منفق الا ما اشتغل به كما قال تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته
من السعادة بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد رضي الله عنه
الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شيء اعز من الوقت وكل
جزء يحصل له من العمر بغير حال من ذلك يتوصل به الى ملك لا يبلى
وليس ~~شيء اعز من الوقت~~ ولا قيمة لما يوصل الى ذلك لانه في
غاية النزف والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعاة ال
سلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا
الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم يضيعوا اعمارهم في
البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم
الا بالجد والتشمير وقد قال امير المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه بقية عمر المومن ما لها ثمن يدرك فيها ما فات
ويحيي ما امات وقد نظمه بعض الشعراء فقال
بقية العمر عندي ما لها ثمن وان غدا غير محسوب من الزمن
يستدرك المرء فيها ما فات ويحيي ما امات ويمحو السوء بالحسن
وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه وهو يريد
الجمعة قف حتى اكلمك فقال لولا اني ابادر لوقفت عليك
فقال له وما تبادر قال ابادر خروج روحي وقال الحسن

رض

رضي الله عنه ادركت قوما كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على
دنانيركم ودراهمكم يقولون كما لا يخرج احدكم دينارا ولا د
رهما الا فيما يعود اليه نفعه فكذلك لا يحبون ان يخرجوا
ساعة من اعمارهم الا فيما يعود عليهم نفعه وقال
السري السقطي رضي الله عنه خرجت من بغداد اريد الرباط
الى عبادان لاصوم بها رجبا وشعبان فاتفق مرضي ان
لقيت على باب جرجان وكان من الزهاد الكبار وهو وقت
افطاره وكان معه ملح مدقوق واقراص فقال ملحك مدقوق
ومعك الوان من الطعام لم تفلح ولم تدخل منزل الخير فنظرت
الى مزوده كان معه فيه سويق الشعير فسففت منه فقلت
ما قوتك الى هذا فقال انا حسبت ما بين المضغ والسف
سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة
وافحشها من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله تعالى فيها
الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد تعرض عليه ساعات
عمره اليوم والليلة فيراها خزاين مصفوفة اربعا
وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء
وجزاء كما كان يودع خزانته من ساعات الدنيا من
الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به واذا مر به
الا بساعة

في الدنيا لم تكد ساعة لم يذكر الله تعالى فيها وفي الجنة لا يوجد
خرائب ولا رغبة اعطا فيها ولا جزاء عليها فيعمرونها بذلك
ويتفسح كيفما شاء حيث

حيث

حيث لم يدخر فيه شيئا فيرى جزاء مدخوراته بل يفني نفسه
الى الذكر والشكر وجاء في الخبر ان اهل الجنة بينما هم في نعيمهم
اذ سطع لهم نور من فوقهم فاضاءت لهم منه منازلهم كما تضيء
الشمس لاهل الدنيا فنظروا الى رجال من فوقهم اهل عليين
يرونهم كما يرى الكوكب الدري في افق السماء وقد فضلوا عليهم
في الانوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظر
ون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون
ذا الجلال والاكرام فينادون هؤلاء يا اخواننا ما انصفتمونا
كنا نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم
به علينا فاذا النداء من قبل الله تعالى انهم كانوا يجوعون حين
تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكسون
ويذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين
تنامون وكانوا يخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم
فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون وقال ابو علي الدقاق رضي الله عنه رؤي
بعضهم بمنتزهه فقيل له بعد ذلك فقال [illegible]
واما الصحيح ان الحور للابرار والكبار من السلف قال الله تعالى
وكذلك علينا [illegible] انتهوا

والسبا في السباق قولا وفعلا حذر النعيم حسرة المسبوق
وقال رضي الله عنه ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو
لا يحب ان تكون لغيره عبدا المحبة للشيء تقتضي الانقياد له
والتوقف العلاقة له وان يتبع به بدلا كما قيل حبك للشيء يعمي
ويصم وذلك معنى استعباد المحب له فمن احب غير الله عز وجل
فقد استعبده ذلك الغير كائنا ما كان والله تعالى لا يحب ان تكون
لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
والخميصة والقطيفة والزوجة قال ابو محمد السماك رضي الله عنه
كتب الي اخ ان استطعت ان لا تكون لغير الله عبدا فيما هو من
من المعبود به بدا فافعل وقال الجنيد رضي الله عنه انك لن تكون
على الحقيقة له عبدا وشيء مما دونه لك مسترقا وانك لن تصل
الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية وسبيل من لم
يبق عليه من الدنيا الا مقدار رمق وقوت فقال المكاتب عبد
ما بقي عليه درهم ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر عن ابي
عبد الله الرازي نزيل نيسابور قال كساني ابن الانباري صوفا و
رايت على راس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف
فتمنيت في نفسي ان يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه
قال انزع الصوف فنزعت عني فلفه وطرح القلنسوة عليه

ودعا

ودعا بنار واحرقهما جميعا وشبه هذا مما كان ينكر عليه
من لم يعرف مقصوده في ذلك رضي الله عنه وقال ١٨٦
لا تستعبد طاعتك ولا تتق معصيتك فانما امرك
بهذا ونهاك عن هذا لما يعود عليك الحق تعالى غني
عن اعمال العاملين لله منزه عن الاعراض والاغراض فلا تنفعه
طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود
عليك من المصالح والمنافع في الدارين لا غير وذلك على سبيل
التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم هذا التنبيه يحجبه
ربك مرفوع بيسافور الواجبة بالسلاسل قال في لطائف المنن
اعلم رحمك الله ان الله لم يامر العباد بشيء وجوبا او بنفي
شيء ندبا الا والمصلحة لهم في تركه امرهم بتركه وجوبا او ندبا
ولسنا نقول كما قال من عدا اهل الهدى انه يجب على الله
رعاية مصالح عباده بل انما نقول ان ذلك عادة الحق شرعية
المستمرة وعادته مع عباده على سبيل التفضل فليت شعري
اذا قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب
ثم انا نظرنا وراينا فكل ما هو مامور به او مندوب اليه يستلزم
الجمع على الله وكل منهي عنه او مكروه يقتضي التفرقة عنه
فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لا كثر الطاعة

فهو اسباب الجمع ووسايله فلذلك أمر بها والمعصية من
اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك نهى عنها النبي ﷺ وقال
لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من
عزه ادبار من ادبر عنه عزة الله تعالى صفة من صفاته
وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والا
انتقاص وسبقت العلل وقال ايضا وصولك الى الله وصو
لك الى العلم به والا جل ربنا ان يتصل به شيء او
يتصل بشيء والوصول الى الله تعالى الذي يشير اهل هذه الطر
يقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية
السالكين ومنتهى سير السايرين واما الوصول المعهود
بين المحدثات فهو متعال قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل
من لا شبيه ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن
عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا
احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص
عمر بن محمد عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعا
رف رحمه الله واعلم ان الاتصال والمواصلة اشار اليها الشيوخ
وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو
في رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق

الافعال

الافعال فهو في رتبة التجلي فيرى فعله وفعل غيره لوقوفه
مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار
وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يقف في مقام الـ
هيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجمال والجلال
وهذا تجلي بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من
يرقى الى مقام الفناء مشتملة على باطنه انوار اليقين والمشاهدة
مغيبا عليه في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي
الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذه رتبة
حق اليقين ويكون ذلك في الدنيا [illegible] وهو سريان نور المشاهدة
في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى
قالبه وهذا من اعلى رتبة الوصول واذا تحققت الحقايق
يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه في اول المنازل فاين
الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الاباد
في عمر الاخرة الابدي فكيف في العمر القصير [illegible] قال الحرالي
قربك منه ان تكون مشاهدا لقربه والا فمن اين انت
ووجود قربه [illegible] القرب الحقيقي قرب الله منك قال الله تعالى
واذا سالك عبادي عني فاني قريب وقال تعالى ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون وقال عز من قايل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد

وحظك من ذلك الالتفات ومثل بعد ذلك لغربه وبعد عن نفسه يجد
بعده المشاهدة نشرع الى مراقبة وغلبة الهيبة والتأدب باي
الحضرة واما انت فلا يليق بك الا وجه البعد وشهود عدم
نفسك كما يقول المريد ● بعد بعد الذي ما اوتيك في
وما البعد عندك وقال ايضا رضي الله عنه الحقائق ترد في
حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا اتاك
ما تتبع غرائبه ثم ان علينا بيانه حقائق العلوم الذي
التي تجد بعد الحق تعالى في اسرار العارفين عند براءتهم والذي
وغيرتهم من رق الاشياء وتخصصهم بالجلاء وانما تنزل كما انزلت
عليهم الصولة يجرمهم الحق تعالى بحقيقة الوعي لهم من غير
تعلم ولا دراسة وعند ورودها اليهم وتجليها لهم تكون
مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا بد ان يكون لهم حقيقة
بلغوا وعوها وتحققت فيهم اذ هاتهم بالاعتبار والتامل
تبين لهم معانيها وظهر لهم موافقتها لما بايديهم من العلوم
العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما جرى على
لسانه وبيانه ما لم يكن من غيره [illegible] بالا ما ذا [illegible]
او رسم يقتضيه [illegible] فلم يجد [illegible] مستغنيا [illegible]
فيجد ذلك مرة بعد مرة في هذه الطريقة بنفسه فكان

بالما

١٨٤

بالما ابو القاسم القشيري رضي الله عنه واصحاب الحقائق يجري
علم التوحيد عليهم بحيث للعلم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يب
يكشف لهم وجوههم فربما كان على لسانهم في حال بدايتهم وجوههم
بعد من اعتبر عن المنطوية تنطوي لهم [illegible] فالاولى من
شواهد العلم اذ تحققوا ذلك تجربة وانما [illegible] الوقت انتهى
قال الامام ابو القاسم وهو موافق لما ذكر المؤلف والله تعالى اعلم
اعلم وكذا هي اشارة الى المسئلة التي [illegible] موافقة
الحقيقة والشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل
عمر [illegible] رضي الله عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة
تلك علم العلم لهم حقيقة وقال الشبلي رضي الله عنه الا الحقيقة
ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما
ادى الينا بالوسائط ولسان الحقيقة ما وصله الله الى [illegible]
بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه [illegible] وقال [illegible] رضي الله عنه
[illegible] قال [illegible] عنه
[illegible] علم الحقيقة [illegible]
[illegible] وقال
[illegible] حقيقة [illegible] الشريعة [illegible]
[illegible] ايضا

متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد
عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
الواردات الالهية تمحوا عنه جميع عوائده وتهدم عليه
مستحسن عاداته ولما سلطنة عظيمة على ذلك جاءا وردت على
قلب مشغول بانواع الخرائب واراد ازالة ذلك
ابدلك عوضا من ذلك احوالا علية واوطانا مرضية انشدني
شيخ ابو العباس المهدي رضي الله عنه

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت ارض النفوس ودكت الاجبال
لرايت شمس الحق يسطع نورها حين التزلزل والاجبال جبال
الارض ارض النفوس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة
والاشارة الى هذا المعنى بغية وقال رضي الله عنه
الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه
شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق الوارد موصوف بصفة القهر والغلبة
لوروده من حضرة القهار الغالب على امره ولاجل ذلك لا يصادمه
شيء من عوائد البشرية الا دمغه وازاله وهو ايضا حق ورد
على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق ولا تمانع في هذا الاية
وقال ايضا كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به

هو

هو فيه ظاهر وموجود حاضر قد اشبع المؤلف رحمه
الله الكلام على هذا المعنى اول الكتاب وذكر فيه عجب العجائب
ونبهنا عليه هناك وقال رضي الله عنه لا … وقبول
عمل لا تجد فيه وجود الحضور ربما افضل من العمل
مالم تدرك ثمرته عاجلا العمل الذي لا تجد فيه حضورا
به ينفع له الا ما يسر قبوله على ذلك الله تعالى فقد يقبل من
العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا من وجدان حضور او حلاوة او
غير ذلك ولو لم يجي الا من خوف التقرب به وسعودهم نفوسهم وقد
تقدم الشيخ في هذا المعنى عند قوله عليه الرجاء تخلوا وقال
لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس من السحابة الامطار
وانما المراد منها وجود الاثمار الوارد مراد لثمرته
لا لوجدان حظ نفسك فيه كما ان السحابة مرادة لوجود الثمار
ثمرات التي انتظاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها
وثمرة الوارد انما هي ثمرة القلب وتبدل صفاته المذمومة
بصفات محمودة فلا تقدم ما لم تعلم وجود هذا فيك فلا تزكي
الوارد ولا تفرح به فان في ذلك نوعا من الاغترار والخداع
بلبسة لا حاصل ورجعتك على غير صبر وقال ايضا رضي الله عنه
لا تطلبن بقاء الواردات بعد ما انبسطت انوارها

أودعت أسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء وليس
يغنيك عنه شيء أنوار [illegible] أنوار الواردات المنبسطة
على العبد هي تكسبه ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية والأسرار
المودعة فيه ما لاح له من حكمة الربوبية فإذا أفاد
الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه في حال كونها إذ ليس
على مقصود لك بل الله هو مقصودك عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى
بشيء من الأشياء كما قال الشاعر لكل شيء إذا فارقته عوض و
ليس لله إن فارقت من عوض قال أبو العباس بن عطاء الله رضي
الله عنه إياك أن تلاحظ مخلوقا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق
سبيلا ويدخل في هذا المعنى الذي ذكره ابن عطاء الله رضي الله عنه
جميع الأغيار من الأنوار والمقامات والأحوال الدنيوية والأخروية
والنعم الظاهرة والباطنة فلا تلاحظ شيئا من ذلك ولا تركن
إليه ولا تعتمد عليه بقي أو ذهب فإن ذلك قادح في إخلاص التو
حيد قال في التنوير واعلم أن الباري سبحانه إنما يتحفك بالأنوار
لتأخذ منه لا لتأخذ منك وإنما جاءت تحمل هدية النعم إليك
من الله إليك فيجب التوجه إليه باسم المنعم فأبداها وأبقاها
حتى إذا وصلت إليك ما كان لك فيه فلما ... إلا ما تتوجه
إليه ما بالهمة معتمدا عليه وحده وفي هذا لا تطلب بقاءه

رصول

١٩

يسمو بعد أن يبلغ رضا الله ولا أمير بعد أن يبلغ أمانته وإنما
يفتح المدعون بدوام الأحوال ويعزلهم عن مراتب الأغيار هنالك
تبدي العواري وتنهتك الأستار وكم من مدع الغنى بالله وهو
إنما غناه بطاعته أو بنوره أو بعلمه وكم من مدع العز بالله وإنما
اعتزازه بمنزلته وجاهه على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم
من معرفته وكم في الدنيا عند العلماء ما أراد الله لك ربا ولا علة
فكن عبدا له ولا علة لتحول له كما كان لك أن تنتفي وقال الشيخ أبو
العباس رضي الله عنه صحبته هو في المثال والعامل وعبد هو في الحال
بالمحول وعبد المحول وأمارة من هو في الحال بالحال أن يأسى
عليها إذا فقدها ويفرح بها إذا وجدها والذي هو في الحال
بالمحول لا يفرح بها إذا وجدها ولا يأسى عليها إذا فقدت
وفي الإشارة عن الله سبحانه لا تركنن إلى شيء دوننا فإنه وبال عليك
وقاتل لك فإن ركنت إلى العلم تتبعناه عليك وإن أويت إلى العمل
رددناه عليك وإن وثقت بالحال وقفناك معه وإن أنست بالوجد
استدرجناك فيه وإن لحظت إلى الخلق وكلناك إليهم وإن
اعتززت بالمعرفة نكرناها عليك فأي حيلة لك وأي قوة لك
فكن لنا راضيا حتى نرضاك لنا عبدا وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه
تطلعك إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له

واستيحاشك بفقدان ما سواه دليل على عدم وجدانك
به ووجود العبودية له ووصوله اليه فهو غاية مطالبه ومنتهى آماله
ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى
كل محبوب ويلتهي عن كل مفرح به ومرغوب وهذه هي صفة اهل
التجريد الذين استهتروا بذكر الله المحبين لله وروي عن ابي يزيد
البسطامي رضي الله عنه انه قال سالني رجل ابله للكلام ما الذي اجلسك
في هذا الموضع فقلت وما المسؤول عنه ان طلبته لم تدركه وان
حققته لم تقف عليه قلت فخبرني ما هو قال علي بالمجالسة الله
تستغرب نعيم الجنان ثم قال وان فوكت الفرقان نعيمي حضرة من
الخلود هربت هاذا الكذاب في صفاتي لو كشف محبة الله ما دخل
ما اطلع على احد قلت اما علمت ان المحبين غلبوا الله في رضاه
مستانسين بخلقه يعنون الحق على طاعته بطاح صحيحة وقال يا
محمد ورع وشمها ان تجد الحب وعلامه فليجد ما وراء ذلك من
ما اجتمعا ان ترى جوع حال ابنائه ثم قال يا سماء ويا ارض اشهد ان الله
ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار مطلقا ان كشف طه فاوا متنبهو
الله ما سمعت اهل ما بعدها وحققت ان يسبق الى النفس من
الناس من قلبه منزلته وصفت بيسيما انا على ذلك اذ الجماعة
فقالوا انما معك نعتاه ليتهي عن تلك جملة ان اضعف انه قد فقه

فقيل

فقيل معهم عليه فقلت من هذا الرجل ومن انتم قالوا وجدنا
هذا رجل من اهل الحق قلبه على قلب ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابتلاه
بنمرود بعسفه ان ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه منذ كان في
هذا ربنا ابراهيم عليه الصلاة فقلت من انتم فقالوا نحن السبعة
المخصوصون من الابدال فقلت علموني شيئا قالوا لا تحب ان تعرف
ولا تحب ان يعرف انك ممن يحب ان يعرف وفي مثل هذا الحال انشدوا
ما انت لغلبة الهوى معرفة فمستمعها اذا انك بغير الهوى
ابعد بجسدك وتلبث لاحبك ومن مولى الورى اقرب حبيبان
تركت لنا من دنياهم ود نبهم شغلا بذكراك يا ديني ودنياي
وقد سئل ابو سليمان الداراني رضي الله عنه عن اقرب ما يتقرب
به الى الله تبارك وتعالى فقال اقرب ما يتقرب به اليه ان يطلع
الله على قلبه ولا يريد من الدنيا والآخرة غيره فقده هي العلامة
الدالة فهو الدالة الظاهرة على التحقيق بهذا العلم العظيم
فان كان له شعور بفقد من الاحوال المحبوبة فتطلع اليها
واستوحش لفقدانها فذلك دليل على عدم تحققه بذلك
فليعرف منزلته وحاله وليعمل في تحصيل هذا المقام جهده وقال
النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده و
اقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو

لوجود حجابه بحسب العذاب وجود الحجاب واتمام
النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم مظاهر النعيم متنوعة
فهي ما ورد من انواع الثواب في الدار الآخرة من الحور والقصور
والولدان [illegible] من المآكل والمشارب والملابس الى غير ذلك
من انواع الملذات والنعيم ومظاهر العذاب متنوعة فهي ما ورد
من انواع العقاب ما فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب
والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من انواع الآلام والعقو
بات وليس وجود النعيم والعذاب بحسب وجوده وانما هو [illegible]
الاشياء ومباشرتها المنعم بها والمعذب بها ووجود حجابه او عدمه
[illegible] بحسب [illegible] دفع النعيم والعذاب عن النظر
وقال الشيخ رضي الله عنه ما فقد القلوب من النعيم والاحزان
فلاجل ما منعت من وجود العيان وجدان الهموم وال
احزان الدنيوية والاخروية من نتائج [illegible]
فقدها [illegible] منع القلوب من وجود العيان [illegible]
[illegible]
فلا يكون هم ولا حزن البتة بل يكون [illegible] دائم السرور [illegible]
كما قال تعالى [illegible]
[illegible]

جود

١٩٢

يروح روحه [illegible] كما قال الشاعر [illegible] العيان [illegible]
[illegible] من العيان [illegible] وقال الشيخ رضي الله عنه من [illegible]
[illegible] وقيل [illegible] داود عليه السلام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] داود عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
وجود الهموم والاحزان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقال الشيخ رضي الله عنه من تمام النعمة
عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك
وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان
منها [illegible] التامة الكاملة [illegible]

من حصول جميع المصالح الدينية والدنيوية اما مصالح الدين
فعدم الزيادة على الكفاية مفتاح اذ لو وجد فضلا عنها او حمالة
ذلك شغلنا عن الله تعالى كما ان [illegible] في رد الامتغى
بالاستغناء هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب ال
الطغيان والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة
ابن حاطب حين طلب الزيادة من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرزقه
وما آل اليه امره امر مشهور وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير
الذكر الخفي وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما
طلعت شمس قط الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق
هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى واما مصالح الدنيا
فلان ذلك [illegible] عليه في قوله [illegible] رحم الله [illegible]
ما يفرح به ويغتم ما يحزن عليه واما مصالح الآخرة فلان وجود ال
الكفاية وعدم الفضل [illegible] جعله سببا الى الاستغناء
بها على طاعة الله تعالى [illegible] عظمت النعمة [illegible]
قال الله تعالى وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس
نصيبك من الدنيا ولا تنس نصيبك من [illegible] ان تشغل الدنيا
[illegible] اتاك الله من الدنيا [illegible]

يحتاج

يحتاج الى تنبيه عليه لانه بذلك يحصل له ضيق العيش وراحة
١٩٧ القلب والبدن وصيانة الوجه عن ال[illegible] عند وجود الحاجة
والفاقة فحق العبد ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة و
يقنع بما اتاح له من هذه النعمة الجسيمة فيستغني بذلك
راحة نفسه [illegible] عن [illegible] ويحصل له [illegible]
الرغبة في الامور العاجلة [illegible] القلب عن [illegible] فان طلب
الزيادة من الدنيا ولم يرض بما قسم الله له [illegible]
[illegible] قال بعض العلماء من كان
لا يعرف قدر ما زوي عنه من الدنيا ابتلي باحد وجهين اما حرص
[illegible] يقطع به [illegible] او رغبة [illegible]
[illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الغنى عن كثرة
العرض انما الغنى غنى النفس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] رضي الله عنه انه قال [illegible]
[illegible]
من الدنيا [illegible] وقال عبد الواحد بن
زيد [illegible] جارية مجنونة تنطق

بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها بخربة جالسة على حجر عليها
جبة صوف وهي محلوقة الراس بلا خمار التي من غير ان اكلمها
قالت مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله بك وعجبت
من معرفتها ولم تراني قط قبل ذلك فقالت ما الذي جا بك هاهنا
فقلت جئت لتعظيني فقالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت
يا عبد الواحد ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله
تعالى حلاوة الزهد فيبقى حيران والها فان كان له عند الله تعالى
نصيب عاتبه وحيا في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك
عند ملايكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي وهاديا لاهل طاعتي
فملت الى العرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثتك بعد الانس
الوحشة وبعد العز الذل وبعد الغنى الفقر عبدي
ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك الى ما كنت تعرفه من نفسك
قال ثم تركتني وولت عني فانصرفت وفي قلبي منها حسرة وقيل
ان اهون ما صنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان يسلبه حلاوة
مناجاته وذكر ابو ابراهيم احمد بن ابراهيم التميمي القرطبي الملاي
رحمه الله في كتاب النصايح له عن ابي عبد ربه الشامي ثم الدمشقي
انه كان من اكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فامسى الى جانب
نهر ومرج فنزل فسمع صوتا يكثر حمد الله تعالى في ناحية

المرج

المرج واتبعته فوجدت رجلا ملفوفا في حصير فسلمت عليه
فقلت له يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت ما هذه الحالة فقال
حال نعمة يجب علي حمد الله عليها قال فقلت كيف وانما انت
في حصير قال وما لي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي
ومولدي في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر علي ما اكره
ذكره ونشره فمن اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت ان
رايت يرحمك الله ان تقوم معي الى المنزل فانا نزول على النهر هاهنا
قال لي فلم قلت لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس
الحصير فقال ما لي فيه حاجة فراودته على ان يتبعني فابى فانصرفت
وقد تقاصرت الي نفسي ومقتها اذ لم اخلف بدمشق رجلا يكاثرني في غنى
وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني اعوذ بك من سوء ما انا فيه
فبت لا يعلم اعواني ما اجمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا
نحو دمشق فبقيت مقيما وقدموا الي دابتي فانصرفت بها الى
دمشق فقلت ما انا بداخل دار مضيت الى منزلي فسالوني القعود
واخبرتهم بما نويت على الصدقة وانفقت بها قدم دمشق فوضع
لم يتصدق فقال له جيرانه فيه سبيل الخير حتى اعتق مملوكه وما
عنده الا مقدار قوت العجز ادخرت ابو ابراهيم وكان يقول فيما
يحدث به المذكور والله ان لو نجر له لتبعته ثم رجع مشيه بها اقصب

ما اخرجت اليه ولا اخذت منه شيئا ولو قيل من يصح هذا العمود

لقمت اليه وعانقته متوقفا الى الله ورسوله وقال رضي الله عنه

لبغل ما تفرح به بقل ما تحزن عليه ذو المقاصد عند العقلاء

اهم من جلب المصالح فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي

بذلك من فتح مقصده بالتيسير ولم ينقطع الحزن الا من مال اوجاه

فاما العقل فحصول الفخر لنفسه لانه دفع عن نفسه ما يفسد من

وجود الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن

واعتاض من ذلك الراحة الدائمة **كما قيل شعر**

• ومن سره ان لا يرى ما يسوءه • فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا •

• فان صلاح المرء يرجع كله • فسادا اذا الانسان جاز به الحدا •

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغتم لفقده والمعروف

به نفوا الحزن ومن عليه ان قليلا من قليل وان كان كثيرا فليس لما فيه

على قدر ما اولعت بالشيء حزنه وبه ضعف نزع السهم منه بنكد

يحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر

لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده

كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة وفقرا فقال وكيف ذلك قال ان انكسر

كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد

كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق ان انكسر

القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم وليته

لم يحمل الينا وامثال ذلك المصيبة واعظم منها نازل بكل من له علاقة

من اسباب الدنيا فانها ان لم تاخذ منه بغصب او سرقة او

جائحة نازلة فلا بد ان يؤخذ هو عنها بالموت الهادم للذات

المفرق للشهوات فان كان له الف محبوب حتى لا ينزل الحمد الملوك

الف مصيبة في وقت واحد لانه كان يحبها كلها وقد سلبت

منه مرة واحدة ولذلك كان الزهد في الدنيا مقرونا بالعقل

فقال سهل بن عبد الله لكل عقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم

واول كل اسم منه ترك الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه كان يقال بعضي

عاقلا وهو يتيقن ويجمع في حب الدنيا ومباهات اهلها على اهلها

المطاعم والمشارب والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون

واولئك هم الغافلون واولئك هم الجاهلون **وانشد في ذلك**

• ابلغا الامر ان دنياك غرة • لا تحبها ولا تكن منها جاهلا •

• ونسيل النجاة فيها مبين • وهو احسن للعقل والفوز منها •

وقال ابو علي الثقفي رضي الله عنه افمن اشتغال الدنيا اذا اقبلت

داره حسبها تنغيصا اذا ادبرت والعاقل من لا يركن الى شيء اذا اقبل

كان شغلا واذا ادبر كان حسرة **وانشدوا**

• ومن يحمد الدنيا لشيء يسره • فسوف لعمري عن قليل يلومها •

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا همومها
وقيل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا
بالعقل فقال إذا كان للأمور مميزا ولها متصفحا وعمل بما يوجب
عليه العقل باحتياج التمييز بذلك طلب الذي هو أولى فيعمل به و
يؤثره على ما سواه فإذا كان كذلك من صفته وكون العقل في
كل أحواله بعد أحكام العمل بما فرض عليه وليس من صفة
العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى من صفتهم الإغفال بالنقص
والتقصير ممن كانت هذه صفته بعد أحكامه لما يجب عليه من
عمله ترك التشاغل بما يزول ويفنى من العمل بما يبقى ويدوم
وذلك صفة ما هو عليه أبدينا وكذلك لا يجوز أن يشغل
نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصرف التشاغل به والعمل
له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويأتيه
سرورها ولا ينقطع بقاؤها وذلك أن الذي يدوم نفعه
ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل مفقود مثله
موروث تحاسب معه تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله
عليه وكذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله والأخذ
منها بأولاها قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

بذلك

بذلك وصفهم الله تعالى بهذه والألباب هي العقول وإنما
وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للأخذ بأحسن الأمور عند
استماعها وأحسن الأمور هو أفضلها وأبقاها نفعا على أهلها
في العاجل والآجل والآخرة تذهب الله عز وجل من عقل
وكفاية انتهى كلام الجنيد رضي الله عنه وهو يفيد غاية الحسن
ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده من التنبيه
على كلام المؤلف فرأيت ذكره ههنا لذلك والله تعالى الموفق
ثم قال رضي الله عنه **إن أردت ألا تعزل فلا تتول ولاية**
لا تدوم لك يعني هذه من أمثلة ما تقدم لأن الولاية مثال لها
والحزن بسبب وقوع العزل عنها ومفارقتها والعاقل من ترك
الولاية الموصوفة بهذا لئلا يقع في العزل المحزن وقال أيضا
إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات إن دعاك
إليها ظاهر نهاك عنها باطن يعني بدايات الأمور وفي
ظواهرها ترغيب الجاهل فيها وتدعوه إليها لأنها رائقة
الحس مليحة النظام فيغتر الجاهل بها فتقوده إلى ما فيه
من ورطته وهلاكه ونهايات الأمور وبواطنها تزهد العاقل
وتنهاه عنها لما يشاهده من سوء عاقبتها وقبح بواطنها
فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ويسلم من شرها وغوائلها

تقدم هذا المعنى عند قوله ربما اكدار كاهر معاعزة وما طلبوا

قال وهب بن منبه رضي الله عنه صحب رجل بعض الرهبان المستقيمين

منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر الله والفكر لا يفتر ثم التفت

في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا

راس كل خطيئة والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق نتاج

كل بر فاحذر راس كل خطيئة وارغب في راس كل خير وتضرع

الى ربك ان يهب لك نتاج كل خير قال وكيف اعرف ذلك قال

كان فيه رجل من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة اشياء شبهت

بالماء المالح يغرق ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل

وبالبرق الخاطف يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع

وبزهر الربيع يغر بزهرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام

النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ فلا يجد في يده

شيئا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل فتد

برت هذه الحروف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا

واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك

من اعرض عنها ثم رايت جدي في النوم فقال انتبه وانا عند

فلقد رايت في النوم كون ان هي في الدنيا قال يا بني بالعبر

بالغنى والفقر بالخير والشر بالعكس ثم وقع الراهب فقال

زهدها

197

زهدها ولا اراك خلع الا متجردا للفعل ومن فوائدك كان ذلك

اخر العهد به وقال بعض الزهاد رضي الله عنه لم تزل

الدنيا مذمومة في الامم الخالية عند العقلاء منهم وطالبوها

تعانى عند الحكماء الماضين ما قام داع منهم الا وقد

حذر من عاقبة الدنيا وجمعها واحب ان الله لا يرضى من

الزاهدين كيف قال انحرافي عن سبيل الرشاد فقال انما هذه

الحياة الدنيا متاع الى ابن سبيل الى سبيل الرشاد وقطعك

محبة الدنيا وطلبها والحكايات والاثار في احوال الدنيا

وغرورها وشرورها اكثر من ان تحصى والاخبار في ذلك من

دون الله تعالى في صفتها اعلموا انما الحياة الدنيا لعب

ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل

غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون

حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله و

رضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقال المؤلف

انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار

تزهيدا لك فيها ورود الاغيار والاكدار الدنيوية

على العبد نعمة من الله تعالى عليه لان ذلك يدعوه لا محالة الى

الزهد في الدنيا والتجافي عنها والنفرة عنه وجود

الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال وما يستحق من
والمثال لان الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها انما
هو ما يتوهم فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه
من شهوته ونهمته من غير منكد ولا منغص ولو تدبر وله
حصول على تعدده الا شيئا على ما يحبه ويهواه لكان ينبغي لم
يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لانها الى
الى الفناء والى الزوال والانقضاء ولا تبقى الرفقة الوائقة
خير من غيرك لا يدوم وقيل آل البقاء

• اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
• ان الدنيا على من كان فيها تدور فلا تدوم عليه حال
ثم هي ما تعد له من سعادة الاخرة والقرب من الله عز وجل
الذي هو غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فانها
وهو معرض فيها لانواع المصائب والفجائع ووقوع الا
غيار والاكدار مما من احد فيها الا وهو في الوقت من
الاشهر ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية فان
به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت الخيرة غيرة وعادت
البهجة ترحة ولهذا كذا شان الدنيا ابدا فلا يبقى سرورها
مستمرا ولا يقوم خيرها بشرها

ان

١٩٨

• ان البالي لم تخص الواحد الا صار الله بعد الاحسان
واذ حدق النظام فان ما فاتها خير بما زمان بقيت اولى بما فعل
منك وما اتعاه من اراد الحظ استرد عطاءه واذا استغنا
بدائه فتح ما ادق كتب علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى سلمان
رضي الله عنهما انما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل
سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك
منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن
اسر ما تكون فيها احذر ما تكون فيها ودع عنك همومها
لما تيقنت فان صاحبها كلما اطمان فيها الى
سرور اشخص منها الى مكروه وقيل قال بعض البلغاء الدار
الدنيا كالاحلام منام وسرورها كظل الغمام واحداثها
كحوادث السهام وشهواتها كمشوب السمام وفتنتها
كامواج الطوام وقيل الدنيا لعنا هيجة

• هي الدار دار الاذى والقذا ودار الفناء ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول البقاء وطول الحياة عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر
وانشد ابو منصور الثعالبي رحمه الله تعالى في ذم الدنيا:

قنع من الدنيا ولا يغر بمسندها ... ولا تنقص منزلته من تنزله في

بليبوسية من جوده البخعور وما ... وبكر وهلك اماتا املت راج

ويغدفال صحية الواصعون واكثروا ... وعتقد لها وصفا العمر وطاب

سلاف خطرها دعاو ومركب شهي اذا استلذته بهواني

وتشحي جميل بوقوا الناس حلبته ولاكوله اسرار سوء قبايح

واذا علم العبد هذا كله علم يقين وتمكن من قلبه ان تمكن لم

يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة اذ لا يجمع بين

خبيثين وضرار تين وبليته العونا وهو صم البدن من منافي

الدار بعد ذلك هو الخير ان الحسين قال ابو هاشم الزهري رضي

الله عنه ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به

دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل المعرفة

بالله من الدنيا مستوحشون والى الاخرة مشتاقون وقيل

اوحى الله الى الدنيا تضيقي وتشددي على اوليائي وترحبي

وتوسعي على اعدائي تضيقي على اوليائي حتى لا يتفرغوا لغيري وتو

سعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا لذكري وقال

علمك لا تعمل النفع المجرد عنه وفكر من ذرات

ما يسهل عليك وجود من افضل النفع المجرد الا بعلم

الا من لم يستحكم فيه حب الدنيا ولا ثم بلغ اقتداء العالية

وكان

وكان جرم الطبع سهل الانقياد واما من رسخت فيه تلك الخبا

ئث وتمكنت من باطنه ودار الهم النفسية ضمن الامقادة ولا

بد من قصد هدايته وارشاده من بلاد تعمل النفع والوعظ

وهو وجود ما يقصده او يحبه وليبين ذلك الا ما ذكر ناه فيا

قدر النعمة عليك بذلك واعمل بمقتضاها وصالح الوقت

بكله وقدرته وحسن تصديه وقد تقدم هذا المعنى عند

قوله من لم يقبل على الله بملاطفة الاحسان قيد اليه بسلاسل

الامتحان وقال الناظم رضي الله عنه العلم النافع الذي ينبسط

في الصدر شعاعه وينكشف عن القلب قناعه العلم

النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته واسمائه والعلم بكيفية

التعبد له والتادب بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط

في الصدر شعاعه فيتسع وينشرح للاسلام وينكشف

عن القلب قناعه فيزول عنه الشكوك والاوهام وفي حكمة

داود عليه السلام العلم في الصدر كالمصباح في البيت

قال الحسن رضي الله عنه العلم النافع هو الذي قد

تمكن في الصدر وتصور ذلك ان النور اذا اشرق في الصدر تصورت

الامور بصور حقيقتها ووقع بذلك في الصدر وجعل

صور الامور بهيئة صورها ويجتنب سبيلها بذلك

العلم النافع من نور القلب فيه حتى تلك العلائق الرابعة وهي
علامة السعد والعلم الذي قد تعلمه فذاك في الشقاء وإنما هو
حق قد استقر في الحفظ والشعور والاثر عليه قد احاطت
به وإذا دهيت بظلمة معاصيه قال ابو محمد عبد العزيز بن [illegible]
في الحكمة العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد
في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد من النار والخوف من النار
والرجاء وإعانة النعم وحفظ الحدود وهو النور المشار إليه
انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء وعلم اللسان المنقول إلى
العقول وقال مالك بن انس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة
الروايات وانما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى
وانما ينفع العلم إذا قرب العبد من ربه وبعده عن رؤية نفسه
وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وإرادته قال الجنيد
رضي الله عنه العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة
مختصرة وجيزة جمع فيها رحمه الله مقصود علوم الصوفية
وهي معرفة الله تعالى وحصر الأدب بين يديه وهذه هي
العلوم التي ينتفع بها [illegible] ولو بلغ ما بلغ من
القليل ولا قليل يجوز قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا

علي

على الكبائر وهو لا يشعر وما سوى هذه العلوم لا يحتاج إليه
إلا بقدر ضرورة صاحبه منها [illegible] وقد استعاذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من علم لا
ينفع قلت ذكر المؤلف رحمه الله عبارة [illegible] في بيان العلم النافع
فقال **خير علم ما كانت الخشية معه** من العلوم ما يثمر
وجود الخشية لله تعالى لأن الله عز وجل أثنى على العلماء بذلك
فقال عز من قائل إنما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم
لا خشية معه لا خير فيه ولا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة
قال الشيخ [illegible] رحمه الله تعالى في قوله تعالى إنما يخشى الله
من عباده العلماء فالمراد من لم يخش الله فليس بعالم الا ترى أن
داود عليه السلام قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك
والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يؤمن
بك قلت فظاهر الآية وسياقها أن العلم الذي هو مطلوب
الله الخشية له [illegible] علم لا
تكون معه إلا الغنية في الدنيا والتملق لأربابها وصرف الهمة
إلى التنافس والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار
وطول الأمل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا العلم علمه
من ان يكون من ورثة الانبياء [illegible]

الى الوارث الا بالصفة التي كان يفعلها عند الموروث عنه فمن لم
هذه الاوصاف او جلها من العلماء فمثله كالشمعة تضيء على
غيرها وهي تحرق نفسها وجعل الله العلم الذي من هذا وصفه
حجة عليه وسببا في تكثير العقوبات له وبه انقضى وكان سهل
ابن عبد الله رضي الله عنه يقول انقطعوا امرا من الامر والدنيا
الا بمشورة العلماء فمن العافية عند الله تعالى [illegible]
هم من العلماء قال الله تعالى [illegible] على الدنيا
ويؤثرون الله عز وجل على انفسهم وقد قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في وصيته [illegible] امره الذين يخشون الله تعالى
وقال الواسطي رضي الله عنه ارجى الناس من العلماء اخشاهم من
الله تعالى واشدهم خوفا مما علمهم الله عز وجل وقال في القوت
في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله له برزقه والعلم
الذي حيث ما ذكر في الكتاب العزيز او في السنة انما
المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة
قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فجعل العلم
ملازما للخشية ومع هذا العلماء انما هم اهل الخشية
وكذلك قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم [illegible] العلم
وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم [illegible] الله علما

ان

ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء و
رثة الانبياء وقوله تعالى [illegible] طالب العلم تكفل الله له برزقه انما
المراد في العلم في هذه المواطن العلم النافع القامع للهوى
القاطع وذلك متعين [illegible] كلام الله وكلام رسوله
صلى الله عليه وسلم اجل من ان يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في
غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة
الله تعالى ويلزم المخافة من الله والوقوف على حدوده وهذا
هو العلم بمعرفة الله ويشمل العلم النافع العلم بالله وبما
امر الله به اذا كان تعلمه لله تعالى [illegible]
على صحة دعوى التعلم والتعليم له عند قوله اذا التبس عليك
امران وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه العلم الذي
يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة
عليهم والحمل على حسن معاملة الله ودوام مراقبته و
طلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة [illegible]
التنعم ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو
الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بالله
من العلم الذي لا ينفع ووصف الله تعالى عباده بالخشية فقال
انما يخشى الله من عباده العلماء وقال الشيخ [illegible] العالم

فقال إنما يمسك العالم من خشية الله تعالى وقال بعض السلف من
ازداد علما فليزدد وجعا وقال رجل للشعبي رضي الله عنه أي
العلم أنفع قال ما يدلك على الله ويبعدك عن نفسك قال والعلم
النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية
السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والإعراض عن الدنيا و
عن طالبيها والتقلل منها ومجانبة أبواب أربابها وترك ما لديها
على من عليها من أهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم و
مجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى والإقبال على ما يعنيه
فإن العالم إذا أحب الدنيا وأهلها وجمع منها فوق الكفاية
يشغل عن الآخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك قال الله عز وجل يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال النبي صلى
الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر
بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال الفضيل بن عياض رحمه
الله عنه العالم طبيب الدين والدنيا داء الدين فإذا كان
الطبيب يجر الداء إلى نفسه فمتى يبرئ غيره وإذا رأيتم
العالم من العلماء مقبلا على الله تعالى وعلى لوازمه والإعراض
عن الدنيا وما فيها ومن فيها فأول ما يلزم أن يعرف نعم الله
عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ومزيد تواضع وافتقار

ويعلم

ويعلم أنه محمول على ذلك وأن ذلك توفيق من الله تعالى هداه منه
هو بما هداه إليه ومع هذه النعم من الله عليه بزيادة توفيق
فإذا كان العالم بهذا المحل من الدين كما أن ما لا تدابيره في أحكام
القاهرة وأحوال الباطنة يقتضي تنوع كل من محبته وبعد
يبتغي بعلمه كل ما ينفعه ويقوي همته على عبادة ربه وترقبه
بلاده ومن قاده علمه إلى طلب الدنيا والعلو فيها وطلب الرياسة
سنة واستتباع الخلق فهذا العلم الذي هو غير النافع وهو
العالم المفتون ولا حسرة أعظم من أن يهلك العالم بما هو حجة
عليه ونحن نعوذ بالله من الخذلان والشقاء ثم عبر المؤلف رحمه الله
بعبارة أخرى عن معنى ما تقدم فقال **العلم إن قارنته الخشية**
فلك وإلا فعليك العلم الذي يلازمه الخشية لك لأنك
تنتفع به في دنياك وآخرتك وليس كذلك ما إذا لم يكن فيه
العلم الذي لا خشية فيه عليك لأنك تستضر به في دنياك
وهذا الذي فرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا من حيث أن علماء
الآخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلماء الدنيا موصوفون
بسوى ما ذكر من الغفلة وقد بين علماؤنا رضي الله عنهم حال
الفريقين وميزوا أمرهم بالنعوت والعلامات والأحوال
ذلك النعم لما شاهدوه من انتشار المعاصي بسبب

جهل الناس بالعلم النافع الآن وقد هو من اجل الاشياء في ذلك
واستيفاء الكلام عليه وما في ذلك من الاخبار والآثار فعليه
بالنظر في كتاب العلم من كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي
رضي الله عنه كان العلماء ربيع الناس اذا رآهم الناس لم يرجع
بصره او يكون عجبا واذا انظر البعيد البعض لم يرد ان يكون غيرها
وقطاعا وانهم اليوم فتنة على الناس قال الحسن هذا في زمانه اذ لم يدرك
لو ادرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون وانما وقد
ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى
ولا يرجى حصوله الا لمن صحت فيه نيته وصحة نيته في ذلك
وان يكون غرضه فيه طلب مرضات الله عز وجل والاستعمال فيما
ينفع عنده واتباع الحق ووجه ... الى قول العلم ...
وهي النية الصحيحة التي تثمر ... آجلا وتحصل ثمرتها
في طاعة الله عاجلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم
لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع
شمس ذلك اليوم وقال الحسن رضي الله عنه كان الرجل اذا طلب
العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه
وصلاته وتعبده وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من
ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها ولو كانت

له

له فيضعفه في الاخرة ولما تيسر على الناس من زمان يشتبه
فيه الحق بالباطل فاذا كان ذلك لم ينفعه فيه الا دعاء كدعاء
الغريق وقال سفيان الثوري رضي الله عنه انما يتعلم العلم ليتقى
به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا
المقصد وفسدت النية كالذي يستشفع به التوصل الى منازل
دنياه من مال او جاه فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا
مبينا من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه من تعلم علما
مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف
الجنة يوم القيامة يعني ريحها وكان الحسن رضي الله عنه يقول والله
ما طلب احد هذا العلم الا كان حظه منه ما اراده به وقال
الحسن عقوبة العالم موت القلب فقيل له وما موت القلب قال
طلب الدنيا بعمل الاخرة فان انضاف الى هذا الغرض ان يتصدى به
الى نيل الاعمال السلطانية كائنة ما كانت او يتوصل به الى اكل
التبعات مال من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى
وسخطه وباء باثمه واثم المقتدي به وكان الجهل له اذ ذاك
خيرا له من العلم واجمع فيه قال ابو عمرو ... رضي الله عنه

وروينا عن الأوزاعي رضي الله عنه قال شكت النواويس إلى الله
عز وجل ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله تعالى إليها بطون
علماء السوء أنتن مما أنتم فيه، قال وروينا عن الفضيل
ابن عياض وسعيد بن العراث قال بلغنا أن الفسقة من العلماء
ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان، قال
الفضيل بن عياض إن من علم ليس كمن لا يعلم. قلت والغالب
على أهل العلم في هذه الأعصار هذا الوصف المذموم لأن حب الدنيا
قد استولى عليهم واستعبدهم الحرص على التقدم والترؤس
فذلك هم حاصدهم وأعماهم ولذلك أمارات وعلامات لا تنطمس
ولا تخفى وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج
في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود
الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب
يقول الله تبارك وتعالى أبي يغترون أم علي يجترئون فبي حلفت
لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه أبو
هريرة رضي الله عنه وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى قال في بعض الكتب أو أوحى
الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون
لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك
الكباش

٢٠٤

الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل
وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون ولأتيحن
لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الأخبار المروية عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن
إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه قلوبهم خربة من الهدى و
مساجدهم عامرة من البناء أنهم شر من تحت ظل السماء يومئذ علماؤهم
منهم تخرج الفتنة وفيهم تعود واعلم أن العلم النافع المتفق
عليه فيه سلف وخلف إنما هو العلم الذي يورث صاحبه إلى
الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق بأخلاق
الإيمان في تواضع الأسرار والإعلان إلى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا
والزهد فيها والإقبال للآخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة
فيه والحرص على التفكر للأسباب الباعثة له على الاستقامة
ولزوم الأدب بين يدي الله تعالى فيما يرعاه حفظا وطلبا
ومعرفة الأسباب القادحة لذلك فيتقيها ضبطا وحذرا
إلى غير ذلك من الصفات العلية والمناصب السنية فهذا
كله يحصل بفوائد العلم وثمراته الدنيوية والأخروية فإن خلي
طالب العلم عنها أو عن بعضها فإن كان ما يطلبه علما حقيقيا
كان حجة عليه وإن كان تعميما كان وبالا عليه والعياذ بالله

من ذلك قال في الكتاب المغرور بما عند الغافل من طلبة العلم من
قال طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله وليس في قول هذا القا
يل ما يستروح اليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما هو
دعوى القايل عن امر مَنّ به عليه وقضية سلمه الله منها لا يلزم
ان يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض من مرض المعا
أعيى علاجه وطال عليه خلقه فاخذ خنجرا وضرب به مراقه
ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخرج منه فهذا لا
يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة
العواقب رافعة للعتب عن الملقي بنفسه الى التهلكة وليس
المغرور بمحمود وان سلم وقال في موضع اخر ولا يغرنك أن يكون
بك انتفاع للناس والخاص فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا
وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت
فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الا
وقات في طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم العلم
ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة
فلم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود بالطه
ارة وجود الصلاة ولقد قال رجل الحسن البصري رضي الله عنه

في مسئلة جاوبه فيها فقال الرجل الحسن قد خالفك الفقهاء فزجره
الحسن فقال ويحك وهل رأيت فقيها انما الفقيه الذي فقه عن الله
امره ونهيه قال والدي سمعت شيخنا ابا العباس يقول الفقيه
من انفقأ الحجاب عن عين قلبه انتهى والرجل الذي سأل الحسن البصري
هو فرقد السبخي والله اعلم وقد روي عنه في صفة الفقهاء كلام
اتم مما ذكره صاحب كتاب الكاتب المغرور قال فرقد السبخي سألت
الحسن عن مسئلة فاجابني عنها فقلت ان الفقهاء يخالفونك
فقال ثكلتك امك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه
الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير في دينه المداوم على
عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف
عن اموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقتفي على سنة
المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا يهمز من فوقه ولا يسخر
بمن دونه ولا يأخذ على علم علمه الله له حطاما قلت وعلى
المعنى ان يتفقد احوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن توسم
فيه الخير والفلاح اذ بذلك تنتفي فيه الغفلات والمقاصد
التي ذكرناها ولا يبذله لمن سوى هؤلاء ممن علم حاله او جهله
وقال رجل لسفيان الثوري رضي الله عنه لو لقيت ما معك
من العلم رجوت ان ينفع الله به بعض عباده وتوجر على ذلك

فقال سفيان والله لو أعلم أن الذي يطلب هذا العلم لا يريد به إلا ما
عند الله لكنت أنا الذي آتيه في منزله فأحدثه بما عندي وما
أرجو أن ينفعه الله به وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب
فقال له السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال
اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقهه وكتمته فليلجمني به
وقال عز من قائل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيها على أن حفظ
العلم ممن يفسده ويستضر به أولى فصل
ومن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
وقد حكي عن بعض الأمم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة
في أخلاقه فإن وجدوا فيه خلقا رديا منعوه من التعلم أشد
المنع وقالوا إنه يستعين على مقتضى الخلق الردي ويصير علمه
داله في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء
كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة
وهذا كله صحيح مجرب فينبغي أن لا يعامله إلا بحسبه بل يراعيه
ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح
على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهم لأن يعملوا ببعض ما يتعلموه
من العلم الصحيح إن كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك فإن المدا

سو

المحاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة أنفسهم التي تتعدى
منهم إلى غيرهم أكثر من المحاسد أهم عند العقلاء وأجلب
للمطالح أما المحاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الخ
بيثة وأخلاقهم القبيحة بما يطلبونه من العلم لأنهم يستشعرون
بذلك التوصل إلى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية الإمكان
والتمام فإذا استشعروا ذلك توجهوا بهممهم إليه وعكفوا
بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور
منهم ذلك فإذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايله وهو
لهم الأغراض المذكورة من حوائزك واغتبطوا به وكلما ازدادوا
علما ازدادوا عجبا واغتباطا بما هم فيه وهذا العجب والاغتباط
في غاية القبح منهم لأن ذلك متعلق بأسباب الدنيا وهو بمنزلة
السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وقسوتها وبعدها عن
التأثر بالمواعظ والحكم كما قيل إذا قسا قلب لم تنفعه موعظة
وأرض إذا سبخت لم ينفعها المطر وعند ذلك تنعقد قلوبهم
وتتقوى صفاتهم ويظهر أثر ذلك على ظواهرهم من التكالب
على الدنيا والركون إلى من هي عنده من أبنائها المغترين بها
لهم ما يتوسلون به إليهم من علمهم فيجتنبوا الورع في تحصيل أغراضهم
عليهم و... وجوههم إليهم واشتغلوا عنهم بوجوه من الحيل

ولا يعلمون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق ومع ما يحل
بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك او بعض حظ
لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم في جوامع الحرمة
الى استحيا دراغبار واستبدلوا بالجهل لنافع العلم الضار
وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه لو ان اهل العلم اكرموا
وشفقوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله
الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا
لهم تبعا واعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا نفوسهم ولم يبالوا
بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء
الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس فذلوا وهانوا على الناس
انتهى ولله در القائل حيث يقول شعر

يقولون لي فيك انقباض وانما ... راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأغرسه عزا واجنيه ذلة ... اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه لعطا الخراساني كان العلماء

قبلنا

قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون
الى دنيا غيرهم وكانوا اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة
في علمهم فاصبح اهل العلم منا اليوم يبذلون لاهل الدنيا
علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في
علمهم لما راوا من سوء موضعه عندهم وقال ذا النون المصري
رضي الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا
وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا ولها طلبا
كان الرجل ينفق ماله على علمه ويكتسب الرجل اليوم بعلمه مالا
وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم يرى
على كثير من اهل العلم فسادا في الظاهر والباطن قال الشيخ
رحمه الله اذا كان هولاء الفضلاء يخبرون لازمانهم العلم
في هذه الاعصار وليس الخبر كالعيان ثم وقوع هذه المفاسد فيهم
وتوغلهم بركوب سوء اذ لم يتقدم عليهم بعد فلما تسلطوا
طرق الحق لما استحكم فيه فتكونهم من علل فات الخلق وقد قيل
التعمق في الباطل فضيحة لا حال الرجوع عنه فكل ما كان بعد
المسافة من الحق ثم كان ابلغ من الرجعة اوجب واعظم الوبال
عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم لسيء اعمالهم واشتغالهم
دون ربهم بما الكون سبيل النجاة في الدار الاخرة ونيل الثواب

فيها وانهم هم الذين حازوا الرتب الشريفة والمناصب المنيعة
التي اختص بنيلها العلماء الذين هم ورثة الانبياء وليس عندهم
من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذه الغرور لانهم لم
يسلكوا طريق ذلك ولم يستعدوا لما هنالك فهذا هو الفساد
الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه وأما الفساد الذي
يتعدى الى غيرهم فباظهار من كل مظاهره وما يحكي ممن ملكته
نفسه اشد ملك واستعبدته اي استعباد بعد ما بغا عليه فيه
من النفس او نوع من انواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن
ذلك ما يسري عنهم من الفساد من غير قصد منهم الى ذلك وقوع
الاغنياء او الجهلة الاغمار بمشاهدة حالهم بانهم بمشاهدة وقوع
قد حازوا من رتب الدنيا ما ارادوه وتبوؤا من منازل الاخرة
الاخرة ما ارادوه واستعبادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء
بهم في طلب العلم ان كانوا ممن كان فيه قابلية لذلك فيقعوا
فيما وقعوا فيه من انواع المهالك او يزيد بهم ذلك الى محبتهم
وموالاتهم واتخاذهم اربابا يستفتونهم ويطيعونهم
في اوامرهم ونواهيهم ويحتج بهم المفسدون في الدعوة الى الحال
الدنيوية مسارقة لما عنهم الدنيئة واخلاقهم الردية
فان نفوس العامة قابلة لذلك ومهيأة له بمنزلة الهيولى

ترسيخ

ترسيخ فيه اخلاق ارباب منازعهم ومذاهبهم وعند ذلك يبطل
في حقهم ما هو مقصود ببعثة الرسل من التزهيد في الدنيا و
الترغيب في الاخرة وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع والذلة
والتخلق باخلاق الابرار والاسلاف وشدة الحذر من ارتكاب
المناهي والاثام ثم يتنزل ذلك بهم الى الفرقة الجمع والجدال ويجيء
بهم الى البغي والعناد بالعلم من ذلك ويكون وبال جميع ذلك راجع
الى المعلم لبعض اصحابه ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك حيث
قال وهل افسد الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها *
وباعوا النفوس ولم يربحوا * ولم تغل في البيع اثمانها *
لقد رتع القوم في جيفة * يبين لذي العقل انتانها *
وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه اخذ حصاتين بيضاوين
فوضعها في كفه ثم قال ان الخير قد استضاء اضاءة هذه ثم اخذ
بعده ثم اخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها
ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون الخير دفنا هكذا
كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا قبلكم
حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود
هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد
اليقين منهم وانكساف انوار الايمان فيهم ولهذا سمعنا من

حفا بو ذلك وعدم احتظائهم بشي منه بحظ روا بجدك ما هو
للحصول آهم منقاد ولاغراضهم وارآئهم وبعدتن بذلك نيا
تهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات صالحات
كانت الاعمال صالحة وترتب عليها اثارها الصالحة والعطف من ذلك
على القلوب من يد اثراو وجد اخلاق يوجب له ذلك وجود القرب
من الله تعالى ونيل درجة الحب منه واذا كانت النيات فاسدة
كانت الاعمال ايضا فاسدة وترتب عليها اثارها الفاسدة والعطف
من ذلك على القلوب زيادة الظلمة وزيادة همة تفتح البعد
من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال
معرض للصحة والاعتلال ولسبب شرع هولاء الخير استغرقوا
اعمارهم في طلب العلم والاثر واتعبوا انفسهم بالسهر واسهروا
الليل وقطعوا ايامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمت ان
انفسهم بعمر او طلب وذا اشتدها والبعد عن جميع ما يوحشها ولا
بعثهم على ذلك باعث الهوى وباعث الهوى ولا شك ان باعث
الخير غير مقصور منهم بل هو حاصل في حقهم لما خدمناه من حال
البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور منهم ذلك وهم لم يطلعوا
على تكليفهم من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم ولا
نطقهم بل لم يجوزوا ذلك البتة وان ادعوا انهم عملوا لا عجب

عليهم

عليهم فيه فانهم يحتاجون الى تعرفه والقيام به جهدهم ويعرضون
ابرائهم ذلك والعلم به لا يحصل ضرورة فلا بد لهم من استعداد ته ولا
عناية لهم بشي منه ايضا واذا كان يتصور منهم باعث الدين لفروض
اغراضهم كلها عليهم ووصلوا الى ما لا يمكنهم الوصول اليه من
شهواتهم ولذاتهم بسبب ما من اسباب الدنيا ثم يرجعون من
ذلك مرادفا تهم عن محاولة هذه المطالب ويتبلغوا الى طلب العلم
عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبه ويدعوه فراغه من اشتغال
دنياه الى قطع ذلك باللهو واللعب او ارتكاب معصية او ذنب
لا البطالة التي تكون فيه استراحة للنفس واستجمام للعقل وحسم
في هذا الحال فذلك باعث الدين من امثال هولاء واما الحال التي
وصفها فلا يتصور عليها باعث الا الدنيا المجردة المجاورة للحمق
في الحرص والمقت بمنزلة من هو حريص على الانتفاع في الدنيا على
غاية ما اراد ها فانه يحمل فيها يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه
فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجاج البحار ويجوب البراري و
القفار ويهون عليه في جنب ما يحمله كل مشقة تصيبه وبلية
تنزل به ولو لم يفعل هذا الجاهل الا على سداد موفوا الاقتصار
على البلغ والعلق ويكذا لك هولاء الخبر كلا ما فيه لو لم يتصوروا
في فقرانهم الحصول على كليات اغراضهم من انتفاع اموالهم

وجاههم في دنياهم ووصولهم مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم
ليبلغوا اذ ذاك ما يبلغ في الاجتهاد ولا اقتنعوا على بعضه وهذا
كله امور البينة لا اشكال فيها عند من له ادنى تمييز وفهم ولكن
المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضاها ما ذكرناه حذرا
عليهم كيف وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته في
الا ما يبين عند من يخفى قلوبهم بعض ... تنبها ونشز حرج عندنا عظم
عم انتجا اما تنبذ كثير ممن ذكر من الخلفاء ووعظ واعظ في قلوبهم
من قبل الحق ثم يرجعون به سابرا وفاتهم الى ما الفوا
ومعتاداتهم وانما المانع اعم من ذلك انفراد الله تعالى بالمشيئة
والقدرة واستيثاره بالخذلان والتوفيق فاذا اراد الله ان يخذل
عبدا او عباده لم ينفعه عقل ولم ينفعه علم قال الله عز وجل
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وفي مثل هذا
الموضع تبطل احكام الاسباب وتتحقق ارباب الحقائق العلية
والجلال والعزة والكمال الى رب الارباب فليعتني بما ذكرناه
ارباب الابصار وليسلموا احكام الظواهر الفهوم العليم بذلك
يعتقد ورأى منهج التحقيق حين يضل غيرهم عن سواء السبيل بنور
مجانب فوق عقد فوق جوانب :. وليقل العبد المومن اذا
نظر اليهم واعتبر بما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي
عافاني

عافاني مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن
٢١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني
مما ابتلاك به وفضلني عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلا
عافاه الله من ذلك البلاء. كائنا ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه
الساعي في عقله وحد نفسه العامل على تصحيح اعماله وهمه الا
المشفوع في دينه الذي هو منوط بحمده وذمه ان يتأمل هذا
المقاصد ويقيس بها ما توهم ان المصالح الناشئة في تعلمه
بزعمه ويدقق النظر في ذلك كما يدققه في اكثر المسائل التي
لا تختلج البتة ولا تقدح على التعليل في هذه الازمنة ذوات
العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد
ولا تجويز وقوع قطعه ذكره ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه
خلاف ذلك اذا كان منصفا قال بعضهم رأيت سفيان الثوري
حزينا فسألته عن ذلك فقال ... ما نحن الا متجرا لا
ابناء الدنيا فقلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم حتى اذا عرف
وجاء عنا جعل عاملا او حاجبا او قهرمانا او جابيا فيقولون
حدثنا سفيان الثوري وعليه ان يحرص ابدا على مخالفة نفسه
فيما تدعوه اليه من التعليم الا فيما تستجلبه النفس ويوافق
في [illegible] مصحوب بالآفات والعلل التي تقدح في الاخلاص

واخلاص الاعمال شرط في وجود القبول وعند ذلك تذهب عمله
بالكلال والملال بسببه كما بلا وقد تقدم من كلام علي رضي الله
رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اهتماما منكم للعمل وعنه قوله
ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب وقد
تقدم ايضا الكلام على اتصال التعبير في ادعايها الى ما ظاهره
خبر عنه قوله اذا التبس عليكم امران فاستدلوا بالحزن في ذلك
من بشر بن الحارث رضي الله عنه كان يقول انا اشتهي ولو ذهب عني
شهوة الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب الحديث انه
سمع ابا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه قال كان
يقول انكم لو كنتم من هذا الحديث بعدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهل انتم منتهون فلما سمع منه قال انتهينا انتهينا
ثم ترك الرحلة في طلب الحديث واقبل على العبادة وروي ايضا
مثل هذا الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من هذا
الحديث بهذه المثابة عن امام الحديث ثم في زمانهما
مع ما فيه من الفوايد الاخروية فما ظنك بغيره من محدثات
العلوم ومفسد علاتها وقد ذكر الشيخ الحافظ ابو عمر
ابن عبد البر رضي الله عنه باسناده الى عبد الله بن مسلمة
القعنبي رضي الله عنه قال دخلت على مالك فوجدته باكيا فسلمت

عليه

٢١١

عليه فرد علي السلام ثم سكت عني يبكي فقلت له يا ابا عبد الله
ما الذي ابكاك فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرط مني ليتني
جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط
مني ما فرط من هذا الراي وهذه المسايل وقد كان لي سعة فيما
سبقت اليه قال بعضهم فاذا كان هذا فيمن اخذ المسايل المحققة ام
المبنية على اصول صحيحة ملفقة فما الظن بما انتشر بعد ذلك من الهذيان
الذي يجري بحكم العادة واقتضاء العصبية وتمالوا الناس على
الضلال والتقليد الى ان سما الجهال وتشابهوا ومن ثم كان يستحق
على كل واحد من العالم والمتعلم ان يشتغل بما هو اهم عليه
مما هو مامور به ومسئول عنه من مراقبة ربه واصلاح نفسه
وقلبه قبل ذلك شغل شاغل عما يعرف همه ويقسي قلبه
وينسيه ذكر ربه عز وجل الا ان وهب ذكر طالب العلم عن
ما الذي انسان طلبه لحسن اخلاقه بالنية وانما
من حين تصح النية ومن حين تصح الرحمة تصح علانيته
عليه شيئا وكان الثوري يقول لا اهل العلم للكفار طلب هذا
ليس من زاد الاخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة الموت
ولكنه علة يتشاغل بها الرجل ولولا ان للشيطان فيه نصيبا لما
ازدحم عليه بعض العلم وهذه نكتة فضعها ان يشتهي

هذا الموضع اللائق بهذا التنبيه لينتفع بها كل من يسول
من الله زوال العمى عن عينه ومراجعة خوفه وخشيته من المعلمين
والمتعلمين وليتبين لهم كلام المؤلف رحمه الله غاية التبيين
وبالله التوفيق لا إله إلا هو إذا استعصى قال رضي الله عنه متى آلمك عدم

إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع
إلى علم الله تعالى فيك فإن كان لا يقنعك علمه فيه
فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك
بوجود الأذى منهم العبد لا ينبغي أن يكون مقصده في الآخرة
إلا إلى مولاه فلا يفرح إلا بإقباله عليه ولا يحزن إلا لإعراضه عنه
ولا ينظر إلى المخلوقين في إقبال ولا إعراض ولا مدح ولا ذم فإنهم لا
يغنون عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله غيب
نظر الخلق إليك وغيب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك
فمتى آلمه عدم إقبالهم عليه أو توجههم بالذم إليه فليرجع
إلى ما بينه وبين ربه فإن كان قانعا بعلمه راضيا بقسمه كان له
في ذلك أعظم سلوان عما يلحقه من جهة المخلوقين فلا يجد ذلك
في قلبه لما عسى أن يكون منهم من إقبال أو إعراض وإن لم يكن قانعا
ولا راضيا بمصيبته في ذلك أعظم من مصيبة أذاء الناس له بل المصيبة
له في الحقيقة من هذه الجهة عنده من غير شعور لذلك علما بذلك المؤلف

إيمان قال إبراهيم التيمي رضي الله عنه لبعض أصحابه ما يقول الناس
فيّ قال يقولون إنك مرائي فقال الآن طاب العمل وقال بعض رضي
الله عنه التيمي والله يعلم الله فيه يجب أن يدخل مع علم الله علم غيره
وقال بعض الحكماء سكون القلب إلى قبول المدح لها أشد عليه
من المعاصي وقال رضي الله عنه **إنما أجرى الأذى عليهم كي لا**
تكون ساكنا إليهم أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك
عنه شيء وجود أذاية الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لما فيه
من إعتاقه منه للملاطفة والإكرام والمبرة والاحترام لأن في
ذلك بعيده عدم السكون إليهم وترك الاعتماد عليهم وفقده
إيمانهم به فيتحقق بذلك عبودية لله عز وجل قال سعيد أبو
الحسن إذا أن النساء رضي ضعفت دعائي ذلك فيمت من آيت
فإنا لا نعالج من علامة الصوفية كثرة أعداء في جانب الأبدال لهم
قال بعض العارفين الغيبة من الغير وسوط الله يضرب به القلوب
إذا سكنت إلى غيره لو إذا ذلك فقد القلب في قبل العز والجاه وهو
حجاب عن الله عز وجل وقال سعيد أبو محمد عبد الصلا شيخ سيدي
أبو الحسن رضي الله عنهما في دعائه اللهم إن قوما سألوك أن
تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم
إني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجأي إلا إليك وقال

ابو الحسن الوراق النيسابوري رض الله عنه الانس بالخلق وحشة
والطمانينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم
وهن والثقة بهم ضياع واذا اراد الله بعبد خيرا انسه به وبذكره
وتوكله عليه وطهر سره عن التخلق اليهم وكذا هم عن الاعتماد عليهم
وقد قال ان هذا لجحود المارع الكبير تغني بالله تعالى
واهل الصفا لجحود الخلق والمعارضا من القلب تحققا بالله عز
وجل قال في لطايف المنن اعلم ان اولياء الله تعالى حكمهم في بدا
يتهم ان يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم
المزايا وكي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد
ومن اذاك فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد
استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم واسدى
اليكم معروفا فكافوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص
القلب من رق احسان الخلق وليتعلق بالملك الحق وقال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اهرب من خير الناس اكثر مما
تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك
في بدنك ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو
تصل به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله وعد اقبالهم
عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا الا تراهم اذا اقبلوا فتنوا

قال

قال وتسليط الخلق على اولياء الله في مبدا امرهم سنة الله في
احبايه واصفيايه وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اللهم ان
٢١٣ القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد
حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطايف
رحمتك وكل عز يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار
معرفتك قال ومما يدلك على ان هذه السنة الله في احبايه واصفيايه
قوله تعالى وزلزلوا الاية وقوله حتى اذا استيأس الرسل الاية و
قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الاية وقوله اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الايات الدالة على هذا الم
عنى انتهى ولذلك من استحلى حالا او ساكن مقاما من سنة الله
تعالى مع اوليايه تشويش ذلك عليهم وتعرض غيرته على قلوبهم
لئلا تناله لغيره ولئلا تتقيد بسواه قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه من المقاطع المشكلة السكون الى استحلاء
ما يلقى فيك من تقريبك وكانه في خلال ما ابنا حيد بنا عنيك
فانه بكل لطيفة يقتطعك ويخرجك وتخدعك خدعا خفية ومن
ادركته السعادة نحاه ليشعر بشهود جلاله وجماله باثبات شي
بالطيف احواله وما يخص به من افعاله وافضاله واداء الطاعات
على وجه الاستقلال معه وقد يعد من الشهوة الخفية

وقد نقدَّ المعنى ما ذكره عن سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
لما دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام اول ما لقيه وسال عن حاله
قال له اشكوا الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكوا انت من
حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ ابو الحسن اما شكواي من
حر التدبير والاختيار فقد ذقته وانا الان فيه واما شكواك
من برد الرضا والتسليم فلم افهم فقال اخاف ان تشغلني حلاوتهما
عن الله سبحانه وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه
التكلف حجاب عن اللطيف يعني السكون اليه والوقوف عنده وشهود
العجز به ولذلك قال السري السقطي رضي الله عنه لو ان رجلا دخل
الى بستان فيه جميع ما خلق الله من الاشجار عليها من جميع
ما خلق الله تعالى من الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته
وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان في يديها
اسيرا وقال بعضهم لا تكون العبودية صحيحة حتى لا تقلب ارادتك
لا تقلب بشهوة ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه في كل
احواله الى الخالق وقيل لبعضهم من اخذ بباله ولا يواخيه فان عرض
على ملكه قال ليس من رجاله وان اصلح الرضوان قال لا اهتدي اليه
وليس من رجاله وان خلف من نعومة التخير بدعابه قال ليس ممن
بلا عابقه وقال حمد بن ... رضي الله عنه بينما انا ادور في جبل

لعبان

لعبان واذا خرج شاب فذاهب في السموم والرياح فلما نظر الي
ولى هاربا فتبعته وقلت تعظني بكلمة فقال احذر فانه غيور
لا يحب ان يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضي الله عنه الى بعض
اخوانه من اشتاق الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن
قلبه واجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع
الى من اشتاق اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان دام على
سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبسه لباس الطمع
فتزداد رغبته منهم مع فقد الرحمة من قلوبهم فتصير حياته
عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا ونحن نعوذ بالله من السكون الى غيره
وقال ايضا **اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا
تغفل انت عمن ناصيتك بيده** الشيطان عدو مسلط على
الانسان ومقتضى ذلك ان لا توجد منه فترة ولا غفلة عن التزيين
والاغواء والاضلال قيل لبعضهم اينام ابليس فقال لو نام لو
جدنا الراحة فاذا علمت انه لا يغفل فلا تغفل انت عمن ناصيتك
بيده وهو الله عز وجل فيقيض عنه ويكيده لك وتتوكل عليه
وابتغاؤك بكل ما هو الكل اليه واستعاذتك به من شر عدوك
ودعوتك فعند ذلك تخرج من سلطنته وتنجوا من غائلته قال الله
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال عز من قائل

انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق
بحقيقة الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له وان
التوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة به
كيف يكون لعدو الله عليه سلطان والله حسيبه ووليه وحفيظه ونصيره
ولولا ما امرهم الله بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو
حتى يستعاذ بالله منه قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه قوله
ان الشيطان لكم عدو فقوم فهموا من هذا الخطاب امروا بعداوة
الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا ذلك
ان الشيطان لكم عدو وانا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته وكفاهم
من دونه وقال ابو حازم رضي الله عنه ومن هو الشيطان حتى يهاب
ولقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان
مقدور بعد الادارة تسمى به اقدار الغضب وهو ينبعث الى
وانواع الفساد والمعاصي ابتداء باذن الله عز وجل ولعدم
الارادة كما قال وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى هذا من
عمل الشيطان واما ان له حولا او قوة بحيث ابتدى او يمنع فلا قال
ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله عز وجل خلقا اهون
عليه من ابليس ولكن الله تعالى امرنا ان نتعوذ منه ما تعوذ منه
ابدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان فقال وما

الشيطان

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

الشيطان نحن قوم صرفنا همتنا اليه فكفانا من دونه وقيل تحقق
بما يدفع ابليس فقال لا ادفع من لا اعرف فاما ان اهملت ذلك
وغفلت عنه ولم تعبا به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك
ودخوله بالوسوسة اليك قال اهل العلم ان لكل احد من الناس
وسواسا موكلا به مستوطنا قلبه والتقا راسه وقال عكرمة
عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر الله خنس وتباعد واستتر
وقال الجبار بن معاذ رضي الله عنه الشيطان قديم وانت حديث والشيطان
بصير وانت سيء الناحية والشيطان لا ينساك وانت لا تزول
له من نفسك عليك عون وقيل هو من بني ادم مستقر له ومجراه
من بني ادم مجرى الدم وانت لا تغفل عنه الا بعون الله تعالى وقال
مالك بن دينار رضي الله عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا
من عصم الله وفيه يقول القايل • ولا اراه حيث ما يراني •
• وعنه ما انساه لا ينساني • فحسبي ان لم تغث سياتي •
وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان كان يراك من حيث لا تراه فان
الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابليس
لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي بني ادم ما دامت
الارواح فيهم فقال له ربه وبعزتي وجلالي لا ابرح اغفر لهم ما

استعفر وقال ابنعباد رضي الله عنه **حرك عليك النفس ليديم اقبالك عليه** والجهو يشكو به اليه
وحرك **عليك النفس ليديم اقبالك عليه** هذا في التشفي بك
نعمة عظيمة من الله عليك اذ من مقتضاها كما قلناه الا يغفل
وان لا يحل حضوره في محاربتك ومقاتلتك بنفسه وجنوده وخيله
برجله ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك في غاية الضعف
والعجز فيضطرك الحال الى ما لله للاستعانة عليه بمولاك القوي
القدير فيوضح منك حقيقة الالتجاء والانتصار به والتوكل عليه
في دفع عنك عدوا فان الشيطان على التحرك الحق تعالى عليه
وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود وان ذلك حركة النفس
عليك بالحمل على منازعة الهوى والشهوة بما جعل فيك من
الطمع والجبلة نعمة عظيمة ايضا وان كانت اعداء الاعداء لك
اذ هو المسلطون بتوصلون اليك وبامرها يعملون فيك بعود ذلك
عليك من قبل انك لا تقدر على دفعها وقمع هواها الممتزج
بلحمك ودمك الا من هو اقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد
دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهم عليه وكان
المولف رحمه الله تعالى قصد في هذه الكلمات الى ذكر الاعداء الاربعة
المذكورين في قول الشاعر ؛
؛ اني بليت باربع من يطيق ؛ ما الشاعر قوسها قوس

ابليس

؛ ابليس والدنيا والنفس والهوى يا رب انت على الخلاص قدير ؛
ويشير بكلامه وجود عدو ووجوب الاحتراز منه وقد تم
ذلك ببيان ان تلك العداوة وان عظمت من اعظم الوسائل الى
اسنى المطالب لمن اريد بذلك ووفق له وان تجميع ذلك في العالم
بدايعه مخترعه وحيرته محمد رضي الله عنه في بغيته وهذا الفصل ورد
انه في التواضع بكمال النبل والفضل وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه من
**من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس
التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك تواضعا فا
نت المتكبر** اثبات التواضع يقتضي وجود الرفعة لا محالة اذ لو
كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا يمتنع
في العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج
الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه ما التواضع الذي اثبته
العبد لنفسه لا ينفع عنه وجود التكبر بل هو عينه وابطال العظمة
التواضع نود بذلك فان التواضع يجعل من الضعة والتربات
التجاعل موضوع لاظهار الضعة وليست كذلك كالتناوم
والتمارض والتعارج والتماوت وغير ذلك فصيغة التواضع لا
تقتضي حقيقة الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك
والمطلوب من العبد انما هو ان يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا

فقط أن ينتفي عنه وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرأ العبد
من الكبر فلا يكون له وجود البتة وقال أي الشيخ رضي الله عنه ليس المتوا
ضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع بل المتواضع
الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع هذا أيضا ما تقدم
ذكره من أن العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه
لأنه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه
من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي وهو شهوده لذلك ووجوده
به وليس هو بإظهاره على ظاهره بل شهوده لذلك ووجدانه بما
يقدح في حقيقة تواضعه كما قال الشيخ أبو عبد الله القرشي
رضي الله عنه من وجد ورأى له في ذله فهو متعزز ويبين بعينه
فهذا العبد المتصف بهذه الصفة لو فعل من أفعال المتواضعين
ما فعل لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لأنه يرى نفسه دون ما صنع
من ذلك لغلبة ذلك الشهود والوجود عليه فإن أثبته لنفسه
ورأى نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له
ثم فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه من رأى
بعض كلامه في ذلك الشهود وقال من رأى لنفسه قيمة
فليس له من التواضع نصيب وقال أبو سليمان رضي الله عنه لا يتوا
ضع العبد لله حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد رضي الله عنه ما

دام

دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون
متواضعا قال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل أحد 217
على قدر معرفته بنفسه وبربه وقال أبو سليمان رضي الله عنه
لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا
عليه وقال أبو نصر ... رضي الله عنه قد انتفع ... لم أشك
لو أنك كنت ... وقيل لمحمد بن مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال ليتني
لم أكن سبب هلاككم ومن علامات المتخلق بهذا الخلق أن لا يغضب
إذا عيب أو تنقص ولا يكره أن يذم ويقذف بالكبائر ومن
علامته تحقيقه أيضا أن يستحرص على أن لا يكون له جاه و
قدر عند الناس ويلتزم الصدق في حاله بأن لا يبرئ نفسه
موضعا فيه عليه وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك
في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويحكى عن أبي الحسن
ابن الكرخي أستاذ الجنيد رضي الله عنهما أن رجلا دعاه ثلاث
مرات إلى طعامه ثم يرده فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله داره
بالمرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين
سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود
ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد
ذلك لأجبتك وقال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه وحدثت

عن بعض الصوفية انه وقف على رجل ياكل بجهد بُره فقال ان كان
ترضى الله تعالى فقال اجلس وكل فقال اعطني في كفي فاعطاه
في كفه فقعد مكانه ياكل فسأله عن الامتناع من الجلوس معه
فقال ان حالتي مع الله تعالى الذل فكرهت ان اقارن جلسته قال
وكان يقدر بما هو بيده الى الهوا من فيجعل فيها من بيته
ومن اغرب ما رايت من التواضع ما ذكره صاحب كتاب عوارف
المعارف قال رايت شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنت معه
في مسيره الى الشام وقد بعث بعض ابناء الدنيا طعاما على
رؤوس اسارى من الافرنج في قيودهم فلما مدت السفرة
والاسارى ينتظرون الاواني حتى تفرغ فقال للخادم احضر
الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وانا
فقعدوا على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته
ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم واكل واكلوا
وظهر لنا في وجهه ما نزل بباطنه من التواضع لله تعالى والا
نكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه
وعمله ومن اغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية الطالب
وحلية الراغب ابو الحسن علي بن عتيق بن مومن القرشي رحمه
الله عن ابيه انه قال الشيخ الفقيه ابو محمد عبد الله بن عبد الرحيم

ابن

٢١١

ابن معين وكان من الفقهاء العلماء يوما وهو يمشي في يوم ثلج
كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق بوالة فكان عليها
وانه قد لصق بالحائط وعمل الكلب طريقا ووقف ينتظره
ليجوز وحينئذ يمشي فلما دنى منه الكلب قال رأيته قد ترك
مكانه الذي كان فيه ونزل الى الوحل وترك الكلب يمشي فوقه
قال فلما جاز له الكلب وطلع اليه فوجدته وعليه كدرة
فقلت له يا سيدي انت اراك صنعت الان شيئا استغربته
كيف رميت نفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع
النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا تحركت وقلت تر
فعت على الكلب وجعلت نفسي ارفع من الكلب بل هو
والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى كثيرا في
الذنوب والكلب لا ذنب له فتنزلت له عن موضع وتركته يمشي
عليه وانا الان اخاف من المقت من الله الا العفو عني لاني تر
فعت على من هو خير مني وقال ابن عطاء رضي الله عنه التواضع
الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي
صفته شهود عظمة الله تعالى وفي صفته هو الذي يوجب
للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يخرج
النفس بتذبيبها ويبطل انيتها فما قل الله انتهى الا خضع

له فلا تنقلع من القلب شجرة الرياسة والكبر الا به لا بما يتكلف
العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال قال الجنيد رضي
الله عنه التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد
ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد
لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه
نفسه الى عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى
سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها
حقيرة عند هيبته ومن اشرف التواضع ان لا ينظر الى نفسه
دون الله وفي كتاب عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ
حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند
ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر
والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو اثارها و
سكون وهجها وغبار وجودها قال ابن عطا رضي الله عنه لا يخرجك
عن الوصف الا شهود الوصف هذه عبارة مليحة موافقة
لمعنى ما تقدم لان الوصف المذكور اولا وصف العبد
والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تعالى وقال رضي الله عنه
المؤمن تشغله الثناء على الله عن ان يكون لنفسه

شاكرا

٢١٩

شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا
شكر النفس نسبتها الى الافعال الجميلة والاحوال الحميدة وذلك
ثناء عليها وهو مضاد للثناء على الله تعالى وذكر حظوظها واعتقاد
ان لها حقا على ما تفعله من الطاعة وهو مضاد للقيام بحقوق
الله تعالى فالمؤمن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه في نسبة شيء
من المحاسن اليها وفي طلب حظ عليها لانه بل يشغله الثناء على
الله تعالى والحرص على توفية حقوقه عن جميع ذلك وقال ايضا
ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا ولا يطلب
منه غرضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له
المحبة تقتضي من المحب بكليته وجوده في مرضاة محبوبه
وغيبته عن كل حظ ينال منه فضلا عما يلزم وجود المحبة كما
قيل ان المحب اذا احب حبيبه : تلقاه يبذل فيه ما لا يبذل
فاما ما جعل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضى محبوبه ونهاية
السعادة والبغية له قال ابو حفص عمر بن الفارض رحمه الله
ما لي سوى روحي وباذل روحه : في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتني : يا خيبة المسعى اذا لم تسعف
ولذلك قيل المحبة ايثار وهو ان لا يدع لمحبوبه فيه سوى ان لا
بدله ولا مسكنا الا استعمله ولا يبقي لحظه ولا نفسه ولحظه

نحيسا ولا سنة ولا بينتنة من كل ما بدله مسحة وأنشدوا
ليس يغيب عن العين مني فكره إذا أمل العاشق في خيل
وقال أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كلك
لمن أحببت لا يبقى لك منك شيء وقال أبو يعقوب السوسي رضي الله
عنه حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه إليه
وقيل لبعض المحبين المحبوبين وكان قد بلغ المجهود في بذل ماله
ونفسه حتى لم يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه في المحبة
فقال كلمة سمعتها من خلق لخلق علقت في هذا البلاء قيل وما
هي قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي
كله وأنت تعرض عني بوجهك كله قال له المحبوب إن كنت تحبني
فأي شيء تنفق علي فقال يا سيدي أملكك ما أملك ثم أنفق روحي
حتى أهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق
وبعبد لمعبود وكان هذا السبب بهذا الذي ذكرته من لوازم
المحبة الحقيقية وأما رجاء العفو فهو مطلب آخر في محو دال من
مقامات الرجاء وليس من مقام المحبة المخصوصة بشيء قال
الشاعر من لم يكن بك فانيا عن حظه وعن الهوى والأنس بالأحباب
فكأنه بين المراتب واقف لمنال حظ أو لحسن ثواب
وقال آخر وما أنا بالباغي على الحب رشوة

ضعيف

ضعيف هوى يرجى عليه ثواب وقال أبو حمزة رقيم
رجاء العوض بقطع العوض إلى الله عن محبوبه وقيل أوحى الله عز وجل
إلى عيسى عليه السلام إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب
الدنيا والآخرة ملأته من حبي وقال بعض المحبوبين كوشفت
بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من
ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت إليهن
نظرة فعوقبت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوق
هذه في الحسن والجمال وقيل لي انظر إليهن قال فسجدت وغمضت
عيني في سجودي لئلا أنظر إليهن وقلت أعوذ بك مما سواك
لا حاجة لي بهن فلم أزل أتضرع إلى الله تعالى حتى صرفهن وذكر
الشيخ الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه قال قال أحمد بن أبي الحواري
رأيت في بعض الغزوات فإذا فتى إلى جانبي وإذا هو مقنع في
الحديد يحمل على الميمنة حتى ثناها وحمل على الميسرة حتى ثناها
وحمل على القلب حتى ثناها ثم أنشأ يقول
أحسن بمولاك سعيد ظنا هذا الذي كنت له تمنى
تنح حوراء الجنان عنا ما لك قاتلنا ولا قتلنا
إلا إلى سيدك اشتقنا قد علم السر وما أعلنا
قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع إلى مصافه فتكالب

عليه الفقد وزاد الفقد فحمل على الناس وأنشأ يقول

فقد كنت أرجو ورجائي لم يخب ... ألا يضيع اليوم كدي والطلب

يا من ملا ملكه القصور بالكعب ... لولاك ما طلبت ولا طاب الطرب

ثم حمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه
الفقد وحمل الثانية ثم أنشأ يقول

يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي ... ما لك قاتلنا فكفي وارجعي

ثم ارجعي إلى الجنان وأسرعي ... لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي

فقاتل حتى قتل ولأجل ما ذكرناه من أن حقيقة المحبة كلية البذل من
المحب لزم وقوع الابتلاءات والمطالبات به حتى يحصل له توفية
هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم إذا ما تعرض الله عز
وجل للعبد أطلب العافية والجنة والأعمال وغير ذلك فإن قال
لا ما أريد إلا أنت قيل له من دخل معنا في هذا إنما يدخل بإسقاط
الحظوظ ورفع الحدوث وثبوت القدم وذلك يوجب لك العدم
وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه
يريد أن يصافيك وقال بعض المريدين للأستاذ قد طولعت
بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت
عليه إياه فقال لا فقال لا تطمع نفسك في المحبة فإنه
لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقال بعض العلماء رضي الله عنهم

كل

كل أهل المقامات يرجع إلى بعض عنهم ويبقى لهم إلا من ادعى
المعرفة والمحبة فإنهم يطالبون بكل الشعرة مطالبة وفي كل حركة
وسكون ونظرة وخطرة له ومع الله وقال إبراهيم بن أدهم رضي
الله عنه وكان له شغلات من المحبة رفيعة قلت ذات يوم
يا رب إن كنت أعطيت أحدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم
قبل لقائك فأعطني ذلك فقال الحق في النوم قال فرأيت في النوم
أنه أوقفني بين يديه فقال يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني
أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق
قبل لقاء حبيبه أم هل يستريح المحب إلى غير محبوبه قال
فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني كيف
أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني
شكر نعمائك انتقش في المحبين فانون وحركات ونكايات وبلا
طيات ويكشف لهم بذلك الشوق في صفاء [illegible] والفقد في مواطن
قربهم فيبقى بين [illegible] وتخفو عنهما مخافة أن يستروا
من ذلك قلوبهم بأدنى ميل ومساكنة فيوجب ذلك لهم
السقوط من مقامهم إلى مقام أهل الرضى وأهل اليقين وأهل الله و
لذلك قال أبو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه حياة المحب
عن الله تعالى أشد من معصية العامة وهو أن يسكن إلى غير

او يبيسا كن الى غير الله اذ ببشنا نفس بسوارة وقيل اوحى الله الى داود
عليه السلام يا داود ودّ انّي حرمتها على القلوب ان يدخلها حب غيري وفي
نبي جنتني ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام نعم العبد هو لو
الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار
فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء وبروى ان عابدا عبد الله في
غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة يأوي اليها
كان يجتمع عندها لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس
بصوت ذلك الطائر ففعل فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان
قل للعابد استانست بمخلوق لا حططتك درجة لا تنالها
مع شيء من عملك ابدا وقال ايضا رضي الله عنه لولا ميادين النفوس
ما تحقق سير السائرين اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها
رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك
السير الى الله تعالى وقطع عقبات النفس ومحو اثارها واعيانها
وغلبتها احكام طبيعتها وجبلتها حتى تتطهر من ذلك وتحصل
لها اهلية القرب من الله تعالى وتصل الى السعادة الكاملة ولولا
معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق
تعالى اقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي وهي المسافة التي
تطويها الحس وهي المسافة التي تطويها رحلة والبعد المعنوي

والقطع:

والقطعة التي تمحوها وصلته محال في حقه تعالى لتنزهه عن مثلية
الابدال وعدم التحدد في الذات وهذه الالفاظ التي عبر بها
المؤلف رحمه الله من السير والميادين والرحلة والوصلة ونحو
معناها السير والسلوك والذهاب والرجوع في عبارة
استعملها الصوفية في امور معنوية تجوزا واستعارة من امور حسية
مرجع جميع ذلك الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير
وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى معناه ما تقدم لمولانا
غير مرة من ان النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى وان حجابه
بقتلها وقمعها وموتها تنال سعادة لقاء الله في اماتة النفس
وقيل النعمة العظمى الخروج من النفس لان النفس اعظم حجاب
بينك وبين الله قال الشيخ ابو محمد رضي الله عنه من لم يمت لم
ير الحق وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه لا يدخل على الله الا من
بابين من باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي واما باب
الفناء الذي يعنيه هذه الطائفة وعن حاتم الاصم رضي الله عنه
انه قال من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع
خصال من الموت موت احمر وموت اسود وموت ابيض وموت
اخضر فالموت الابيض الجوع والموت الاسود احتمال اذى الناس
والموت الاحمر مخالفة النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعد

بعضها على بعض وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للنفس سر
ما ظهر ذلك السر على احد من خلقه الا على فرعون فقال انا ربكم
الاعلى ولها سبع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما
يدفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت
النفس تحت الثرى وصل بالقلب الى العرش يعني بذلك اذا خالف
نفسه وما رغبته وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس
انما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه بان
ب على امر يعينه ويغنيه ينبغي ان يتهم نفسه ويستعمل طريق سلوكه وليستعمل
هذا في كل حال ووقت وليجعل عمدته فيما هو بسبيله وقد
تقدم من كلام المولف رحمه الله ما توقف مطلب انت كالبه
بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس و
انما الخروج من النفس بالله ثم يشتغل بما لا بد منه وما لا بد
والطريقة به ظاهره وباطنه والتزام ادابه ولكل عبد عمل
ب وذلك مخصوص ينبغي له ملازمته دايما مخصوص ينبغي في حقه وذلك
يختلف باختلاف احوال الناس وحركات العبيد وسكناتهم في
اعماله الظاهرة وفي همته وارادته في اعماله الباطنة
وكل واحد من المقصدين ينبغي ان ياخذ فيه بعزايم الامور و
يجتنب الرخص انتهى من نقل الاعلام والجمهور حسبما
تقدم

تقدم عند قوله من جملة المريد ان يتقي الادب فيتوجه
العقوبة عنه فجملة الكلام ان كل واجب فليبادر الى فعله ولا ٢٢٣
يتوانى عنه وليقم بجميع اداب اللازمة له وليتحر بذلك ما يكون
منه وبالله اذا علم ان مرتبته هو وانما اشترط هنا هذا الشرط
لان المقدمات التي تعترضه يحتاج فيها الى التقديم الاول فالاول
الاول والاهم فالاهم منها فان لم يعمل من هذا وقدم ما ليس
باهم كان متبعا للهوى لا موجب العلم وليتوخ ذلك بالقصد
من غير اعتراض ولا تعريض ولا غلو ولا تقصير ففي حديث عايشة
رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلفوا
من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان افضل العمل ا
دومه وان قل وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين
احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا فان كان حراما
فليبادر الى الترك والى اجتنابه وليقطع عن نفسه جميع اسبابه
وليتحر بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا فهذا هو محل
نظر المريد فعليه ان ياخذ بالعزيمة فيه ويقف على حد دون
الخروج منه وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه و
يعظم حرصها عليه اكثر من اجتنابه لما يقصد منه ذلك في

ويختلف ذلك باختلاف الاشخاص فرب شخص يميل بنفسه الى ما
لا يميل اليه نفس شخص اخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال
علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون
وقوفه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل
الهوى والشهوة وربما يشتد ميل نفوس اكثر الناس الى ما
يكون بسبب تناوله واستعماله مراعاة نظر الخلق والجري على
عوائدهم المستحسنة ومن السمعة المذمومة ومجاهدة النفس
في مثل هذا اصعب جدا لا سيما على من ابتلي بحب الجاه والرياسة
وقبول الخوض في ولاية حكم او نشر علم او غير ذلك فانها اشد
الشهوات علاقة بالقلب واضرها بالمريد فيجب عليه ان
يعتني بذلك ويبالغ في تصحيح ظاهره وباطنه منه بما يتعاطاه
من اعمال واحوال وقد نبهنا على هذا المعنى في اول الكتاب عند
قول المؤلف رحمه الله ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما
لم يدفن لا يتم نتاجه ويتعين على المريد في رياضته ومجا
هدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان
في ميدان وجدان شهوته وبعد عادته ولذاتها معها ولا
يتبع هواه فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وحتى
لا يقبل دوا العلاج منه من علته ومجاهداته الا من على حال مرادها

فليراقب

فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد يتحرك
مثلا في طلب الخير والعمل من اعمال البر فيتفق ان يقع نظره
على شي له فيه هوى وشهوة فيميل بنفسه اليه بالشره والمحبة
فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه في حقيقة ما كان بدا له
في سنته مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه العلماء رضي الله عنهم
النفس في مثل هذا بدابة استعارها رجل يريد بها ما لا كان ليقضي
بها بعض حاجاته وكانت دابة جموحة صعبة المراس فجاز بها
المستعير في بعض طرقاته على باب مولاها فنزعت الى دار
سيدها لا محالة يحتاج الى صرف عنانها عنها بان تقلع سمت خديها
بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك عما نزعت اليه وقد
يكون عليه في ذلك تعب ومؤنة وسبب هذا انما هو مروره
بها على دار مولاها التي الفته واعتادته ولو لم يمر بها
عليها لسلم ولم يحتج الى معالجات ولا مكابدة بان تغافل عنها
حتى اذا خلت يدها في عتبة الباب واستمكنت منه حتى
اراد صرفها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب
الدار كرها وربما حطت راسه وادمته وسبب ذلك انما
هو تمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها
فكذلك حال النفس في التعبير ان اعطيتها هواها فاغنت

نحو نعوائدها وابا هدا ولذلك كانت الخلوة والعزلة من اوجب الوا
جبات على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادئة فقد
تنسيت عوائدها وفترت دواعيها وهدت واسمح على ان يحصل
لها من التزكية والتحلية والاستقامة والطمانينة ما هو
المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه في خلوته ما ذكرناه
اختل عليه حاله واحتاج من قبل المجاهدة الشاقة والرياضة
الصعبة واني له مع ذلك تلازم مداواته وقد قالوا وقفة المريد (وقفة)
شر من فترته قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه والفرق
بين الوقفة والفترة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها
والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل وكل مريد
وقف في ابتداء ارادته لا يجيء منه شيء انتهى كلامه رحمه الله
فجملة الامور التي يجب ان يراعيها المريد والله ولي
التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد في هذا القسم عن تحصيل
ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي وعمل الباطن
يرجع حاصله الى امر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل
باعتقاد العبودية له وذلك بان يجبل نفسه على الاستسلام
لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين
يديه وهذا المعنى هو الذي ضمنه المؤلف رحمه الله عنه كتاب

التنوير

التنوير فليستعن المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجا
هدته التوصل الى الغيب من الكرامات وخرق العوائد وانواع الا
جابات فان ذلك فتنة وبلية قاطع عليه طريق العبودية قال
ابو عثمان المغربي رضي الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي
ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع
الارادات الا رضى ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الا
سباب وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية
وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من عمل ليجد او يرى
لم يفتح له بشيء حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما
يجب عليه من حقوق الربوبية قال صاحب كتاب عوارف المعارف
من دخل الخلوة معتلا بدخوله دخل عليه الشيطان وسؤال
جميع الخيال واستولى عليه من الغرور والمحال وظن انه حصل
من حسن الحال قال ولقد خلعت الفتنة على قوم دخلوا
الخلوة بغير شرطها وفعلوا على ذكر من الاذكار واستجموا
نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل
الدهاقين والبراهمة والفلاسفة والروحانية جمع الهمم
لها تاثير في صفاء الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك يجمع
لمتابعة الشيخ وصحة لكنها تبعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

النتج تنوير القلب والى صحة الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة
لله باخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك
من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتج صفاء في النفس ويستعان به على اكتساب علوم
رياضية مما يعتني به الفلاسفة والدهريون وكلما كثر
من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه
الشيطان بما يكتسبه من علوم الرياضة او بما يترايا له
من صحة الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه الركون ويظن انه قد
فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا القدر من العاقبة
غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هي المقصود
من الخلوة بل المقصود الحق يريد منك الاستقامة وانما
تطلب الكرامة وقد يفتح على العباد في شيء من خرق العادة
وصدق الفراسة وتبيين ما سيحدث في المستقبل وقد
لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما
يقدح في حالهم الاخلال بوجه الاستقامة وما يفتح من
ذلك على العباد قد يصير مزيد الشجاعة والداعي لهم
الى الصدق والمجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق
بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة

الشرع

٢٢٦

الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته
على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام
من عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن
ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول
ثم يتدرج من ذلك الى الالحاد والزندقة ونعوذ بالله من
الضلال وقد يلوح لاقوام ضلالات يظنونها من وقائع المشايخ
من غير حقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو في غاية
الحسن ونهاية التحقيق بمداومة العبد على مثل هذه الا
ساليب التي ذكرناها مشاهد التوفيق ربه عز وجل
ثم يبرع له يحصل له مزيد يقين وعند ذلك ينكشف باطنه من
جميع الآفات وحجابية الصفات وتستضيء سريرته بانوار
المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام ابو القاسم ابن
القشيري رضي الله عنه عن طرف من هذه النفس بعبارات صحيحة
مليحة فقال تلوح الحقيقة الخبر عن حلولها وفوتها او شهود
في منعها ورد ما اعتيد اليها وتشوفهم بتدبيرها عليهم
وتسليم الامور الى الحق سبحانه جملتها وانسلاخها من
اختيارها وارادتها واستحالة الا بقية عنها
بل يبقى الرسوم والهياكل بعد ما فوقها ولا عبرة انتهى

بعقده نهى السبيل الى موت النفس المفضي الى حضرة القدس
لكونه جاريا على مقتضى الشريعة والحقيقة المتنور بانوارهما
يفتح لكل سالك ومريد ولا بد للمريد في هذه الطريق من
صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تاديب نفسه وتخلص
من هواه فليسلم نفسه اليه وليلتزم طاعته والانقياد
اليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تاويل ولا تردد
فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال ابو علي الثقفي
رضي الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف
الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام او
مؤدب ناصح ومن لم ياخذ ادبه من امر له او نهاه ويريه عيوب
اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات
وقال سيدي ابو مدين رضي الله عنه من لم ياخذ الادب
من المتادبين افسد من يتبعه قال المولف رحمه الله في
لطائف المنن انما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه واطلعك
على ما عنده من الخصوصية الالهية وطوى عنك وجود بشريته
في وجود خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك بك سبيل
الرشاد ليعرفك برعونات نفسك وكمائنها ودفائنها
ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار مما سوى الله و

يسايرك

يسايرك في طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة
نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة ان
اساءة نفسك الفرار منها وعدم الركون اليها ويفيدك
العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر
اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت
فاين من هذا وصفه لقد دللتني على اعز من عنقاء مغرب فاعلم انه
لا يعوزك وجدان الدال وانما يعوزك وجدان الصدق
قال الله سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال سبحانه
فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك
الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن لوجدت
ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت
الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت
الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير
متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك
انتهى وفي كلامه رحمه الله تنبيه على ان الشيخ من
منح الله وهداياه للعبد المريد اذا صدق في
ارادته ووجد الحرقة في طلب مولاه وجهد واستفرغ همته
لا على ما يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله

ولا استعمال الادب معه لما استشهده من عالم مرتبته ورفيع حرمته
قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك با
لتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من جمعك في حضورك وحفظك
في مغيبه وقال المولف رحمه الله في لطايف المنن وليس شيخك
من سمعت منه انما شيخك من اخذت عنه وليس شيخك من
واجهتك عبارته انما شيخك الذي سرت فيك اشارته وليس
شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب
وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك الذي نهض بك حاله
شيخك هو الذي اخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك
ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض بك
الى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ولا زال محاذيك
حتى القاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال ها انت وربك
انتهى وآداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذ
كورة في كتب ائمة الصوفية رضي الله عنهم ومن ابلغ ذلك واوجزه
ما ذكره الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه قال ومن شرط المريد
ان لا ينعم نعيما الا باذن شيخه ومن خالف شيخه في نعيم مراد
جهلا فيستر في غيبة من غير ما حبه مرتعا ومخالفة الشيوخ فيه
يستحقون منهم اشد مما يكابدونه بالحجر والخذلان

هذا

هذا التخلق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فان
بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل
منه من المخالفة والخيانة ليسهل على شيخه الى ما فيه علاج جرمه
ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى الشيخ وجب
على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم
فرض عليهم ان ينفقوا من قوت احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم
انتهى وقال الشيخ العارف محي الدين ابو العباس البوني رحمه
اسهوا اياك ان تحقر فعلا يخطر لك الا ان يلقيه للشيخ طاعة كان
او معصية على اي نوع من ذلك ولو اختلف عليك الف من هواجس
الساعة اختلفت ايه الا ساعة في الخاطر ليعطيك الدواء الذي
تزيله به او يحيل عنك بهمته قال ولقد رايت تلميذا من اصحاب
شيخنا الامام تاج العارفين ابا محمد عبد العزيز بن ابي بكر القرشي
المهدوي رضي الله عنه وكنت جالسا عنده فدخل عليه وفي
يده باقلات فقال يا سيدي اني وجدت هذه الباقلات فجمعته
امنع بيعها فقال له اتركها حتى تغلو عليك فقلت له يا سيدي
متى الباقلات يغلو بيعها فقال يا ولدي من خالف نفحته رخص انه
لا يغلو ابدا فاذا اجمعت النفس بهذا البيع هدات وفي
تلك هذه الكلمات رجعت في جميع ما لو قلت الدنيا

وعادت تدعا الرحمة وزال عنها الشعور الا بستكبار ودالت لهو
لا دعا الى العبودية والافتقار وتركت اعوالها وحقت احوالها
وهي بهذه خاصيتها التي خلقت لاجلها ومن نقيضها التي نزه منه
موقبلها وانما البعث بهذه المرض طابعا من الرقون الى هذا العلم
الادنى والانس بالشهوات التي تزول وتفنا حتى امتنع عليها
ما خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية نجدها واما
دندها فلما انعالجت بما ذكرناه عادت الى الفطرة والطبع
الاصلي بالبعث العبودية والتزمتها وطارت بذلك مطمئنة
طالحة لا يبقال لها بانتهائها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال الشيخ
العارف ابو محمد عبد العزيز بن المسعود رضي الله عنه النفس
المطمئنة هي التي تخلصت من السوى ولم يبق بينها وبين
السوى نسبة وكانت مبادئها في الاكتساب الاعمال والا
الرضا مكتسبا فلما صفت وتطهرت من جدية المخلوقات
وزوال الحجاب الذي موضعه الخلق سمعت النداء من مكان
قريب فاجابت لعدم الحجاب فخرجت المواهب والرضا الواقع
الموهبي الذي قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت
في رضا الله المطلوب المرهوب وفي عبادته وجنته الى

جنته

الى جنته فما يوصف بحسنه واما الطاع انتهى وعلامة
وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان تستوي عنده الاحوال ٢٢٩
ولا تبالي ان باطنه بما يحرج به من فيه الا بعد والاقوال الا
ستغراق قلبه في مطالعته حضرة الكمال قال ابو عثمان الحريري
رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى تستوي عنده في قلبه اربعة
اشياء في المنع والعطاء والعز والذل قال احمد بن خفيف رضي
الله عنه قدم علينا بعض اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت
اخدمه واخذ منه الطست طول الليل فاغفيت مرة فقال لي
نمت لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك
الله فقال كقوله رحمك الله وقيل لابراهيم بن ادهم رضي الله عنه
له قال ما سررت في الاسلام الا مرات معدودات كنت في مركب
يوما وكان فيه رجل يحكي الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس
وكان يقول رايت وقتا في معركة الترك علجا فقلت هكذا
وكان ياخذ بلحيتي ويمر بيده على حلقي هكذا والناس يضحكون منه
ولم يكن في ذلك المركب عنده اصغر مني ولا احقر فسررت بذلك
ويوما اخر كنت جالسا فجاء انسان وصفعني من غير سبب و
يوما اخر كنت جالسا فجاء انسان وبال علي وكان في وقت حالتي
الا انهم رضي الله عنهم بعضهم اقول حجه في اصحابه ونواجههم كل

يوم بالقيس فوقع عليه جذع من السقف ويعض الأيام في محل
مواجتمعه القوم بالسب والشتم جعلت فقال الحمد لله فقيل
له هذا خلاف ما تأمر به فقال ما جرت ألسنتها به أمورته
بل جرت الله إذ لم أسر بتكليفه هذا وأشباهه من أحوالهم
معلوم ضرورة والبلغ من هذا كله محبة الموت وكراهية
البقاء في الدنيا شوقا إلى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة
زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير
اختيار حالة تكون المرء عليها فإذا وجد المريد هذه العلا
مات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل إلى حضرة قدسه
وكان كما قال الشاعر • رأى الدهر طوعا والأنام عبيده
• فيعيش كل يوم من زمانك عيد •
وقال سيدي أبو العباس بن العريف رضي الله عنه في مثله
• بدا لك سر طال عنك اكتتامه • ولاح صباح كنت أنت ظلامه
• فأنت حجاب القلب عن سر غيبه • ولولاك لم يطبع عليه ختامه
• فإن غبت عنه حل فيه وطنبت • على موكب الكشف المصون خيامه
• وجاء حديث لا يمل سماعه • شهي إلينا نثره ونظامه
• إذا سمعته النفس طاب نعيمها • وزال عن القلب المعنى غرامه •
وأنشد ——— في هذا المعنى أيضاً
فوا

٢٣٠
• فوالله ما لها إلا بعيد • وقد انجز الأحباب في موعد •
• قد كنت قبل اليوم مشتاقاً منه تجل مشتاق بسعد •
• وإن نعيم الوصل من نحو نعم • فحسب هل عندك كل ند •
• وحيث لا حت لي أعلامهم • فليس في بعد المرشد •
وإن لم يجد هذا في نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهدته
ولا يغتر بما يتراءى له من بعض حالاته فإنه لم يصل بعد ولم يحصل
له من هوى نفسه فقد وليس طريق التصوف النفس بقطع جميع
الارتفاق عنها وردها إلى الاجتزاء بالخشيش والنخالة وإنما
هو في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب
وهمته وقصوده وإرادته وترك الالتفات إلى ما يجد منها
وما يذم في ذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في هذا طوائف
من الناس من غلوا عليه في رياضتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا
بذلك إخلاص العبودية لربهم بل أداهم ذلك إلى اختلال عقولهم
واختلال قوى أبدانهم ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة وذلك
لجهلهم بالمنة وما كان عليه سلف هذه الأمة وقال أيضاً
• جعلك الله في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته •
ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهرة
تنطوي عليك أصداف مكوناته خلقهم الأسمى في عمس

تقويم واتم تسويته وتعديله وجعل بنيته متضمنة اسرار جميع
الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار
لذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا ولذلك يقال له العالم
الاصغر وهذا سر الذي يظهر لي في معنى جعله في العالم المتوسط
بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة
وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلاجل لما كان الانسان بهذه
المثابة تحت جميع الموجودات الجسمانية والروحانية
كانت الاكوان كلها له باعتبار احاطته بها وجمعه لها بمنزلة
الغنم والحوائج التي يحتاج اليها ويحبونه وكان هو بمنزلة الجوهرة
النفيسة التي تحوي بها الصدفة والمقصود من هذا ان
يعرف الانسان جلالة قدره وعظم امره فيعلو بهمته الى
المراتب السامية اللائقة به وذلك باخلاص العبودية لربه
عز وجل وقطع التعلق من كل ما سواه ويقرب هذا المعنى الى ما
قال الشاعر * اذا كنت كيميا وعرشا وجنة * ونارا واملاكا لدي وارحالا
* وكنت من الاسم المصون بسره * سواد كف هذا بالحقيقة ادركا
* وفيم التأسي الحقيقي تشتكا معنيها مع الناس اماحا ام اكلا
كان الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول الاكوان كلها
عبيد مسخرة لك وانت عبد الحضرة وقد ورد في بعض الكتب

المنزلة

٢٣١

المنزلة يا ابن ادم انا بدك اللازم فالزم بدك وفي بعض الاثار
الالهية عن الله تعالى يا ابن ادم خلقت الاشياء كلها من اجلك
وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عما انت له وقال
الواسطي رضي الله عنه في معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم
قال بان سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا يسخرهم شيء وان
يتفرغوا الى عبادة ربهم وقال ايضا رضي الله عنه وسعك
الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت
روحانيتك انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك لوجود
المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو
باكتفائك به وفقرا او كما ركب منه من وقوف امداده في مقام
حاجتك عليه وكا خاصيته لكن هذا ابين الانسان من تفتك
اجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم
المناسبة فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون
وهذه هي خاصيتك التي فيها سموك وعلوك ورفعة
قدرك فلا تهملها وتنحط منها الى اسفل سافلين قال
ابو عبد الله بن الجلاء رضي الله عنه من علق همته على الاكوان وصل
الى مكونها ومن وقف بهمته على شيء سوى الحق فاته الحق لانه
اعز من ان يرضى معه بشريك وقيل لابي حفص ومن رضي الله عنه

أي الأعمال أفضل فقال رعاية السر على الالتفات إلى شيء سوى الحق
وقال أيضا الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته من لازم الكون ووقف
معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له ميادين الغيوب الملكوتية
ولا خلص بسره إلى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته وهذه صفة أصحاب النار
كما قال الله تعالى أحاط بهم سرادقها وليس في جهنم عذاب
أعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال تعالى وإذا ألقوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا و
وما ذكر إنما هو حال من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظه كما أنبأ
ما كان في بعض الآثار المروية عن الله عز وجل عبدي اجعلني مكان
همك أكفك كل همك ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت
بي فأنت في محل القرب فاختر لنفسك وقال أيضا رضي الله عنه
أنت مع الأكوان ما لم تشاهد المكون فإذا شهدته
كانت الأكوان معك فرق بين كونك مع الأكوان أو كون معك
فإن كونك مع الأكوان يقتضي تقييدك بها وافتقارك إليها وأنت
بذلك عبد لها ثم هي خاذلتك ومسلمتك أحوج ما تكون
إليها وهذه حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك

للمكون

للمكون وكون الأكوان معك يقتضي ملكك لها واستغناءك عنها
وأنت حينئذ مستغن عنها وهي محتاجة إليك وخادمة لك ومتبركة
بك حتى الجمادات والحيوانات قال الشيخ رضي الله عنه لبعض جلساء
الكون بأن عرف المكون المنتهي وهذه حالة نفيسة يقتضيها
شهودك المكون قال بعض المشايخ رضي الله عنهم إذا دخل
الصوفي الأشياء تشتاق إليه وإنما من جميعها خروج المزين
الكيم رضي الله عنه قال كنت مع إبراهيم الخواص في بعض أسفاره
فإذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لأقتلها فمنعني وقال دعها
كل شيء مفتقر إلينا ولسنا مفتقرين إلى شيء وقال محمد بن المبارك
الصوفي رضي الله عنه كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس
فنزلنا وقت القايلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت
صوتا من أصل الرمانة يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئا
فطأطأ إبراهيم رأسه فقال ذلك ثلاث مرات فقال يا محمد كن
شفيعا إليه ليتناول منا شيئا فقلت يا أبا إسحاق لقد سمعت
فقام وأخذ منها رمانتين فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها
وهي تفوق الطعام إن الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض
وإنها تطعم في كل عام مرة فعلت وارتفعت وحلا ثمرها
وصارت تطعم في كل عام مرتين وكانت [illegible]

ابن عمر رضي الله عنه فيه خلوهم بيتا عشرة وبضعة عشر وبعضهم
القمح وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في البادية مرة فعرضت
في وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب ماء فنزلت فاذا بسبع
عظيم قد اقبل علي فلما قرب مني اذا هو يعرج فجمجم بين يدي ووضع
يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فاخذت
خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت على يده
خرقة فمضى فاذا انا به بعد ساعة ومعه شبلان تبصبصا
لي وحملا الي رغيفين وقال بعضهم اشرفت على ابراهيم وهو
نائم في بستان فحفظه وقد اخذه النوم واذا حية في فيها كالافة
نرجس تروحه بها وحكي عن ابي اسحاق الصعلوكي رحمه الله انه
قال خرجت حاجا مرة الى الحج فبينما انا في البادية اذ تهت فلما
جن علي الليل وكانت ليلة مقمرة سمعت صوتا ضعيفا
يقول يا ابا اسحاق قد انتظرتك من الغداة قال فدنوت منه
واذا به شاب نحيف قد اشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة
منها ما عرفته ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت فقال من مدينة
شمشاط كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت
وقد اشرفت على الموت فسألت الله تعالى ان يبعث الي وليا
من اوليائه فارجو انك هو فقال

نعم

نعم واخوة واخوات فعلقت مما يشغل القلب واني ذكرتهم
فقلت الا ابدا اليوم ارجو ان اشم رائحتهم فاحتوشتني السباع
والبهائم وبكين معي وحملن الي هذه الرياحين قال فبينما
انا في تلك الحالة بزوله فلم اذ افعى اقبلت في فمها كالافة
نرجس ترجع تشرك عنه فان الله تعالى يغار على اوليائه قال فغشي
علي فلما افقت حتى خرجت نفسه رحمة الله عليه ورضوانه
ثم وقع سماتة فانتعقت وانا على الجادة قال وقد دخلت مدينة
شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتني امراة بيدها كوز فلما
رايت اشبه بالشاب عندها فلما رأتني قالت يا ابا اسحاق كيف رأيت
الشاب فانه انتظرك منذ ثلاث ليال فذكرت لها القصة الى
ان قلت ان اشم رائحتهم قالت وشهقت الا تبلغ الشيخ الشم وخرجت
نفسها فخرج اتراب لها عليهن المرقعات والصوف فكفلن
امرها وتولين تجهيزها رضي الله عنهم اجمعين فهكذا حال من
يكون عليهم العصمة ترتيب الارادة والعصمة لا يساكن احدا من
المخلوقات ولا يركن بنفسه على شيء من المصنوعات فتكفل
الله تعالى بامره ويجعل الكون خادما له بامره رزقنا الله تعالى
ما رزقهم ونفعنا بهم وبفضله وجوده وكرمه وقال ايضا رحمه الله
لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما

مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار وظهوره بالافق
وليست منه تارة تشرق شموس اوصافه على ليل وجودك
وتارة تقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار
ليس منك اليك ولكنه وارد عليك ثبوت الخصوصية
للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف البشري امر
ذاتي لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عند النظار
انقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة احكام ذلك الوصف
على العبد فقط لاجل الوارد الغالب عليه فاذا ذهب هذا
الوارد الغالب بقي وصف البشرية غالبا ظاهرا وكان العبد في
يديه اسيرا ومثال ذلك من المحسوسات اشراق شمس النهار
على ارض مظلمة ليزيل اشراقها ظلمتها فتستنير بذلك وتشرق
فاذا غابت الشمس رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس
بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية انها
كونها تعني ما يجلي الحق به اولياءه من كمال انوار اوصافه العلية ونعوته
القدسية عليهم ليغطي بذلك اوصاف نفوسهم الدنية الر
دية عنهم لئلا يقطعهم اثارها وتشغلهم في صحبة اوقاتهم كما
تقدم من قوله اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه و
نعتك بنعته فاذا اشرقت انوار ذلك على ليل وجودهم

ذهب

ذهب بظلمات نفوسهم وتحقق لهم الوصلة والقربة من
غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك اليك ٢٣٤
وان غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الى اصلهم ولزموا
الوقوف على حدهم وكانوا في غاية الضعف والعجز كما كانوا
قبل ذلك والغرض من هذا الرد على طوائف علقت بهذا
الامر وتغالت وزعمت ان القرب من الله تعالى والوصول اليه انما
يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات
الربوبية بدلا منها فهذا ما عبر به المشايخ من الفناء وال
البقاء فوقعوا في ذلك في ضلال وزندقة والعياذ بالله من ذلك
والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى
دل بوجود اثاره على وجود اسمائه وبوجود اسمائه
على ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته
اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه فارباب الجذب
يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته
ثم يرجعهم الى التعلق باسمائه ثم يردهم الى شهود
اثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين
بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية
المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق

فهذا في ترقيه وهذا في تدليه عباد الله المخلصون منه و
الواصل إليه بنفسه وذلك قسمين سالكين ومجذوبين فحيث
أن السالكين الاستدلال بالأشياء عليه وهم الذين يقولون ما رأيت
شيئا إلا رأيت الله بعده وشأن المجذوبين الاستدلال به على الأشياء
وهم الذين يقولون ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله ولا شك أن
الدليل أبدا أخفى من المدلول عليه وأول ما ظهر للسالكين الآثار وهي
الأفعال فاستدلوا بها على الأسماء، وبالأسماء على الصفات و
بالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود من
أسفل إلى أعلى وأول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقد
سة ثم ردوا منها إلى شهود الصفات ثم رجعوا إلى التعلق
بالأسماء ثم نزلوا إلى شهود الآثار فكان حالهم التدلي والنزول
من أعلى إلى أسفل فما بداية السالكين من شهود الآثار إليه
انتهاء المجذوبين وما بداية المجذوبين من كشف حقيقة
الذات إليه انتهاء السالكين لكن لا بمعنى واحد فإن مراد
السالكين شهود الأشياء له والمراد من المجذوبين شهود
الأشياء بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو
والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو ولما كان شأن
العبد يقتضي النزول في تلك المنازل المذكورة لزم منه انتقالها

بالطريق نصير من السالك مترقيا والمجذوب متدليا وقال رضي الله عنه
لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت
كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك أنوار القلوب
والأسرار المشرقة عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف
قدرها إلا في غيب الملكوت وهو عالم الآخرة وهناك تحصل تمام
تلك الأنوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الأوفر كما أن أنوار
السماء المشرقة على ظواهر الأجسام لا تظهر إلا في شهادة الملك
وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الأشياء وقال
وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود
الجزاء عليها آجلا ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في أعمالهم
لهم عاجلا من مزيد الإيمان واليقين وتنسم روح الأنس ولذة القرب
والطمأنينة والوطن بشارة من الله تعالى عاجلا بوجود الجزاء
عليه في الدار الآخرة بأنها مقبولة عند الله تعالى وقد يتضح
هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على
وجود القبول ثم قال رضي الله عنه كيف تطلب العوض على عمل
هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق
هو مهدى به إليك العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء عليه
هو ما عمله لينتفع به غيره ولم يجد إلا ذلك منفعة

ولم يتعد جمع عنك بسببه مضرة والأعمال البدنية المطلوبة بظاهرها
وباطنها بخلاف هذه كله إذ هي مطلوبة عنك منصوبة إلى ربك
خالقها واختلاف أعمالها ابدا ثمرة ذلك ومنفعته عليك فيكون هي
وبالمنك وتعوضني عنك وعنادها ولذلك عبر عنها بالتحدي لا
ولا تعتداء تنبيها على أن ذلك لم يكن إلا لما يجعلك بطلب العوض
والجزاء على عمل هذا صفته في غاية الغبن ولذلك صدر المؤلف
كلامه بكيف ليتعجب من ذلك قال الواسطي رضي الله عنه
مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل وسئل أبو العباس
مقف ابن عطاء الله رضي الله عنه عن أقرب شيء إلى مقت الله فقال رؤية النفس
وأفعالها واستعمل المؤلف رحمه الله لفظ المعرفة في الأعمال
الظاهرة ولفظ المعد بها في الصفة فهو على ما هو الأعمال البدنية
المنة اشعار بتيسيرها بالقرب كتيسيرها بالمعرفة والمعونة فيها قال
قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم
ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا
سبقية الأذكار للأنوار هو حال المريد السالك وهو ذاكر ليستنير
شأنهم المجاهدة والمكابدة يتوجهون بالأذكار في حال ذكرهم
منهم وتحمل ليحصل لهم بذلك زوايد الأنوار وهو المعنى
الإشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

والسبقية

وسبقية الأنوار للأذكار هو حال المريد المجذوب وبها تحصل
نفا موج المصحوبة والخدمة جمع لها وجمعوا بالأنوار حصلت
236 منهم الأذكار بلا تكلف وكانت حالهم قال في لطايف المنن ما كيدا
ل شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه قال الناس على قسمين قوم
وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة
الله قال الله سبحانه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب
قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب
الوصول إليه فصار يطوي مهامه نفسه ويتحدا طبعه إلى أن
وصل إلى حضرة ربه يعني وعلى هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا ومن الناس من جاءته عناية الرحمن
غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته
من يشاء فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين ومن كان
مبدأه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدأه المواصلة
رد إلى وجود المعاملة ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق
طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا إلى الله تعالى عاجلا
ولكن لما تسمع عنه من حجبات المنة من يقول السالك
أتم من المجذوب لأن السالك عرف طريقا توصل إليه والمجذوب
ليس كذلك وهذا باطل فإن المجذوب طويت له الطريق ولم تطو

له من كان زعموا ان المجذوب تكون الطريق له ولم تطو عنه ومن
طويت له الطريق لم تبقه ولم تغب عنه وانما جاءته منازل عبيدها
ومواردها والمجذوب من طويت له الطريق الى مكة والسالك
كالسائر اليها على المطايا انتهى ملخصا في حال السلوك والجذب
وكلامه في ذلك حسن فان وجد لذلك لغيره فلخذ هذا ورد فيها
نعد لكلامه قال رضي الله عنه ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن
فكر اعمال الظاهر تبع لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر
والذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر ثم بين هذا
المعنى بقوله اشهدك من قبل ان يستشهدك فنطقت
بالالهيته الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسرائر
كشف الله تعالى للقلوب والاسرار في غيب الغيب فحقائق
حد الغيبة واحدا فهو مبينة فلما اشهدها ذلكا ضمنت
وتذكرت وتلاشت فتحققت بذلك احديته فلما انزلها
في عالم الشهادة ملتبسة بالاجسام والهياكل طلب منها
الشهادة بالالهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت
الشهادة منها لما استشهدت تبعا للشهود فلما اشهر
بالعبد من جهة سره وقلبه بوصف الجمع ومن جهة ظاهره وقالبه

بنعت

بنعت الفرق ولا يحجبه الفرق عن الجمع وجود الجمع والفرق
وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل
وقال الجنيد رضي الله عنه في معنى الجمع والتفرقة هو
ان تحققك في سرك فيما جاءك السائل فاجتمعت المعاني وافترقت المعاني
ان يكن غيبك النعيم تخلف عنك ان بطلعه ضيق الوجود الا احتاج ان ما
ذهب الجنيد رضي الله عنه الى ان قربه بالوجد جمع وغيبته في
البشرية تفرقة وقال رضي الله عنه اكرمك كرامات ثلاثا
جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره
عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك وجعلك
مذكورا عنده فتمم نعمته عليك اكرم الله تعالى عبده المؤمن
بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر والمحامد اولها كونه
ذاكرا له بان اجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن البر له ذلك وبيان
وسيلة بالله ذلك لولا فضل الله تعالى وكرمه وثانيها كونه مذ
كورا به فيقال عبد الله وولية وحبيبه ومختاره وذلك مما اكرمه
به من تحقيق النسبة لديه وهي اثبات الخصوصية له وقد تقدم
معنى الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذا هي
غاية الاكرام ومنتهى الفضل والانعام فضل الله تعالى واكرم
الاكرمين [illegible] ذكر انه عبده اكبر من ذكر العبد الله وفي
معناه

حديث ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقرا عليك القران قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك
قال نعم فقرا على قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون وفي حديث ابي حبة البدري رضي الله عنه قال لما
نزلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الى اخرها قال جبريل
عليه السلام ان ربك يامرك ان تقراها ابيا فقال النبي عليه السلام
لابي ان جبريل امرني ان اقرا عليك هذه السورة قال ابي او ذكرت
ثم يا رسول الله قال نعم فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي
بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني
في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت اليه
ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي
اتيته هرولة وعن ابي هريرة وابي سعيد يشهدان به على
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مسلمون يذكرون
الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت
عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم في اللوح
المحفوظ بذكرك لمت طربا قال ابن الفارض رضي الله تعالى عنه

عمر

عمر النسيم في امداد وقلت امداد ورب عمر قليلة
في امداد لكثرة امداده الا امداد الا الا هبة التي يمد الحق
٢٣٨ تعالى بها عباده المومنين زيادة في ايمانهم وتقوية لايقانهم
الا ترى فيه الا طول العمر ولا قوة فلا تنقص بعده ولا تزيد فيه
ولا تقل ولا تكثر وانما يمن عليهم من خزاين الفضل والكرم بحسب
قوة استعدادهم وكمال قابليتهم وتختلف هذه باختلاف تر
كيب خلقهم ومجبول فطرتهم ولا قل للزمان في هذه الايام عرض
وبهذا افضلت هذه الامة على ساير الامم على قصر اعمارها وهم
طول اعمارهم قال احمد بن الحواري رضي الله عنه قلت لابي سليمان
الداراني رضي الله عنه قد غبطت بني اسرائيل قال باي شيء قلت
بثمان مائة سنة حتى يصيرون كالشنان البالية وكالحنايا
وكالاوتار قال ما ظننتك الا وقد جئت بشيء والله ما يريد منا
ان ييبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما
عندنا هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما نال ذلك في عمره وقال
من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمان من منن الله
تعالى ما لا يدخل تحت دواير العبارات ولا تلحقه الاشارات
البركة في العمر ان يرزق العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على
اغتنام اوقاته وانتهاز فرصتها مكافاة خشية فوات ... الى

الاعمال القلبية والبدنية ويستغرق في ذلك مجهوده بالكلية
وفي اثناء ذلك يصل اليه من المنح الالاهية ويشرق عليه من الانوار
الربانية ما تعجز العبارات عنه ولا تستوفي الاشارات اليه وكل
ذلك في زمن يسير وعمر قصير فيرتفع له به شهر مثلا ما يرتفع
لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر والعمل فيها لمن اراد وجدها
خير من العمل في الف شهر قال بعض العلماء كل ليلة للعارف فيها ليلة
بمنزلة ليلة القدر وكان شيخنا ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول
اوقاتنا كلها والحمد لله ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر لا
تطويله وزيادة مدته وقيل هذا المعنى في تأويل ما ورد في
الخبر البر يزيد في العمر وقال ايضا رضي الله عنه الخذلان كل الخذلان
ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك
ثم لا ترحل اليه من الخذلان ان تجد العوائق والشواغل عن
التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى
ذلك وترمي بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا
الى الله عرجى ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة
قال الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس
فان زالت شواغلك وقلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه و

الرحيل

والرحيل فهو الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه فراغ القلب من الاشتغال نعمة
فاذا كفر عبد هذه النعمة بان فتح على نفسه باب
الهوى وانجر في قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه
وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه وقال ايضا رضي الله عنه من
الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار الفكرة التي امر
بها العبد وحض عليها هي سير القلب في ميادين الاغيار وهي
مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته واما الفكرة في ذات
الله تعالى على سبيل الجد فيتحير والمتفكر في ابانة ولا
يتفكر في اثبات ذاته روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتى قوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر في الخالق
فقال تفكروا في خلقه ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون
قدره قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه التفكر
نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من
الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ثم تفكر الزاهدين
في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكرة
زهدا فيها وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا
عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الالاء والنعماء فيزدادون

للحق

محبة للحق سبحانه وقال الجنيد رضي الله عنه اشرف المجالس
واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد وفي بعض
النسخ الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار ومعناه ظاهر
وقال رضي الله عنه الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت
فلا اضاءة له القلب الخالي من الفكرة خال من النور مظلم بوجود
الجهل والغرور وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب
شيء مثل عزلة يدخل بها ميادين فكرة وقال بعض رضي الله عنه
الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود
وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب
الشهود والاستبصار تقدم ان الفكرة سير القلب في ميادين
الاغيار وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب
الاعتبار وهي فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسا
لكين وهي حال تربيتهم وهو نعت المستدل بالاثار على المؤثر
والنزول لارباب الشهود والاستبصار وفكرتهم فكرة ناشئة
عن الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال ترقيتهم وهو
وصف المستدل بالمؤثر على الاثار وقد تقدم هذا المعنى
عند ذكر المجذوب والسالك وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض
اخوانه في هذا الكتاب تعرض لحال السلوك من اول الابتداء سيره

الى

الى انتهائه وحصوله في مستقره وذكر اداب السلوك والعو
ائق وقد احسن رحمه الله في ذلك بعبارات فصيحة صحيحة واس
تعارات حسنة مليحة على كل نوع عظيمة اذا سمعها السامع
طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه وماذاك الا لما تعلق بها
من انوار قلب المتكلم وقد قال بعضهم تقدم كل كلام يبرز وعليه
كسوة القلب الذي منه برز اما بعد فان البدايات مجلات
النهايات المجلات مجال التجلي والظهور فالسالك في ابتداء
سلوكه تتجلى له امر نهايته وقال ان من كانت بالله بدايته
كانت اليه نهايته هذا البيان ماذكره ومعنى كون بدايته بالله
ان يكون مجاهداته ومكابداته وانواع رياضته مصحوبة بالاس
تعانة بالله تعالى والاعتماد والانقطاع اليه فذلك يصح له
ويبعد في توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف مطلب
انت طالبه بربك ومعنى كون نهايته اليه ان ينكشف له انوار
الله تعالى بالقيومية ويتوجه بالربوبية وانه هو الاول والاخر
والظاهر والباطن تكشفا يفصح له عن صفة ذاته وتلاشيه
رتبة كونه واضمحلاله قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق فاذا صح له ذلك لم يزل تلك البداية
ذكرناه وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى عند

خوله من كلامات الشيخ في التنبيهات الرجوع الى الله في البدايات
وقال ايضا والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه
والمشغول عنه هو المؤثر عليه المشتغل به لك اذ
ايها المريد السالك انما هو عملك على التقرب لربك واذا
التوسل اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذي احببته
وسارعت الى اجابة دعوته فيجب عليك الا تشتغل الا
المشتغل ان تكون به فريد عن المشتغل عنه انما هو ما
بعد حظوظك العاجلة ومرادتك الزائلة وهو الذي
يستحق عليه الايثار اذ هو دار مضمحل الحقيقة لم وليه
فلتطلب عنه نفسا ولا تحل فيه عقلا ولا حسا وهذا
الكلام تحميح للسالك وانعاش لقوته وانتعاش لهمته
قال الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن الصقلي رضي الله عنه
سمعت عبد الله بن سعادة الفاسي يقول ما انتفعت الا
بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام في السحر فاذا رجل
يمسح التراب فقلت ممسوسا او مجنونا فقلت يا هذا
لم تمسح التراب قال فقال لي اذ تراب هو شئ فا ولي شيء دال
فما تشككت انه سوبقوا فقلت انا الشك ابهم قال فقلت
ولي الله وخشوعا على ركبتي وقلت ادع الله لي فقال لي عرفك

الله

الله قدر ما تطلب منه بل هو عليك ما تترك وقال ايضا
٢٤١ وان من الجهل بالله يطلبه منه والطلب اليه ومن علم
ان الامور بيد الله الجمع بالتوكل عليه العبد مطلوب
لربه عز وجل باقامة وظائف العبودية له وذلك بما اختصه
٢٤١ به من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك
الطلب عائد على العبد على الابد والعبد في طلبه واجتهاده
اذا انبغى ذلك والامور كلها بيد الله تعالى ومن ذلك
سعيه وكده فلم لا يتوكل عليه في ذلك فيتجمع همه
ويتيسر عليه امره اذا علم ذلك فالقسم الاول فيما يقتضيه
الشريعة والقسم الثاني وهو ما يخص الحقيقة وقال ايضا
وانه لا بد لبناء هذا الوجود ان تنهدم دعائمه
وان تسلب كرائمه ذكر بهذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته
في حال سلوكه من حظوظه وشهواته لانه اذا علم ان هذه الا
شيا لا بد ان تزول عنه او يزول عنها ولو بعد حين وكلها
شهوات قريب لم يغتبط بما يكون فيها الامر الى ذلك ويكون
طيب النفس بتركه وتهديم الدعائم وسلب الكرائم من
استعارات البديعة وقال ايضا العاقل من كان بما
هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره و

بعدها

لظهرت تباشير فرح العبد بالاشياء الفانية هو موجب
لزيادة تبعدهم وعدم اذا فقدها قال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه من فرح بغير محبوبه فرحه استجلب حزنا لا انقضاء له
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن
عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه
وانما يكون فرحه بالامور الباقية التي لا تفنى قبل شروق نور
ذلك في قلبه وظهور تباشيره على وجهه واشراق النور
واضمحلال الفناء تباشير نتائج تحققه في مقام الزهد وفاقد
فصدف عن هذه الدار مغضيا واعرض عنها موليا
فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا دليلا كان العبد
على هذا الوصف صدف عن هذه الدار الفانية اي مال عنها
مغضيا جفنه عن اقذائها من غير مبالاة بذلك معرضا
عنها بوجه قلبه فلا ولا هادي من غير التفات اليها
وهذا مبالغة في نبذها واطراحها فلم يوطنها كما هو
على سبيل التمتع بها ولا استقرار ولم يبتل كيدها بها
كونه على جهة المحبة لها والايثار بل نزلها منزلة
السجن والمنفى ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق
ومالا يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد في الامور

العالية

العالية الفتح فيه تنقيضه له فلما وصل الى ذلك حصل له
من حقائق قلبه وصفاء لبه ما حمله على التعلق بمولاه
البائن الدائم فجعل فيه لاه معتبرا بعبرة اليه كما اشعر له المولف
بقوله بل انتهض الهمة فيها الى الله وطار فيها
مستغيثا به في القدوم عليه هذا البناء يشعر بقلبه
الى الحضرة العلية وبدا بانتهاض الهمة الى ربه والاستعانة به
في القدوم عليه وتعواسمه امره كما تقدم قال الشاعر
اذا لم يعنك الله فيما تريده فما لكمه لموف البرسبيل
وان لم يكن يرشدك في كل مسلك ضللت ولو ان السماء دليل
قال ابو محمد الجريري رضي الله عنه من توهم ان عملا من اعماله
يوصله الى مامولة الاول والاعلى فقد ضل عن طريقه لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي احدا منكم عمله فما لا ينجي من المخوف
كيف يوصل الى المامول ومن صح اعتقاده في الفضل فذلك العبد
يرجاله الوصول وقال رضي الله عنه فما زالت مطية عزمه
لا يقر قرار بعادا ما ما بسير بها الى ان اناخت بحضرة القدس
وبساط الانس محل المسامحة والمواجهة والمجا
لسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت
الحضرة معششه لقلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون

هاذه استغفارات طيبة [illegible] سعيت القلوب الى حضرة
الرب وقد تقدم معنى ذلك منه فوائد اهيلة في النفوس [illegible]
سير السائرين الى حضرة القدس وبهاء [illegible]
حضرة الجمال والبلوغ الا وصال والامال لكن قبل ان الساقة نعم
عنه رسوم بشريته وتبطل احكام انيته وتنكشف له اذ
ذاك اوطاب معروفة كراي العين ويكون سره مع الله تعالى بلا
اثر فلما وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه المنقبة
السنية فوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفنون من
تحف السعادات والاقتراب وهي معاني هذه الالفاظ التي
السنية التي ذكر المولف وما تعرف الا بالذوق ولذلك المعرفة
تبين معانيها فحينئذ المفلى السائرون عطا سيرهم وحمدوا
عاقبة امرهم وصارت حضرة حبيبهم معششا لقلوبهم و
مسكنا لنفسهم وذهابهم والابهم الى ظلها يا ووردت خاطئي
غيرهم بنيران هواه وبيدار المحاضة منهم يسكنون حتى
يرجع سواهم عن منعة هفواته وبها هنا حصل التحقيق بمقام
البقاء والصحو وهذا هو انتهاء سيرهم بمعنى الصعود
والترقي قال ايضا رضي الله عنه فان نزلوا الى سماء الحقوق
او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين

فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ
بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن
الله والى الله هذا هو معنى الترقي والنزول وبه يجمع بمقام ك٦٣
البقاء والصحو فاذا نزلوا من سماء ترقيهم الى سماء الحقوق
وهي حقوق الله عليهم مما امرهم به ونهاهم عنه ليقوموا
بذلك فعلا وتركا والى ارض الحظوظ وهي حظوظ نفوسهم التي
تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك
بالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك انهم بعد خلوا في
الانتفاء بمراد الله تعالى لا بمراد انفسهم ولابد من الاذن من
الله تعالى بما يشرق في قلوبهم من النور الذي جعله علما على ذلك
وقد ذكر شيخ ابو الحسن في بعض كلامه قال رضي الله عنه ومعنى
الاذن في حق الولي نور ينبسط على القلب يخلق الله تعالى فيه
وعليه فيستمد ذلك النور على الشيء الذي يريده فيجد معه نورا
مع نورا او ظلمة تحت ذلك النور فينبغي ان تاخذ ان شئت
او تتركه او تختار او تدبر او تعطي او تمنع او تشاور او تقيم او
تقوم او تجلس فهذا باب المباح للعباد وهو فيه بالتخيير فاذا
النور ذلك الفعل المباح يجده الله تعالى فيه فان نيته نية
صحيحة لفعل [illegible] عنه حكم المباح وصار مندوبا اليه

كذهبت الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا يخلوا ان يلوح
عليه لايح الغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه ا
المحظورا ويكاد ولا تقطع بذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى او
سنة او اجماع او خلاف لمغلوب فلذلك كما لك والشافعي
وغيرهم من العلماء الى التخيير فاحكم على اصل صحيح وان تغش
الظلمة تنبه عليه لا يتصدع معه القلب ولا ينزعج معه الا انه هو
فتباعد عنه فانه يكاد ان يكون مكروها ولا تحكم بعقلك ورا
رايك بقد ظاهرها هنا خلو تشي ولا تقف احد وان استفتاك
واعلى الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان قال تبا فمن
قرب تاتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلا
سيدي ابي الحسن وهو مناسب لما ذكره المولف رحمه الله الا ان
ما فيه من التفصيل لم يتعرض له المولف بل اكتفى الا من في ذلك بجملا
كما تراه وتقرير قيادة ان لو اذا الى الحقوق واستعملوا فيه لم
ينزلوا الميلة بسوء ادب ولا غفلة وهوان يستشعد وافيا
مهر به من انفسهم او يلبسون عليها ثوابا من ربهم وان
نزلوا او الحظوظ لم ينزلوا اليها بشهوة غالبة فاهرى
لهم وكا منعة بقصدون اليها في دنياهم بل ذلطواه ذلك
بالله مستعين له عابدين من الله ءاخذين او الى الله منتهين

تسلين

٢٤٤

متوسلين فيه توكل الله تعالى اذا الهم في الاشياء واخرجهم
منها واوجدهم ذلك وعزل عنهم ملكية نفوسهم وصار ردا
احرار كرماء وقال رضي الله عنه وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا اد
خلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا اخرجتني المدخل
والمخرج الادخال والاخراج وقد عبر بهما عن العبارتين عن
السفرين المذكورين في المدخل هو سفر التي لاجله دخول الى الله
عز وجل في حال منكبه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر النحو
لانه خروج الى الخليقة لعبادة الارشاد والهداية في حال بقاية
بربه وتحققه هذا ذبل بما ميل الى مقام الغيبة والبقاء
ومعنى صدقية مدخله ومخرجه وانما طلب هذا البحصل
له بنفوذ طلبه عن رؤية نفسه في النسبة والوقوف مع الحق
في الادخال لمشاهدة حول الله تعالى وقوته فيتنع عنه بذلك
النسبة الى نفسه وفي الاخراج ليستسلم له وينقاد اليه
فيتنع عنه بذلك مراعات حظه ثم قال ايضا رضي الله عنه
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني وينصربي ولا
ينصر علي ينصرني على شهود نفسي وينصرني عن دايرة حسي
طلب من الله تعالى النصرة ليستقيم امره ويكمل منه المقصود

بكمال ذاته فالنوبة له تعالى املاك ارباب البدايات من اهل الغيب
اذ بذلك تنتبس عليهم عقبات النفس وشهود دواعي الهوى
والحس والشهوة به تعالى ومقتضاه ان ارباب النهايات من المحققين
كان بذلك تحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية
وكل واحد من القسمين له ترقي على شهود النفس وفناء عن
دايرة الحس واخراج الخوف عليه من السؤال والطلب لان ذلك
كله من الخذلان وعدم التوفيق وهو غلبة احكام نفسه وبقائه
مع داير حسه وقال رضي الله عنه مما كتب الى بعض اخوانه لما
ان كانت عين القلب تنظر الى ان الله واحد في منته فالشريعة
تقتضي انه لابد من شكر خليقته اذا وصل الحق تعالى اليك نعمة
على يد انسان سواء كانت دينية او دنيوية فعليك في ذلك
وظيفتان احداهما ان تشهد انعام الله تعالى بذلك فلا ترى
النعمة الا منه وحده ولا ترى من سواه ممن اجراها على يديه
مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه الدواعي والبواعث
حتى لم يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية ان
تشكر من وصلت اليك على يديه بان تدعو له وتثني عليه امتثالا
لامر الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى ان
اشكر لي ولوالديك وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر
الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وفي حديث اسامة بن
زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس
لله اشكرهم للناس وان الله تعالى اختص بان اقامه في ذلك واجعل
له من اسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو
هو الفرع وقال ايضا رضي الله عنه وان الناس في ذلك على اقسام
ثلاثة غافل منهمك في غفلته قويت دايرة حسه
وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين
ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه
جلي واما استنادا فشركه خفي فهذا بيان احوال الناس
بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية الوسايط والعيني
فبدا بذكر عامة الناس وهم الغافلون في غفلتهم اصحاب
الظواهر والرسوم الذين قويت دايرة حسهم فقيدتهم
وقيدوا معها وانطمست حضرة قدسهم فابعدتهم ولم يحلوا
بها فنظروا الاحسان من المخلوقين فتقيدوا بهم وطمعوا
فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين بحكم والنعمة واستوجبوا
سخط الله ونقمته ثم في ذلك على قسمين احدهما ان يعتقدوا
في ذلك اعتقادا لخلو بجهالته منهم ومن قبلهم فهذا هو

الشرك الجلي الذي يخرج صاحبه عن دائرة الاسلام وتوقعه في الكفر
والعياذ بالله والثاني ان يحصل ذلك منهم استنادا واعتمادا
على غير الله وسكونا الى سواه مع سلامة عقدهم وهذا
هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقائق الايمان ويبعد حظه
من ابواب النجاة والعياذ بالله من الشرك جليه وخفيه وقال
ايضا رضي الله عنه وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك
الحق وفنا عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فهذا
عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك
للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار
مطموس الاثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على
فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته عن حضوره وهذا هو حال
الخاصة من ارباب الحقائق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود
الملك الحق فلم يبق لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وفنوا
عن الاسباب برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها فعلا ولا
جعلا فهم مواجهون بحقيقة الحق كما هو ظاهر عليهم سناه وهم
ابنوره وضيائه سالكون طريقة الحق قد استولوا على مداها
اي وصلوا الى غايتها ونهايتها الا انهم غرقوا في بحار انوار
التوحيد مطموس عليهم اثار الوسائط والعبودية مغلق

عليهم

عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم صحوهم اي
احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود احساسهم بها
وجمعهم وهو ثبوت وجود الحق عندهم على فرقهم وهو ثبات وجود
الخلق وفناؤهم وهو استهلاكهم في شهود الحق على بقائهم و
هو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهي ذهاب احوال الخلق عن فكرهم
الى حضورهم مع الخلق وهذه معان تعود الى الباطن كما قرأته متفقا به
وهي الفاظ تداولتها الصوفية المحققون بينهم وعبروا بها
في كتبهم ووضعوها على معان اصطلحوا عليها ليفهم بعضهم
من بعض ايضا ضرورة ولهم الفاظ كثيرة غيرها وكان ابو العباس
رحمه الله اراد ان لا يخلو الكتاب من شيء منها وقال ايضا
والكامل منهم عبد شرب فما ازداد الا صحوا وغاب فما ازداد الا حضورا
فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا
فناؤه يصرفه عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي
كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه وهذا هو حال
خاصة الخاصة الذين حازوا رتبة الكمالية وهم قوم شربوا كاس
التوحيد فما ازداد صحوهم وغابوا فما ازداد حضورهم قد
ملكوا الاحوال وتمكنوا في مقامات الرجال فلم يغلبهم صحو
ولا محو ولم يحجبهم شيء عن شيء بل وفوا حقوق جميع المراتب

بإعطونها ما لها من قسطها واجبة وذلك لاتساع فكرهم ونفوذ
بصيرتهم وهذه هي صحبة الصديق رضي الله عنه في الفضل التي بها
كان الأول وقد قال رضي الله عنه وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه
لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الإفك على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قومي فاشكري رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت والله لا أشكر إلا الله فدلها أبو بكر رضي
الله عنه على المقام الأكمل مقام البقاء المقتضي لإثبات الآثار
وقد قال الله تعالى أن اشكر لي ولوالديك وقال صلوات الله
عليه وسلامه لا يشكر الله من لا يشكر الناس وكانت هي في ذلك
المقام مصطلمة عن شاهدها غائبة عن الآثار لم تشهد إلا
الواحد القهار وهذا مثال فقط لا للحصر وقد أشبع المؤلف
رحمه الله تعالى الكلام فيه والمعنى في ذلك بين لا حاجة لنا فيه
للمزيد تنبيه إنما قوله وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن
شاهدها إلخ مقتطعة عن شاهدها وهو حكم بنفي شهودها مستو
لية عن حسها سمعها بالكلية وإنما اصطلاح نعت الحيرة وحصل
الفهم وصفة الدهشة في قوله وكانت هي في ذلك الوقت
مستغرقة بأن ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع أوقاتها بل كان
ذلك في وقت مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك حين أراد الله

رضي

رضي الله عنها هو حال الكمال في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعد وفاته كنحو أبيها رضي الله عنهما وذلك معلوم من أخبار
وسيرتها رضي الله عنها وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله صلوات
الله عليه وسلامه: وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك
خاص به أم لغيره منه شرب ونصيب فأجاب أن قرة العين
بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فالرسول صلوات
الله عليه وسلامه ليس معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته
وإنما قلنا إن قرة عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده
لأنه قد أشار إلى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة إذ
هو صلوات الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف
وهو يدل على هذا المقام ويأمر به من سواه بقوله صلوات
الله عليه وسلامه اعبد الله كأنك تراه ومحال أن يراه و
يشهد معه سواه فإن قال قائل قد تكون قرة العين با
لصلاة لأنها فضل من الله وبارزة من منة الله فكيف لا
يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فاعلم أن الآية
قد أومت إلى الجواب لمن تدبر سر الخطاب إذ قال فبذلك
فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا

بالاحسان والتفضل وليس من ذلك اتيانا بالمتفضل كما قال في
الاية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون والصلاة هي
اجل ما يتقرب الله به عباده ويتعبد به اليهم وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ما اذن لعبد خير في الدنيا من ان يؤذن له
في ركعتين يصليهما فبهما يحصل لهم الخلوة والانفراد والمجالسة
له والانقطاع اليه وفيها ترتفع عن قلوبهم الحجب والاستار وتشرق
فيها سرائرهم بالانوار وفيها تكون المناجات والمطالبات كما
تقدم وهي صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال احمد بن علي الترمذي
رضي الله عنه الصلاة عماد الدين وانما فرضه الله تعالى على المسلمين
اقبال الله على العبد ليقبلوا اليه في صورة العبودية تذللا وتسليما
وتبذلا وتخضعا وتخشعا وترغبا وتملقا فالوقوف تذلل
والتكبير تسليم والثناء والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود
تخشع والجلوس ترغب والتشهد تملق فاقبال العبد الى الله
بهذه العبودية ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتفضل
والتكرم والتقرب فليعرفه من امر الدين اعظم موقعا ولهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وفي الحديث
اخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على عبده بوجهه ما دام
في صلاته وان الله لينصب اليكم وجهه ما دام مقبلا عليه.

انتهى

انتهى ولاجل هذه الفوائد كانت الصلاة مفزع ذوي الفاقات
والضرورات من ارباب القلوب يغنيهم وجود ذلك عن كل مرغوب
ويتسلون به عن كل محبوب قال الله تعالى وأمر اهلك بالصلاة و
اصطبر عليها لا نسالك رزقا الاية بموجب اذا ان تكون قرة اعين
عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الفرح والابتهاج بحال
النعيم واللذة التي تحصل من غاية الموافقة والملايمة الا انها
تختلف باختلاف احوال الناس في مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت
منزلته وعلت مرتبته كانت ملايمته وموافقته في شهود المنعم
عنده وكان التجريد لمشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله
كانك تراه اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه كما قال المؤلف رحمه
الله فيه روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله لعروة بن الزبير
رضي الله عنهم انا كنا نترايا الله بين اعيننا وكان هذا لما خطب
الله عروة بن الزبير ابنته وهو في الطواف فلم يكلمه ابن عمر ولم يرد
عليه شيئا ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب هذه
الحال تكون قرة عينه في الصلاة لا بها لما تضمنته من التجلي التام
والشهود الحقيقي ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملايمته
وموافقته في شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكان قرة
عينه بها لا فيها لانه منفصل عن ربه بما يرى من منته عليه تعالى

كما قاله المولف رحمه الله ولا شك أن معنى قرة العين في الوجه الاول
حصوله في النصب وأنه لا يحجبه عن نفسه بالقرب به ومن كان
على هذا الوصف فهو من المخلصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو اللعين
ومن زال سلطنته عنه لم يحتج الى مدافعته ومراجعته وكانت
طاعته ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند فقدان
العبد حديث نفسه ووسوسة عدوه يحصل له غاية التنعيم والتلذذ
وتحقيق صفة معنى قرة العين في الوجه الاخر وان صاحبه لم
يعرض نفسه فضلا عن ان يترقى الى درجة البقاء بربه فلم ينقطع
عنه حديث النفس ولا وسوسة العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة
ومدافعة فيتشوش نعيمه وتتكدر لذته فيتضعف معنى قرة
العين قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي
الله عنه ومن قرة العين لا تكون الا بعد المجاهدة ولا تريد مع الاشتغال عنه
بل هي لمن استراح من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل اشرف المنازل ومرتبته
في المعرفة به ارفع المراتب بحيث لا يتصور ان يشاركه في ذلك
نبي او ملك به سواه كانت قرة عينه في طاعته على حسب ذلك
فقال ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة العليا والخاصية الكبرى
فقوله ثم وعليه يدل الكلام من قوله صلى الله عليه وسلم

وجعلت

وجعلت قرة عيني في الصلاة بعد قوله انما حبب الي من الدنيا
الطيب والنساء ولا انظر خصه لهذين الامرين الجبلي على قياس
حب غيره لهما وانما ذلك لوجود الخاصية التي اقتضت منه ذلك
ولا ترى انه ابيح له منهما ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وابيح واتم
لا حيوان من جميع الحيوانات الحظ والتمتع بسبب اجتماع
الصواب والتسليم فيه صلى الله عليه وسلم وجه له انما هو للغاية في
الحد الى الحقيقة في ملائكته وانما فعلوا ذلك لانه من الطيب والتعطر قال
انس بن مالك رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا الين من كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط اطيب من عرق
الطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان حاله في هذين
الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يذكر فيهما سوى وصف الحب
وهي ملذوذات الدنيا فكيف يكون حاله في الامر الثالث
مع انه عبر فيه بقرة العين وهي غاية المحبة وهو من اعمال
الاخرة ومعنى قوله من الدنيا اي في الدنيا ومن قال ان العين قرة
تمييزا ونصبها على المعنى الذي يليق بهذا التعبير فلقوله وجه
وجواب المولف رحمه الله محتمل لتغاير الوجهين والله اعلم بما
اراد منهما او من غيرهما وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض
اخوانه الناس في ورود المحن على ثلاثة اقسام فرح بالمحن
لا من حيث معرفته بها ومنشيها ولكن بوجود

متعلقه بنفسها وهذا من الفناء بالحس يصدق عليه قوله
تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ومن فرح
بالمنن من حيث إنه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة
ممن أوصلها يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ومن فرح بالله
ما اشتغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل
شغله النظر إليه عما سواه والجمع عليه عما (?) سواه
يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون. قلت هذا الفصل بيان ما يجد من أحوال الناس وما يلزم
عند ورود النعم عليهم وحصول الفرح إذ ذاك لهم وتنبيه عليهم
ما يكون من ذلك مذموما وما لا يكون وقد قسمهم المؤلف على
ثلاثة أقسام وجعلهم مرتبين وأسفل قسم في غاية الد
ناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث قضاء أغراض
نفوسهم ونيل أغراضهم والتمتع بشهواتهم ولذاتهم
فأحوال هؤلاء مذمومة جدا لتشبههم بالأنعام والبهائم و
نحوه أحوال أهل الكفر والبعد ولا يستند [illegible] وأمكن
حسبما أشار إليه في الآية الكريمة التي ذكر المؤلف رحمه الله
في هذا القسم وهذه الأحوال بعيد من الشكر [illegible] لهم

ونعم في غاية الشرف وهم الذين فرحوا بالنعم [illegible] ولم
يلتفتوا إلى حظوظهم النعم لأجل أن فيها متعتهم ولذتهم وإلى
مواطنها وكونها دلائل على عناية الله تعالى بهم ومن يشتمل [illegible]
عليهم من أحوال هؤلاء محمودة جدا لأنهم غابوا عن الاعتبار
العرضية وتحققوا بحقائق الوحدانية كما أشار إليه في الآية
الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وحال
هؤلاء هي الشكر الحقيقي الخالص الخالي من المزج والشوب
لأن الشاكر للمنعم [illegible] حظوظه [illegible] الأشياء
كلها نعمة ولا فرق عنده بين وجود وعدم والعطاء
والمنع فلا يخاف عليهم من التغير والانقلاب لتغير
الأحوال والأسباب ما يخاف على غيرهم لبقاء حظه
ولذلك قال أبو محمد الحريري رضي الله عنه من رأى النعم ولم
ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأى النعم بعين المنعم
فقد شكر وقال الشيخ أبو بكر [illegible] رضي
الله عنه كل من لم يشهد المنعم في النعمة كانت النعمة
في حقه استدراجا لأنه يوجد بها أن يسكن إليها وإذا [illegible]
لا بد أن تنغص عليه [illegible] وجعل له تنغيصا والشرف
والجلال [illegible] من الزيادة والكلام [illegible] الذين فرحوا
بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم من حيث

شهودهم للمنعم بهم فرحوا وجعلوا افرادهم
وحركاتهم احوالهم محمودة وهو شكر منهم لا بل بعضهم
وحيث نظرهم لانفسهم ويغابهم مع صفوتهم نعم
كلها لهم نصيبا ولذلك ... وانحسر ... فاتسعوا بحضرة
الاوصاف عن مراتب الاعلين وارتقى بالاوصاف الاول
عن احوال الادنين ... صبوا بما هو هنا من الم
منين واو ... في الاية الكريمة التي ذكرها المؤلف
رحمه الله في هذا القسم وعرض الامام ابا حامد الغزالي
رضي الله عنه في كتاب الشكر تمثيلا لاقسام الثلاثة
مثالا فقال الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم
بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه
بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من
حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق
غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل
غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه
به مثل هذا الفرح الثاني ان يفرح به لا من حيث انه
فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه
بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح
به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا او استحقاره بالاضافة الى مطلوبه
من نيل القلب من قلب الملك الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة
الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخـــــدمته

بخدمته مرتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة بحيث
انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك محل من يعطيه فرسا
ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب الا ان لا ينعم الملك
بشيء من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة
الوزارة بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب
دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه
ثلاث درجات فالاول لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا لان نظر
صاحبه مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذه
حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه
فهو بعيد عن معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من
حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام
في المستقبل وهذه هي حال الصالحين الذين يعبدون الله و
يشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام
في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل
من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في
جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي الرتبة
العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة
ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده

عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لاذنها للذة كما لم يفرح صاحب
البحر لانه جواد ومصلح من حيث انه جليله في صحبة الملك حتى
تحرم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه
الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص رضي الله عنه
شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات
القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من حصرت عمره اللذات
في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات و
خلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله
تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العا
دة كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض
المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل ما
ومن لم يكن ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا
فاذا هذا شرط في نعمة الله عز وجل فان لم تكن بل فحجر
دائم فكن هذا في الدرجة الثانية اما الاولى فهي رحمة عن كل
حساب فكم بين من يدرك الملك للنعيم ومن يدرك النعيم للملك
وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل للنعيم عليه وبين من
يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام ابي حامد
وهو في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره المؤلف
رحمه

رحمه الله ولذلك اوردته بكماله هاهنا وقال ايضا وقد اوحى
الله الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين
بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا فهذا الحق قد
٢٥٢ بينته وعلم ارتفاع مرتبتهم على من دونهم وقيل ان عتبة
الغلام دخل في بعض الايام على رابعة العدوية رضي الله عنهما
وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق
من عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي لم
اره فيك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن اولى بهذا
التيه مني وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا وقال بعضهم
كنت متوجها الى مكة فبينما انا امشي واذا رايت شيخا بيده محجنا
وهو يتبختر فيه ويرقص فتقدمت اليه وقلت له يا شيخ ما
هذا الرقص فقال دعني عنك قلت في نعمة عبد من انا وكلا
من انا وبيت من انا فاصدحا تستفزه الوجد في قصة وانشد
وانشد في هذا المعنى
فقوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تالله لو ابرته عما سواه له يا حسن رؤيته في حسن ما تاه
ويجوز ان يكون المراد بقوله وبذكري فليتنعموا اي بذكري
اياهم في الازل حيث لا وجود لهم والاغيار الذي يا منسوب

البدو محل الآفات والعلل وهو أجل أن يحتجب من أن يكون لغيره
بشيء ملتبس. وقال المؤلف رضي الله عنه والله تعالى أسأل أن يجعل
فرحنا وإياك به وبالرضى منه وأن لا يجعلنا من الغافلين
وأن يسلك بنا مسالك المتقين بمنه وكرمه. هذا دعاء
حسن هو أقول معناه متضح وهو بين لا يحتاج إلى تنبيه عليه
نسأل الله تعالى أن يحقق لنا ذلك بفضله. وقال المؤلف رضي الله عنه
إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيرا في فقري
إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي
العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال العارض
له والمنسوب إليه لنظر على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المؤلف
رحمه الله من كونه فقيرا في غناه وجاهلا في علمه صحيحا مستقيما
فمقصده رضي الله عنه بهذا الاعتراف بدوام الاضطرار ولزوم الفا
قة والافتقار وأنه لا استغناء له عن مولاه عز وجل من الالتجاء
إليه والتعلق به والسؤال والطلب منه في كل حال من أحواله كما
قال بعضهم: أنا لك مع الغنى محتاج ... ولو كان في مفرقي الإكليل
والتاج. وهذا منه دليل على تحققه في مقام العبودية التي
اقتضتها حكمة الربوبية ونفعنا بما أهداه للمعاني بين يدي
دعائه ومناجاته في غاية الحسن. قال السيد أبو الحسن رضي الله
عنه

رضي الله عنه ما طلبنا من الله شيئا إلا وقد قدمنا منه بين
إمامي يزيد رضي الله عنه حتى لا يطلب من الله شيئا ووقع مستحق
فنوال العطاء بل لا يكون طلبه وجود وجه إلا بفضله. وقال أبو
عثمان رضي الله عنه في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
التضرع إليه في الدعاء أن لا تقدم إليه أعمالك وصلاتك وصيامك
وقراءتك ثم تدعو على أثره إنما التضرع أن تقدم إليه افتقارك
وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا علقة
ولا سبب فيرفع دعاؤك. وقال أبو أحمد رضي الله عنه التضرع بذل
العبودية وخلع الاستطالة. وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى في وقت الدعاء في شيء إلا قال
الله ملائكته لولا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك. وقال
إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك
منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء و
اليأس منك في بلاء. تلون الأحكام على العباد يقتضي الأدب
يسألونك أن لا يطالبوه بكون عليهم ولا يتشوفون حال الضراء
تنزلهم من وجود الراحة والفرح وهذا محض تعلق بالله
تعالى وهو نعت العارفين. وقال المؤلف: إلهي مني ما يليق
بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك. لوم العبد الذي ترتيبه

يفتح منه مبارزة مولاه بالعظايم والكبائر وكرع العوالي [illegible]
نعو مقصب به يفتح منه التجاهر والعجز [illegible] ونبواحد [illegible]
وبعد الكلل من الطعام وجوك الصول الى [illegible] وهو من اهل [illegible]
تحكي ان رجلا قال لبعض الانبياء عليهم السلام قل له لم اولي
واعصيه وهو لا يعاقبني فاوحى الله اليه قل له لبني قال الله [illegible]
تعلم اني انا وانت انت وقال الشيخ رضي الله عنه الشيخ وصبت
نفسك بالقبض والراحة قبل وجود ضعفها اتمنيع
منها بعد وجود ضعف القبض والراحة صفتان له عز وجل
تتصف بها [illegible] قبل وجود ضعف العبد وجا [illegible] وجاه [illegible]
وهما مقتضيان لوجوده اثارها فيها للابرار بعد وجود [illegible]
العبد وصفاته وهو اصناف نعمه عليه وابتدال فضاله له فلا
يتصور منه ذاك منه وقال الشيخ رضي الله عنه الشيخ ان
تطلب المحاسن فبفضلك ولك المنة علي وان تظهر
المساوي فبعدلك ولك الحجة علي تصور المحاسن
على العبد وهي انواع الطاعات والحسنات والعبادات المحمودات
فضل من الله تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور
المساوي منه وهي ضروب المعاصي والسيئات والادوات [illegible]
الا [illegible] عدل من الله تعالى [illegible] له بفعل [illegible] والحجة

لم يكن [illegible] وتجرع [illegible] حالت [illegible]
[illegible] من [illegible]
وموالاة الكامه عليه لما يبقيها على النقاء على الله تعالى على [illegible]
فريد [illegible] وصفاته العلية والتعلق بها والاعتراف له بالنعم الظاهرة
والباطنة ولما يبقيها ابتدا من رؤية ضعف النفس والاقرار
عليها بالنقص والقصور واتزالها منزلتها من الذلة والمهانة
وقد قال بعضهم تعلق شاب باستار الكعبة وقال الهي لا الك
شريك فيوتى ولا وزير فيرتشى ان اطعتك فبفضلك ولك الحمد
وان عصيتك فبجهلي ولك الحجة علي فباثبات حجتك علي وانقطاع
حجتي لما تركت الا غفرت لي فسمع الهاتف يقول الفتى
عتيق من النار وقال الشيخ رضي الله عنه الشيخ كيف تكلني وقد
توكلت لي وكيف اضام وانت الناصر لي ام كيف اخيب
وانت الحفي بي التوكيل والناصر والحفي اسما الله عز وجل وهي
مقتضية لوجود اثارها من وجود الكفاية والمنعة والنفع
الغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد
بعد وجود [illegible] كما تقدم في القبض والراحة والنفع اللغة
معنا الشفا [illegible] الحفي [illegible] اللطيف والكريم العبد [illegible]
[illegible] وخيرات [illegible] وقال [illegible]
يوصو

قال الله تعالى ... بعباده ثم قال ايضا الهي انا اتوسل
اليك بفقري اليك التوسل التقرب والوسيلة ما يتقرب به
واعلم ان وسائل العبد الى مولاه تكون كثيرة بما توجب عبوديته
وهو فقره اليه في كل حال من احواله فلا يرى لنفسه حالة يقتضي
بها ثوابا ولا ... بيد مع تبرئة عن نفسه ... فقال ابو
يزيد رضي الله عنه نوديت في سري ... خزائننا مملوءة من
الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار وسئل ابو ...
رضي الله عنه بما يتقدم العبد على ربه فقال وما العبد ان يتقدم
به على ربه سوى فقره وقال ايضا رضي الله عنه وكيف اتوسل
اليك بما هو محال ان يصل اليك بين المتوسل به والمتو
سل اليه نسبة تامة ووصلة حقيقية وهي التي اقتضاها له
وجود التوسل ولا نسبة ولا وصلة بين العمل الذي هو نعت
العبد وبين ربه الذي هو الغني الاكبر وايضا توسل العبد
بفقره يقتضي شهوده كله واعتداده به واعتماده عليه
وذلك من العبد ... بكونه ... علة ... ولا ...
المعلولة لا تليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله بمعنى
انه ما يرضاها ولا يقبلها فالعمل لا يصح التوسل الا به
من ... وفي هذا المعنى يشير ما حكي عن

ابي

ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه حين دخل على شيخه ابي محمد
عبد السلام رضي الله عنه فقال له يا ابا الحسن بماذا تلقى الله
تعالى قال له بفقري فقال له الشيخ والله لئن لقيت الله بفقرك
لتلقينه بالصنم الاعظم ولا تصح حقيقة الفقر الا بالغيبة
عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك فاذا لا وسيلة الى الله سواه
وقال ايضا رضي الله عنه ام كيف اشكو اليك حالي وهو
لا يخفى عليك شكوى الحال لا تصح الا ممن هي غائبة عنه
وهو غير عالم والله تعالى لا يخفى عليه شيء وقد قال ابراهيم
عليه الصلاة والسلام حسبي من سؤالي علمه بحالي وقال
ام كيف اترجم لك بمقالي وهو منك برز اليك
الترجمة بالمقال هي التعبير بالعبارة عما في الضمير ليقع
بذلك التفهيم للمترجم له والله تعالى هو الذي انطق اللسان
واطلقه بذلك فالترجمة من الله تعالى برزت واليه مآل
امرها والعبد انما هو ... لذلك فكيف تنسب له الترجمة
ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة علمه باحوال العبد
فكيف يصح في حقه معنى الترجمة وقال ايضا رضي الله عنه
ام كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت اليك الا ان الآمال الواقفة
بالله تعالى لا تخيب من قبل انها ... اليه ومتعلقة

www.al-mostafa.com

به ومنقطعة عما سواه والله تعالى كريم جواد متفضل منعم
فليثق العبد بذلك وليكن على يقين منه وان لم يشتغل دائما
بطلب وقال ايضا الهي كيف لا احصر احوالي وبك قامت و
اليك من تحقق بالمعرفة رأى احواله كلها حسنة لوجود
قيامها بالله ورجوع امرها اليه وبعد ذلك كلها انواع من
التعجيب تعجب فيها المولف رحمه الله بنفسه من نفسه
فيه تحقق بعد ده وقصوره في احواله الاولى وقال ايضا
الهي ما الطفك بي مع عظيم جهلي وما ارحمك بي مع قبيح
فعلي شهود العبد لهذا المعنى مزيد عظيم يوجب له الذل
والانكسار ويستحسر منه حينئذ الاعتراف بالنعم وقف
وقال ايضا الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك شهود
المولف رحمه الله قرب الله تعالى منه لما رأى من بعد الاشياء
عنه وبعدها له اليه محا سيأتي من قوله فقد وعت العوالم
اليك وشهود بعده من الله عز وجل من حيث افتقر
الطلب له والطلب ايضا دليل على فقد الطلب له وبعده
عنه فالمشاهدة الاولى وجبت له ملازمة باب مولاه
وانقطاع طمعه من كل ما سواه والمشاهدة الثانية
اوجبت له الملاحظة في سؤال التقريب والاستغناء

عن

عن طلب القريب ومن دعاء سيدي العباس المرسي رضي الله عنه
يا قريبا انت القريب وانا البعيد قربك ايسني من غيرك
وبعدي منك ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحوا
٢٥٦ طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز وقال ايضا الهي ما اراد مجيء
الهي يغنيني عنك الى انه اشد الرحمة ولما شاهد رأيه
به من غاب بعدا المقصود عن رؤية نفسه وصفاتها
فلذلك لم تظهر له سبب لوجود حجابه عنه وقال ايضا
الهي علمت باختلاف الآثار وتنقلات الاطوار ان
مرادك مني ان تتعرف الي في كل شيء حتى لا اجهلك في شيء
قال المولف رحمه الله يقول اختلاف الآثار على وتنقلات
الاطوار بي من الصحة والمرض والغنا والفقر والعز والذل
والقبض والبسط والفقد والوجد وغير ذلك من
مختلفات احوالي التي تعتريني من شئونك التي تنزل بي
علمت منك الاراده في ان تتعرف الي في كل شيء تعرفا
خاصا في كل حالة خاصة حتى اشاهد وجه اسمك وعظمتك
وجلالك وكمالك بحيث لا يتصور مني جهل بما انا قابل
لمعرفته جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا او
لزمت حالة واحدة لم تفيد في الغناء واختار ذلك

ذلك انت معرفة ناقصة ومشاهدة قاصرة ثم جانا ان الانقلاب في
جنة معجلة انتوا منخفضا انشاء. وقد استغرقني ما انا فيه
من عظيم النوال وشغلني ذلك عن الدعاء اطلب السؤال وطلبا
الكون على ما انفقته من الاحوال فيلك الحر على تحرك الباطنة
والظاهرة والخفية والجلية قال بعضهم في الدنيا
جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الاخرة ولا الى شيء ولم
يستوحش قبل وما هي قال معرفة الله تعالى وقال مالك
ابن دينار رضي الله عنه خرج اهل الناس من الدنيا ولم يذوقوا
اطيب ما فيها قيل وما اطيب ما فيها قال المعرفة ثم
قال: ان من لاذ بجلال العزة ٥ وضياء وبهجة وسرور ٥
٥ فعلى العارفين من بها جلالة ٥ وعليهم من المحبة نور ٥
٥ فهنيئا لمن عرف مليكه ٥ هو والله دهره مسرور ٥
وقد روي انه في صورة حكيم من الحكماء انه تعبد زمنا
بمسجد وفي يد احدهما رقعة فيها مكتوب اذا احسنت
كل شيء فلا تظن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله عز وجل
وتعبد الآخر كنت قبل ان اعرف ربي عز وجل اشرب واظما
حتى اذا عرفته رويت بلا شرب فطرب التشويق بعد ذلك
ذكره دائما فقلنا ان عاملته بالرياضة منك لا محالة فان من راه

ان

ان يشغلك في الاوطار وغالب عليك الا انه الاستغراق اليك
في حالة خاصة تعرفها خاصة فان اردت ان يمدك على حالة ٢٥٧
واحدة فقد اردت ان يسلك بك غير الحكمة فكأنه يقول
لك لا تطلب منه ان يقيمك في حالة واحدة فانك لا تعقل
ذلك معك اتريد ان تبقى ربوبيتي معطلة الاثار ولكن
ينبغي ان اشهدك تطع حيث ما اوردتك وحيث ما اقمتك
حتى تكون في قال الله سبحانه يسأله من في السموات
والارض كل يوم هو في شأن. يمنع ويعطي ويجمع ويفرق
يقبض ويبسط ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات
الاثار فكأنه سبحانه وتعالى يقول انك عبد لا تنسلط
على شيء ما دمت ذا ولا تخرج عني فلا تحسن لك
ما انا العوض عما سواي وسواي لا يغنيك عني ولا تكن
ممن يعبد الله لعلل فتكون من عبيد الحرف بل اعبد
في جلال العبادة موصوف وبه دائم الاوصاف معروف
قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف فان
اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة خسر الدنيا و
الاخرة لان طلبه عز شانه عنه فما دام له وهو ما طلبا
حتى يكون له ومن نصره مع سواه فهو عبد ما نواه

ومن عبده لأجل وجوده ونعماه فهو عبد جوده ونعماه
لا من أحب شيئا فهو عبد لما أحب. قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش
فلو عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنى
وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء
وفناء وبقاء إلى غير ذلك من تقلبات الأطوار وتنقلات
الأغيار انتهى كلامه رحمه الله وقد أحسن فيه الإحسان
كله جزاه الله خيرا. وقال أيضا رضي الله عنه **إلهي كلما**
أخرسني لؤمي أنطقني كرمك وكلما آيستني أوصافي
أطمعتني مننك لؤم العبد ومخالفته ومعصيته تخرس
لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله وإحسانه
ينطقه بذلك وأوصاف العبد أن ضعفه التي اقتضتها
طبيعته وجبلته تؤيسه من حصول الاستقامة على
طريق الحق ومنن الله تعالى التي شملت البر والفاجر
تطمعه في ذلك. وقال أيضا رضي الله عنه **إلهي من كانت**
محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي
ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه

عبه

بالهيبة

بحال الهيبة وبناؤه للطاعة هو أن يأتي بها متصفا على الوجه الأ
كمل من الوفاء بجميع أركانها وشرائطها وما تتعلق به
من فضائل وآداب وتشييده الحالة وهي تزيينها وتع
هدها وصيانتها عما يكدر صفاءها ويحجب ضياءها
وكأنه لما جعل هذين الأمرين بيد الله تحقق من حيث
وأدى الأمر بعد ذلك لما شهد عند الله هذه علمه
ذلك لأن مقتضاه أن يفعل ما يشاء ولا يبالي بأعمال العا
ملين فكلما شاهد فضله وكرمه أقاله من ذلك بأن جعل
له من المتعلق به بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض
حسبه أن المتفضل المنان. وقال أيضا رضي الله عنه **إلهي**
إنك تعلم وإن لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد
دامت محبة وعزما جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها
وإن لم يدم عليها فعلا فهو من وسائله وذلك صحيح وكم من
شخص قد طرد والعبد قد يكون عنده عزم ولا فعل جزم.
وقال أيضا **إلهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف**
لا أعزم وأنت الآمر استبعد من نفسه وقوع العزم
منه وجعل مستند ذلك وجود القهر الذي من شهده فهو
يكل عزمه لأنه الغالب واستبعد أيضا عدم العزم

وجعل مستنده لك شهود الاملاك من شهيد أمره بادر
الى امتثاله وتحرر من غفلته واهماله وقال أيضا رضي الله عنه
إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني
عليك بخدمة توصلني اليك شكا الى مولاه عز وجل كون
تردده في الآثار وهي الاكوان وأخبر انه يوجب له بعد المزار
وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون ثم سأله وطلب
منه ان يختص له طريقا يسلكه ويقربه عليه ويجمعه من معتقلات
الآثار بخدمة منه تخص عينها عبوديته ويصل منها الى
مولاه من غير تردد ولا تحول وقال أيضا رضي الله عنه **إلهي**
كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر
اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى
يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج
الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآ
ثار هي التي توصل اليك هذا تقبيح لاحوال المستدلين
على ربهم وهم اصحاب الفكر والاستدلال بالنسبة الى اهل
المقام الآخر وهم ارباب الشهود والعيان قال ابو بكر
محمد الكتاني رضي الله عنه وجود العطاء من الحق شهود

الحق

تعالى بالحق لان الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليل
عليه فالحق لكا... اعني ارباب الدليل والبرهان عموم
عند اهل الشهود والعيان فهو سواء الحق عندهم ظهور كله
لا يحتاج الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى الدليل من نصب
الدليل وكيف يكون معروفا به وهو المعروف به قال الشيخ
ابو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت
المعارف ام كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء
وقال ابو يزيد لشيخه ابراهيم يا استاذ فقال له السعف
اللهم تغلب مع العمل ... وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
شتان بين من يستدل به او يستدل عليه وقال أيضا ر
إلهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا الرقيب هو
الحفيظ فمن شهد الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع احواله لا يخفى
عليه شيء استحيا منه وهابه ان يراه على ما يكرهه منه
وقد قيل اذا عصيت مولاك فاعصه بموضع حيث لا يراك
ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى فهو عميت عين
بصيرته فبارز الله بانواع القبائح والفضائح من غير التفات
ولا مبالاة وقد سبيل لبعضهم بم يستعين الرجل على غض
بصره فقال بعلمه بان رؤية الحق له تسبق نظره الى تلك المحذورات

وقال الله عز وجل وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن
ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه و
قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه خوفهم بما
عرفهم من اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم ورؤيته لما
يسلكونه من فنون أعمالهم والعلم بأنه يراهم يوجب استحيا
ءهم منه وهذا حال المراقبة والعبد إذا علم بأن مولاه يراه
استحيا منه وترك متابعة هواه والجولان حول ما نهاه
وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان وقال

وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا

حب الله تعالى لعبده هو رحمته وثناؤه عليه وإحسانه إليه
وحب العبد لربه عز وجل طاعته وموافقته أمره وتعظيمه
وهيبته والحب المضاف إلى الكاف في قوله من حبك يحتمل
إضافته إلى الفاعل وإلى المفعول والظاهر كونه مضافا إلى الفاعل
لأنه أبلغ وأمدح لأن محبة الله لعبده أصل محبة العبد له قال
الله تعالى يحبهم ويحبونه فمن أعطاه الله تعالى من الحب المذكور
نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه
ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته وفي بعض الكتب

المنزلة

المنزلة على بعض الأنبياء عليهم السلام يا عبدي أنا لك محب
فبحقي عليك كن لي محبا وحكي عن بعضهم أنه قال اشتريت
مملوكة فسمعتها في وقت السحر وهي تقول اللهم بحبك إياي
إلا ما غفرت لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي
إياك فقالت يا سيدي بمحبته إياي أخرجني من الشرك إلى الإسلام وأيقظني
لعبادته وكثير من عباده نيام وقال زيد بن أسلم رضي الله عنه
إن الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له
اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال المصنف رضي الله عنه

**إلهي أمرتنا بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليك
بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى
أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون
السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد
عليها إنك على كل شيء قدير**

الآثار التي أمر العبد بال
رجوع إليها بعد وصوله إلى حضرة المعرفة وحالة التوجيه
هي المكونات التي يلزمه إذا تلبس بها حظ ويكون له فيها
منفعة وحظ فسأل الله تعالى أن يرجعه إليها على حالة هي
مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه مك
سوا بكسوة الأنوار وهي أنوار اليقين مؤيدا بهداية

الاستبصار ودعي العلم الراسخ المتين فاذا رجع الى الآثار على هذا
الاسلوب والمعيار ولم يوثر فيه ولم تاخذه منه لكمال حريته عنه
وكان رجوعه الى مولاه في مثال من كان مثله خوله منه في ابتدائه
وسلوكه محصور الهم عن النظر اليها بعين الاستحسان مرفوع اليه
الهمة عن الاعتماد عليها في نوال واحسان وقد تقدم هذا المعنى
في قوله فيا ان نزلوا الى سماء الحقوق وارض الحظوظ الى آخره وقال
اللهم هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك
هذا انطراح [illegible] منه على مولاه ومبالغة في شكواه وتلطف
في سؤال رضاه وتضرع يرجوا اجابة الدعاء واستمطار جزيل
العطاء وقد قالوا ابواب الملوك لا تقرع الا بالاذلال بل بتضعيف
المحتاج وقال بعضهم قلت لسهل [illegible] اوجبه قلبي خشوع
وقد شاورت بلائه ما شار على بالخشوع ولم تزل وشاورت [illegible]
واشار بالسعي ولم تزل عقال المنهج [illegible] رضي الله عنه [illegible]
احق الخلق بالتزام اذا لم الفاطر وتفرع وقال [illegible] في امره
تجد نيته فيعمل وزال التعسر وقال الشاعر
وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل
وذل العبد لمولاه علامة العز والنصر فالذل والفقر [illegible]

الله

رضي الله عنه ما اعز الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل
نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه
٢٦١ وقال ايضا رضي الله عنه **منك طلب الوصول اليك** تعده صفة
العارفين فلا يسبق نظرهم الا الى الله ولا يطلبون الا منه
ولا يكون مطلبهم الا الوصول اليه لا غير وقال رضي الله عنه
وبك استدل عليك لا بغيرك لانك انت الظاهر قبل وجود
كل شيء بل بظهورك خفيت المظاهر فقيل لبعض العارفين
بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال ابو
القاسم النصراباذي رضي الله عنه لا دليل على الله سواه وانما تطلب
العلم لادب الخدمة وقال ايضا **جاهدت بنورك اليك**
وهو نور الابصار والبصائر وقال ايضا **واقمني بصدق العبودية**
بين يديك حتى اكون ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك
وقال ايضا **اللهم علمني من علمك المخزون** اطلب العلم
لان الله تعالى هو علم [illegible] العلم المخزون هو العلم
اللدني الذي اختزنه عنده فلم يؤته الا المخصوصين من انبيائه واوليائه
قال تعالى في شان الخضر وعلمناه من لدنا علما وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا

به لا يذكره الا اهل العزة بالله فسر العظم هي اسرار الله تعالى
يدلعها الى امناء اوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا درا
سة وتلقي من الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو بكر
الواسطي رضي الله عنه في قوله تعالى والراسخون في العلم هم الذين
رسخوا بارواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم
وخاضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشفت لهم من
مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف واية من الفهم وعجائب
النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة وقال ايضا
ورضي بسر باسمك المصون المطلوب فهو صيانته عن
رؤية الاغيار بما يتجلى لقلبه من الاسرار وقال ايضا رضي الله عنه
اللهم حققني بحقائق اهل القرب حقائق اهل القرب هي
الفناء في التوحيد والتحقق بالتجريد فينفصل في حقهم رؤية الا — التوحيد
سباب ويزول عن مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدي
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزبه الكبير وقربني منك
قربا تمحو به عني كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك فلم يحتج
لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه
وكيف لا يحجب عن مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحباء
كلا اني اسالك ان تغيبني بقربك مني حتى لا ارى ولا احس بقرب
شيء

شيء ولا ببعده عني انك على كل شيء قدير وقال ايضا رضي الله عنه
واسلك بي مسالك اهل الجذب واهل الجذب هم المجذوبون
ومسالكهم في غاية السهولة لا تعب عليهم فيها ولا مشقة
بل يجدون اللذة والحلاوة في اعمالهم وذلك من قبل انه اخرجهم
من اسر نفوسهم وتولاهم بكلاءته ورعايته من غير مجاهدة
منهم ولا مكابدة وقال ايضا اللهم اغنني بتدبيرك عن
تدبيري واختيارك عن اختياري ووقفني على مراكز
اضطراري المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار
هو الله عز وجل فمن كان الموجود في شيء من ذلك فقد نازع
الله تعالى في ربوبيته واختياره وان يوقفه على مراكز اضطراره
ليكون متخففا بعجزه متعلقا بحبال مولاه وقد تقدم
هذا المعنى غير مرة والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي
استعارة حسنة وقال ايضا اللهم اخرجني من ذل نفسي
ذل النفس الذي يطلب الاخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى
بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت
اغصان ذل الا على بذر طمع وقال ايضا وطهرني من شكي
وشركي قبل حلول رمسي الشك والشرك هما سبب
وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه

لا وطاعة كلها فيه انبة لخفا نور الايمان والتوحيد عنا واعاذنا الله منها
والشك ضيق الصدر وعدم احساس النفس بامر مكروه يصيبها
فاذا فرح بسبب ذلك الخلع قلبه واطابه من اجله الهم و
الحزن وكذا طهارته منه انما تكون بضده وهو اليقين فيه يتسع
الصدر وينشرح ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر اختلال
القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر وانبساطه وعند ذلك
يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه وعدله جعل
الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط
والشك والشرك تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن
المسبب ونسيانه تعلق الصيد بالشرك ويكون مبدا ذلك
هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيعلق
لرخيصه الهوا فيفرغ اخذا بالاسباب التي يتوصل بها
الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيرتبك من اجل ذلك في حبائل
الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه
الحق سبحانه في قلبه فيتخلص من ذلك بنفسه ويسكن عن
الشره والطيش الذي اطاقه وكلما قوي نور التوحيد في
قلبه كان خلاصه من الشرك اكثر وتنقطع عنه الاسباب ويثبت

فيه

٢٦٣

فيه الخلاص من التوحيد فلهذه الخصال القلبية الشك والشرك
نزلة الله تعالى بالهداية والتسديد والمعونة والتائيد
وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود
هل تدري متى تولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من
قلوبهم الشك وقال ابن عطا وعليك اتوكل فلا تكلني واياك
اسأل فلا تخيبني وفي فضلك ارغب فلا تحرمني و
لجنابك انتسب فلا تبعدني وببابك اقف فلا تطردني
تعلق بالله تعالى في كل مطلب من هذه المطالب واضرب عن التوسل
به والاسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذي سال مولاه ان
يحققه له بتطهيره من اضداده ومعاني هذه الكلمات قريب
بعضها من بعض قال ابو الحسن علي بن هند الفارسي رضي الله عنه
استعهد في الافتقار باب سيدك تحال علانة ملجا الكل فمن
بارز تلك الا بحجاب السادة لا بعد ها بعد فيه فمن اراد
مقاما وقال ابن عطا رضي الله عنه الهي تقدس رضاك ان تكون
له علة منك فكيف تكون له علة مني رضي الله تعالى عنه صفة
من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع عليها سببية العلل
والقديم لا يكون مسبوقا بشيء واذا كانت صفته التعليلية منزهة
عن ان تكون لها علة منه فكيف يكون لها علة من غيره

فرضى الله تعالى لا علة له ولا سبب بل رضاه وسخطه هو سبب اعمال
العاملين وسخطها وسببها رضي عن قوم فاستعملهم باستعمال
اهل الرضا وسخط عن قوم فاستعملهم باعمال اهل السخط قال
ابو بكر الواسطي رضي الله عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان
على الابد بما جريا في الازل يظهران الرسم على المقبولين و
المطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما
بانت المطرودين بظلمتها عليهم فانى ينفع مع ذلك الالوان
المصفرة والاكمام المقصرة والاقدام المنتفخة وقال ايضا رضي
اللهم انت الغني بذاتك عن ان يصل اليك النفع منك
فكيف لا تكون غنيا عني الكلام في الغنى كالكلام في الرضا
وكان المؤلف رحمه الله فتح في مناجاته بهذه الكلمات الى الا
سترشاد والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن اعماله
المدخولة واحواله المعلولة وذكر من احسن ما قصد لهذا المعنى
وقال ايضا رضي الله عنه اللهم ان القضاء والقدر غلبني
وان الهوى بوثائق الشهوة اسرني فكن انت
النصير لي حتى تنصرني وتنصر بي واغنني بفضلك
حتى استغني بك عن طلبي هذا اعتذار واعتراف والله تعالى
اكرم من ان يرد عذر من اعتذر وان يخيب من اعترف بذنبه واقر

به

به ولهذا يقال ان العبد يتوصل الى الله تعالى بالاعتذار والحق
سبحانه يقول لعبده لو لم اقبل عذرك لما وفقتك الى الاعتذار ٢٦٤
وقال الكتاني رضي الله عنه لم يفتح الله سبحانه لسان المؤمن با
لمعذرة الا ليفتح باب المغفرة فلا جرم لما وقع وقوعه في جفوة جفاه
طلب منه التوبة له على اعدائه ولم يقتصر على ذلك بل اضاف اليه
التوبة به لتكون تلك التوبة بسببه وعلى يديه كما قال سيدي
ابو الحسن رضي الله عنه واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا
بينهم وبين اعدائك ولم يقنع بذلك حتى طلب منه ان يغنيه
بما يستغني به عن الطلب منه ونحو ما تولاه من فضله العظيم و
كرمه الجسيم وهذه هي غاية السعادة كما قال ابو الحسن
رضي الله عنه والسعيد حقا من اغنيته عن السؤال منك وقال
اللهم انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتى
عرفوك ووحدوك وانت الذي ازلت الاغيار من قلوب
احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك انت المؤنس
لهم حيث اوحشتهم العوالم يشير الى ما شرف العالم بهم مع
ما هم عليه من الفاقات والافتقار والحاجة والاضطرار فكل واحد
منهما طلب لنفسه كالذي تحكم من لا النقص ووصله بنفسه
والله تعالى غني حميد عزيز مجيد ونحو هذا ذكر لطفه بعباده

عكوفا عليهم متوددا اليهم وما بينهم علامة يشهدوا هذا الكلم
مشاهدة يقين ومعاينة باعتقاده اياهم لم يتملكوا ان احبوا
ودوا اليه وفروا نحوه من عليه وجعلوه معتمد انسهم و
استغنوا به عن اشيا جنسهم فجعلوا ذلك على غاية النعيم وبارزوا
بالحق الحقيقي قال ذا النون المصري رضي الله عنه بينما انا اسير
في بعض البوادي لقيتني امراة فقالت لي من انت فقلت رجل غريب
فقالت وهل توجد مع الله احزان الغربة وكتب محمد بن عبد الله
ابن القشيبي الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وليكن انسك بالله
وانقطاعك اليه فان لله عبادا استانسوا بالله فكانوا في وحدتهم
اشد استيناسا من الناس في كثرتهم واوحش ما يكون الناس
انس ما يكونون وانس ما يكون الناس اوحش ما يكونون وقال
وانت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم
لما نور الله تعالى قلوبهم اهتدوا الى طريق التوحيد والمعرفة وبان
لهم علامات ذلك ودلايله فعقد نظرهم في تلك العلامات
والادلة انشرحت صدورهم بانوار الاعتبار والبصيرة فلم يبق
خلدهم شك ولم يختلجهم ريب والمعالم جمع معلم وكان المولف
رحمه الله تعرض في هذه الكلمات بالطلب الذي يحصل به نفي
عن الطلب وهو اشراق انوار في قلبه وازالة ما عباره من ركا و

ابناسه

٢٦٥

وانيناسه لهم وهو انسهما بالله ووحده
لا سبيل الى اتيانه وقال الشيخ رضي الله عنه بعد ذلك اليه متضمنة **الهي ماذا وجد من**
فقدك وما الذي فقد من وجدك قد تقدم من غير ما مرة
ان ما سوى الله تعالى عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المحقق
انما هو الله عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما قال المولف
رحمه الله تعالى هاهنا وكان هذا امرا بينا فيه وقال ابو علي الرودباري
رضي الله عنه سالني ابو بكر الزقاق رحمه الله لم ترك الفقراء اخذ
البلغة في وقت الحاجة فقلت لانهم مستغنون بالمعطي عن
العطاء فقال نعم ولكن وقع لي شيء اخر فقلت هات ايش
ما وقع فقال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذ الله فاقتهم
ولا تضرهم الفاقة اذ الله وجودهم وكان ابو حمزة البغدادي
رضي الله عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم اني من افقر خلقك
اليك فان كنت تعلم ان فقري اليك بمعنى هو غيرك فلا تسد
فقري وقال الشيخ رضي الله عنه **الهي لقد خاب من رضي دونك**
بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا هذا بين وهو
مبني على ما تقدم من الكلام في ان الشيخ رضي الله عنه في المنام
قيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبرهان على الدعاوي
الا على شيء واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من حرمان الجنة

ودخول النار فقال وأي خسارة أعظم من خسران يتعلق به معنى
ذلك انشدوا: سدد العيون لغير وجهك باطل وبكاء دمع
لغير فقدك ضائع . وقال بعضهم كان عندنا ثلاثة عشر سنة
يصلي كل يوم وليلة الف ركعة حتى قعد من رجليه فاذا صلى
العصر احتبى واستقبل القبلة ثم قال عجبت للخليقة كيف
ارادت بك بدلا بل عجبت كيف استانست بسواك ثم يسكت
الى المغرب وقال البقاء رضي الله عنه الهي كيف يرجا سواك
وانت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك
وانت ما بدلت عادة الامتنان معنى التعجب ممن كان على
هذا الوصف وهو اعجب من كل عجب والمعنى ذلك بين يا من
اذاق احباءه حلاوة موانسته فقاموا بين يديه
متملقين استعززهم بعزته لقوة دفع هممهم عن تعلقهم
بغير الله تعالى الملوهم التلطف بالتودد وترتبه على دفع
لحلاوة موانسته بين يديه يا من البس اوليائه ملابس
هيبته فقاموا بعزته مستعزين استعززهم بعزته بقوة
دفع هممهم عن تعلقهم بغير الله تعالى تنبيها وتكبيرا عليهم
وثقة منهم به وذلك مما البسهم من ملابس هيبتهم حتى لم
يبقوا بمعه غيره ولم يتذالوا فلم يدع الى سواه ولذلك قال في

المعرفة

المعرفة اصغر الاقدار سوى قدره ومحو الاذكار سوى ذكره
وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين
وقيل في معنى قوله تعالى تعز من تشاء فان لم يكن لك
معك بربك يرعيك وقال البقاء رضي الله عنه الهي انت الذاكر
من قبل ذكر الذاكرين وانت البادي بالاحسان من قبل توجه
العابدين وانت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين
وانت الوهاب ثم انت لما وهبتنا من المستقرضين
اخرج تعالى له الاولية في ما ذكر كما ذكر قال ابو يزيد رضي الله عنه
غلطت في ابتداء امري في اربعة اشياء توهمت اني اذكره
واعرفه واحبه واطلبه فلما انتهيت رأيته ذكره سبق
ذكري ومعرفته قبل معرفتي ومحبته اقدم من محبتي وطلبه لي
اولى حتى طلبته فاذا كانت له الاولية في خلقه لم يتوسل العبد
وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه ومما يوافق ما ذكره
المولف ما حكى عن الجنيد رضي الله عنه في مناجاته يا ذاكر الذاكرين
بما به ذكروه وبادي العارفين بما به عرفوه ويا موفق
العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك الا باذنه
ومن ذا الذي يذكرك الا بفضلك واستغراق من غيرك ما فيه
غاية في تنبيهم لقدرك وواجباته لشرفه وعدوه مع ذلك

مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية في اكرامه له وتفضله عليه
قال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ليثبت لك معه نسبتهم
استقرض منك ما اشترى ثم وعدك عليه من العوض اضعافا ليس
في هذا الا نعمه وعطاياه فعرفنا ان نكونوا متفوتين بالعلم و
قال الشيخ رضي الله عنه الهي اطلبني برحمتك حتى اصل اليك
واجذبني بمنتك حتى اقبل عليك لا وصول للعبد الى وصوله
الى الله تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه ان يطلبه بها ولا يتاتى
له الاقبال عليه الا برحمته ومنته ذكرناها قبل وقال الشيخ رضي الله عنه
الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك كما
ان خوفي لا يزايلني وان اطعتك الخوف والرجاء حالان
يتعلقان على قلب العبد واعتدالهما واستواؤهما هو المطلوب
سواء العبد في طاعة او معصية وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان
وجناح الطائر وهذا امر على منشاهما عند العارفين والاولياء و
ذلك لان منشاهما عندهم انما هو شهود الصفات المخوفة
والمرجوة وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها فكذلك منشاهما
تحت لا تفاوت فيها فان وقع فيهما تفاوت كان منشاهما
ناقصة واحواله معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع
الاتيان باعمال البر بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكاب

المعصية

بالمعصية كما وصفه المؤلف رحمه الله بنفسه فقال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع
الاعمال لاني اجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها
وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك
وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المؤلف
رحمه الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود
الزلل ومن دعاء يحيى بن معاذ رضي الله عنه الهي معصيتك
نادتني بالطاعة اليك وطاعتك نادتني بالمعصية فمن ايهما
في ايهما ارجوك ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع
لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء
فليت شعري كيف ارى احسانا مع احسانك ام كيف اجهل فضلك
مع عصيانك ومن كلام ابي العباس رضي الله عنه العامة اذا
خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة من خوفوا رجوا ومتى
رجوا خافوا قال في لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا
ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا وليس
لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله واهل
الله اذا خافوا رجوا علما بان ما وراء خوفهم ما به خافوا
اوصاف العبد الى الله لا ينبغي ان يقنط من رحمته ولا ان ييأس

من نفسه فاحتالوا على اوطاب كرمه علما منهم انه لا فوقهم الا الله
ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجعوا فانهم غيبة عنه
الذي هو من وراء رجائهم وخافوا ان يكون ما الظهر من الرجاء
اختيار العفو لهم فهل تقف مع كما هو الرجاء اي تنعد الى غوصه
نعم بل ذلك المنشور الرجاء خوفهم ثم قال رضي الله عنه
الهي قد دفعتني العوالم اليك ما دفعتني العوالم اليه
لما تفعله من مهمات الموحشة لما تفعله ولقد احسن من
قال وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله وانشد هنا
بعين من غنى عن تكملة منكر حسن منه غبت عن عيني
ثم قال رضي الله عنه وقد اوقفني علمي بكرمك عليك
اذ الكريم لا تتخطاه امال المؤملين ولا تتوجه الى سواه طلبات
الطالبين ثم قال رضي الله عنه الهي كيف اخيب وانت املي
ام كيف اهان وعليك متكلي لما تعلق بالله وتوكل عليه اي
استبعد ان يخيب املها او يناله هوان بتوكله عليه ثم قال رضي الله عنه
الهي كيف استعز وفي الذلة اركزتني ام كيف لا استعز
واليك نسبتني الهي كيف لا افتقر وانت الذي في الفقر
اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني
تلونه في هذه الاوطان المتضادة لما يغلب عليه من مشاهدة

٣

مادام جهلها والذلة المثبتة فيها هي ذلة الخلقة والعبودية
والنسبة التي اشار اليها هي نسبة الخصوصية والافتقار بمعنى
الذلة وانما تنقطع مثل العزة قال بعضهم البناة كل في
ذل عزة لهم وذلك عز كل عز فمن عز على
عزهم وقال الشيخ رضي الله عنه لقد خلقنا في عز ذلتي
لولا ليلاي تعززت حتى ما اعتز ... وقال
الهي انت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فما
جهلك شيء وانت الذي تعرفت الي في كل شيء فرأ
يتك ظاهرا في كل شيء فانت الظاهر لكل شيء
هذا كله قد تقدم معناه ولعله عاد المؤلف رحمه الله
في غاية الكمال والجلال وانما تنفهم الطوابق الله
تعالى بكل اعتبار ثم عثر هنا ... ثم قال
تغيير وسوقه يا من استوى برحمانيته على عرشه
فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم
غيبا في عرشه لانه اشار بهذا المعنى الى قوله تعالى
الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش
الرحمن ورحمانية الله تعالى كونه رحمانا والرحمن اسم الله
تعالى فيه وجود الموجود وهو مشتق من الرحمة

والرحمن تعالى هنا هي الرحمة العامة التي وسعت كل شيء رحمة
ووسع علمه كل شيء في قوله تعالى مخبرا عن حملة العرش اخبارا
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ولذلك دخل تحت مقتضى
اسمه الرحمن جميع اسمائه تعالى الاحدية وجميع من معنى
الاستواء الفردية والفعلية ومقتضاها في حق الله تعالى ان لا
يكون لغير الله وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره
ولا جرم لما كان الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه
الذي العوالم كلها في طيه فلا ظهور اذا كان الرحمن مستويا
الرحمانية منه رحمانيتها والعوالم كلها غيب في العرش لانه
في طيه فلا ظهور اذا الا له تعالى ولا للعوالم وانما الظهور
الثابت له عز وجل وقال رضي الله عنه اللهم محقت الاغيار
بالانوار كما بين العوالم والعرش محقت الاغيار
بتجليات املاك الانوار كما بين ام نور الرحمانية
وبتجليات املاك الانوار بين اسماء الله تعالى الحسنى
والله تعالى اعلم وقال ايضا يا من احتجب في سرادقات
عزه عن ان تدركه الابصار عزة الله اقتضت كون الله
سواه محتجب عزة الله تعالى فان العزيز معناه الممتنع
الذي لا يوصل اليه بقل حتى العزيز اذا تعذر الوصول اليه

وقيل

٣٦٩

وقيل العزيز الذي لا ترتقي اليه وهم طمعا في تقدير ولا
يسمو الى صمديته وهم قصدا الى تصويره وقيل العزيز
من ضلت العقول في بحار عظمته وحارت الالباب في ادراك
نعته وكلت الالسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف
جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وذكر المراد فلان مضافا الى
غيره واحتجابه فيها مجاز حسن وقال ايضا رضي الله عنه
يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار ان بهائه
هو محاسن صفاته واسمائه في ظهور ذاك وتجليه تحققت
تحققت عظمته الاسرار العارفين قال ايضا رضي الله عنه
كيف تخفى وانت الظاهر ام كيف تغيب وانت
الرقيب الحاضر والله الموفق وبه استعين هذا
كله بين لا اشكال فيه وقد تقدم معناه غير ما مر من كلام
المؤلف رحمه الله وقد تم والحمد لله ما اردناه وبلغنا
الغرض الذي قصدناه ولا حول ولا قوة في ذلك الا بالله
ونبذ ذلك ونقتبس ما عندي في مسائل الكتاب والله تعالى
الهادي الى الصواب وقد تقدم في اول هذا الشرح انا لم
اقصد الا هذا المعنى ولم نلتزم كون ما ذكرناه فيه صحيح

المعنى حتى يحتاج الى نصب الادلة والبراهين عليه ماذ يعتمد
فيه وانما نستفيد ذلك على سبيل الحكاية عنهم والمنصف
والمتمكن له ذلك ان يصححه او يبطله ان امكنه وما وقع فيه
من نوع الاستدلال على مطلب من المطالب فان ابى ذلك
فيتبرع بالرد في ذلك لئلا يعتقدوا انه مطلوب وان يبطل
لم يتبين بطلانه ببطلان المدلول فقد يبقى المذهب قابلا
للتصحيح او الابطال من غير ان يتوجه على مطالبة
بذلك والذي حملني على سلوك هذا السبيل ما فيه من
وجدان السلامة من الخطر الذي يتعرض له من يتكلم
على طريق التصوف ممن لا يخفى له فيه ويدعي صحة ما يفكر
بعقله وحجته وينسبه ذلك الى القوم ولعل شيئا من
ذلك لا يصح عنهم فيكون بذلك مفتريا بالكذب عليهم ثم
فيه من سوء الادب معهم والتقحم بين ايديهم ما لا
يخفى له شناعته وعند ذلك يقع الخزي والندم وذهاب
الحس والحركة او ان يه واجد عاقبة تخلصه بذلك من
شر لسانه وبنانه في ما قصد فان من ذلك لا يمنع من
حصول العافية لمن اراده الله بفضله ومنه والله يجعل الجميع
ايجالا عن فلان نفسه ولا يلزمه اتباع من رثاه غيره

فقد

من قبيل صلاة الناس على انه لا تزره ونحن نرغب الى من وقع
في هذا التأليف وهو لا يرى فيه خللا او تحريفا ان يصلح
ما العله يحتمل او ان يستعمل الاعتذار عنا الى بعض المسلمين
وان ظهر له ان يصح في ذلك تاويلا فليبطل تشبيها او
نعرها من كلام المذاهب التي مضى وما لم يكن من شان
وقع مضى ونحن نستغفر الله تعالى مما يعلمه منا من التقصير والجرأة
بما نعرفه منا من بيان كلام الاولياء والراسخين من العلماء
وتعرين عبارتهم واسرار رتبهم من غير اطلاع منا على كنههم
بالبصيرة فيها ونستغفر الله ايضا فالاغترار منا عليهم والاظهار
لاسرارهم واعلان ما استروه ونستغفره ايضا مما وقع منا
فيه من ذكر احوال الاولياء ومقاماتهم وتعرضنا على سلوك
طريقهم المستقيم مع اتساع جميع ذلك وعدم اختصاصنا
بمن يتصف مع ذلك الا ما يعطونه مما لا نعرف علمه
وما ندرك واكتنه من اسرارهم انواع الغيب والمعارف التي
نعلمها منا ولا نعلمها او نعقلها ولا نتبع نفوسنا فيما
تتشوف منها والتشوف عنها اعتذارا منا على انه لا استهانة
منا بشيء من علمهم ونرغب الى من جعل فضلا ان يمن علينا بتوفيق
يتعوا اعمالنا كلها حتى يتغلب علينا ما يحبه سبحانه
الذي اطيب بين الدوام بفيض انوارهم فيما اهلنا

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

مكتبة المصطفى الالكترونية
www.al-mostafa.com

www.مكتبة-المصطفى.com

Source / المصدر :

KING SAUD UNIVERSITY

http://makhtota.ksu.edu.sa